بغية الإيضاح

لتلخيص المفتاح

فى علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعيدى

المدرس بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الرابع

فى علم البديع

تنبيه : قد وضعنا كتاب الإيضاح بأعلى الصفحة ، ووضعنا شرحه — بغية الإيضاح — بأسفلها

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٩١٢٣٧٧.

المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابورى بالحلمية الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن الثالث علم البديع

تعريف علم البديع : وهو علم يُعْـرَفُ به وجوه تحسين الكلام[1] بعد رعاية تطبيقه على مُقْتَـضى الحال ووضوح الدلالة[2] .

---

(١) يعنى بمعرفتها تصور معانيها والعلم بأعدادها وتفاصيلها ومنشأ الحسن فيها ، وهذه الوجوه هى المحسنات المعنوية واللفظية الآتية ، وإنما سميت محسنات لأنها ليست من مُقَـوِّماتِ البلاغة ولا الفصاحة ، فالحسن الذى تحدثه فى الكلام عرضى لا ذاتى .

(٢) قيل إن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ووضوح الدلالة ووجوه التحسين قد يوجد دون الآخر ، فلا يكون الأول واجبا فى الثانى ولا كل من الأول والثانى واجباً فى الثالث ، والحق أنهما يجبان فيه لأنه لا قيمة له إلا معهما ، ولهذا لا تستحسن هذه الوجوه إذا تكلفت ، كالمطابقة فى قول الأُخْـطل:

قلتُ الْمُـقَـامُ ونَـاعِـبٌ قال النَّـوَى   فعصيتُ قولى والْـمُـطاعُ غُرابُ

لأن هذا من غَثِّ الكلام وبارده . ولـكن هذا لا يقتضى التقييد بذلك فى تعريف علم البديع ، لأنه يبحث عن وجوه الحسن بقطع النظر عن اشتراط ذلك فيها ، كما يبحث علم المعانى عن المطابقة بقطع النظر عن غيرها ، ويبحث علم البيان عن وضوح الدلالة بقطع النظر عن غيره ، فالأولى أن يجعل ذلك شرطاً لا ركناً فى التعريف ، وأن يقتصر فى التعريف على أنه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام من جهة لفظه ومعناه .

هذا ومن القدماء من ذهب إلى أن علم البديع هو ما تحصل به المطابقة مع

تقسيم المحسنات الى معنوية ولفظية : وهذه الوجوه ضربان : ضرب يرجع إلى المعنى (١) وضرب يرجع إلى اللفظ (٢) .

الفصاحة ، فالحسن عنده سواء كان عرضياً أم ذاتياً لفظياً أم معنويا من مقومات البلاغة ، وليس هناك شيء يقتضيه الحال وشيء لا يقتضيه الحال ، فيكون علم البديع شاملا للعلوم الثلاثة ، وهذا قول ضعيف ، لأن المحسنات البديعية تحسن فى الكلام ولو لم يكن هناك حال يقتضيها ، ولا تجب فيه كما يجب التأكيد ونحوه مما يرجع إلى النظم لأنه من مقومات البلاغة ، وكما يجب وضوح الدلالة لأنه من مقومات الفصاحة ، ولهذا يجب الفصل بين العلوم الثلاثة ، وقد يكون لبعض وجوه التحسين نكتة كما سيأتى ، ولكنها لا تقتضى وجوبها فى البلاغة ، وإنما تكون شرطا لكونها محسناً بديعياً ، وبهذا يعلم خطأ ما شاع من أن المحسن البديعى إذا كان له نكتة يكون من علم المعانى .

(١) أى أولا وبالذات وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين اللفظ أيضاً ، كما فى المشاكلة لما فيها من إيهام المجانسة اللفظية .

(٢) أى أولا وبالذات وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين المعنى أيضاً ، وقد ذهب عبد القاهر إلى أن الحسن لا يمكن أن يكون اللفظ فى ذاته من غير نظر إلى المعنى ، حتى ما يتوهم فى بدء الفكرة أن الحسن لا يتعدى فيه اللفظ والجرس كالتجنيس ، لأنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً ، ولهذا استقبح فى قول أبى تمام :

ذَهَبَتْ بمذهبه السماحة فالْتَوتْ ... فيه الظُّنُونُ أَمَذْهَبٌ أمْ مُذْهِب

واستحسن فى قول أبى الفتح البُسْتي :

نَاظِرَاهُ فيما جَنتْ ناظِراهُ ... أوْ دَعَاني أَمُتْ بما أوْدَعانى

لأنه فى الأول لم يزدك على أن أسمعك حروفا مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها

أقسام المحسن المعنوى : المطابقة أو الطباق : أما المعنوى فمنه المُطابَقة[١] وتسمَّى الطِّباقَ والتَّضَادّ أيضاً ، وهي الجمع بين المتضادين أى معنيين متقابلين فى الجملة[٢] ويكون ذلك إمَّا بلفظين من نوع واحد : اسمين ، كقوله[٣] تعالى (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ) أو فعلين ، كقوله[٤] تعالى (تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ) وقول النبى عليه السلام للأنصار « إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند مطمع » وقول أبى صخر الهُذَلىّ :

إلا مجهولة منكرة ، وفى الثانى أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ورَفَّاهَا .

وإنما قدم المعنوى على اللفظى لأنه أتم منه حسناً ، وقد رأى بعض مؤلفى عصرنا إلحاقه بعلم المعانى ، والحق أنه لافرق بينه وبين اللفظى ، لأنهما سواء فى أن الحسن فيهما عرضى لاذاتى ، وفى أنهما يحسنان فى الكلام ولايجبان .

(١) المطابقة فى اللغة الموافقة ، ووجه المناسبة بينه وبين المعنى الاصطلاحى أن المتكلم فيه يوافق بين المعنيين المتقابلين .

(٢) أى سواء أكان التقابل حقيقيا أم اعتباريا ، كتقابل القدم والحدوث وتقابل الإحياء والإماتة ، وسواء أكان تقابل التضاد أم تقابل غيره : كتقابل البياض والسواد وتقابل العمى والبصر ، ومثل التقابل بين الاثنين والتقابل بين الجمع ، هذا وقد ذكر التنوخى فى المطابقة أنها تحسن مالم تكثر فتسمج — ولا يخفى أن هذا شأن المحسنات البديعية كلها لا المطابقة وحدها

(٣) ى — ١٨ — س — ١٨

(٤) ى — ٢٦ — س — ٣

أمَا والذى أبكى وأضحك والذى ... أمات وأحيا والذى أمرُهُ الأمر (١)

وقول بشار :

إذا أيقظتْكَ حروبُ العدى ... فنبِّهْ لها عمراً ثمَّ نم (٢)

أو حرفين كقوله (٣) تعالى (لها ما كَسبَتْ وعليها ما اكتسبَتْ)

وقول الشاعر :

على أننى راض بأن أحمِلَ الهوَى ... وأخلُصَ منهُ لا علىَّ ولا ليا (٤)

وإمّا بلفظين من نوعين ، كقوله (٥) تعالى (أوَمَنْ كان مَيْتاً فأحييناهُ)

أى ضالا فهديناه ، وقول طُفَيْلٍ :

---

(١) قوله — أمره الأمر — بمعنى شانه الأمر أى حاله أن يكون آمراً وغيره مأموراً أو أمره الأمر النافذ والشاهد فى قوله — أبكى وأضحك وأمات وأحيا — وجواب القسم فى قوله بعده :

لقد تركتنى أحسد الوحش أنْ أرى ... أليفين منها لا يروعُهما الذعر

(٢) بريد عمر بن من قواد المهدى ، وفى رواية — إذا دهمتك عظام الأمور — والشاهد فى قوله — فنبه ثم نم — وفيه تقابل أيضاً بين قوله — أيقظتك ونم .

(٣) ى — ٢٨٦ — س — ٢ ، والمطابقة فيه بين اللام وعلى ، لأن اللام للملك المؤذن بالانتفاع ، وعلى للاستعلاء المؤذن بالتحمل والتضرر .

(٤) هو لمجنون ليلى ، والشاهد فى — على — الثانية مع اللام فى قوله — ليا — لأن على الأولى بمعنى مع ، والمعنى أنه تحمل ما يوجب مدحه ، ولكنه برضى بأن يخلص منه وليس عليه ذم ولا له مدح .

(٥) ى — ١٢٢ — س — ٦

بِسَاهِمِ الوجه لم تُقطَع أباجلهُ   يُصان وهو ليوم الرَّوْع مَبذُول[1]

ومن لطيف الطباق قول ابن رَشِيقٍ :

وَقد أطفَؤُوا شمسَ النهارِ وأوْقَدُوا   نجومَ العَوالى فى سماءِ عَجاجِ[2]

وكذا قول القاضى الأرجانى :

ولقد نزلتُ من الملوك بماجدٍ   فقرُ الرجال إليه مفتاحُ الغنى[3]

وكذا قول الفرزدق :

لعن الإلهُ كُلَيْبِ إنهم   لا يَغدِرُونَ ولا يَفونَ لجارِ

يستيقظون إلى نهيق حمارهم   وتنام أعينهم عن الأوتار[4]

---

(١) هو الطفيل بن عوف الغنوىّ ، وساهم الوجه متغيره من كثرة الجرى صفة لفرس ، والأباجل جمع أبجل وهو عرقٌ فى الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الإنسان ، والروع الفزع ، والشاهد فى قوله — يصان ومبذول .

(٢) هو لأبى على الحسن بن رشيق القَيْرَوانىّ ، وَالعوالى جمع عالية وهى أعلى الرمح أو النصف الذى يلى السِّنانَ ، والعجاج الغبار ، والشاهد فى قوله — أطفؤوا وَأوقدوا .

(٣) هو لأبى بكر أحمد بن محمد القاضى الأرجانى من قصيدة له فى مدح على بن جهير وزير المستظهر بالله ، ومعناه أن فقرهم إليه مفتاح الغنى لهم بما يعطيهم ، والشاهد فى التقابل بين الفقر والغنى .

(٤) هما من قصيدة له فى هجاء جرير ، وقوله — لا يغدرون — بمعنى لا يخونون عدوهم لعجزهم عنه ، وَهذا ذم لهم ، وَالأوتار هو جمع وتر وَهو الثأر ، يعنى أنهم لا يهمهم أمر أوتارهم ويهمهم أمر حمارهم ، فيستيقظون عند نهيقه ليعرفوا ما حمله عليه ويدفعوا المكروه عنه ، والشاهد فى قوله — لا يغدرون ولا يفون ، ويستيقظون وتنام أعينهم

وفى البيت الأول تكميل حسن[1] إذ لو اقتصر على قوله ـ لا يغدرون ـ لاحتمل الكلام ضرباً من المدح ، إذ تجنب الغدر قد يكون عن عفة ، فقال ـ لا يفون ـ ليفيد أنه للعجز ، كما أن ترك الوفاء للؤم ، وحصل مع ذلك إيغال حسن[2] لأنه لو اقتصر على قوله ـ لا يغدرون ولا يفون ـ تم المعنى الذى قصده ، ولكنه لمّا احتاج إلى القافية أفاد بها معنى زائداً حيث قال ـ لجار ـ لأن ترك الوفاء للجار أشد قبحاً من ترك الوفاء لغيره .

الطباق الظاهر والخفى : والطباق قد يكون ظاهراً كما ذكرنا ، وقد يكون خفياً نوع خفاء ، كقوله[3] تعالى (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً) طابق بين (أغرقوا) و (أدخلوا ناراً) وقول أبى تمام :

مَهَا الوحش إلا أنَّ هاتَا أوانسٌ ... قَنَا الخطِّ إلا أن تلك ذَوَابِلُ[4]

طابق بين هاتا وتلك[5] .

طباق الإيجاب وطباق السلب : والطباق ينقسم إلى طباق الإيجاب ، كما تقدم ، وإلى طباق السلب ، وهو الجمع بين فِعْلَيْ مصدر واحد مُثْبَتٍ ومَنْفِيٍّ أو أمر

---

(١) التكميل من أنواع الإطناب ، وقد سبق فى الجزء الثانى .

(٢) الإيغال من أنواع الاطناب ، وقد سبق فى الجزء الثانى .

(٣) ى — ٢٥ — س — ٧١

(٤) المها واحدة مهاة وهى البقرة الوحشية ، يعنى أنهن كبقر الوحش فى سعة العيون ، والقنا واحدة قناة وهى الرمح ، والخط بلد تصنع فيها ، يعنى أنهن كقنا الخط فى اعتدال القامة ، والذوابل الأغصان الجافة ، يعنى أن تلك الرماح ذوابل أما هن فنواضر .

(٥) لأن ـ هاتا ـ اسم إشارة للقريب ـ وتلك ـ اسم إشارة للبعيد .

ونهى ، كقوله[1] تعالى (وَلَكِنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمُونَ ، يعلمونَ ظاهراً منْ الحياةِ الدنيا وقوله (فلا تَخشَوُا الناسَ واخشَوْنِ[2]) وقول الشاعر :

وَنُنْكِرُ إنْ شئْنا على الناس قولهُمْ ولا ينكرون القول حين نقولُ[3]

وقول البحترى :

يُقَيِّضُ لى من حيث لا أعلم النَّوَى ويَسْرِى إلىَّ الشَّوْقُ من حيث أعلمُ[4]

وقول أبي الطيب :

ولقد عُرِفتَ وما عُرِفتَ حقيقةً ولقد جُهِلتَ وما جُهِلتَ خمولا[5]

وقول الآخر :

خُلِقوا وما خُلِقوا لمكرُمَةٍ فكأنهم خُلِقوا وما خُلِقوا

---

(١) ى — ٦ ، ٧ — س — ٣٠

(٢) ى — ٤٤ — س ٥

(٣) قد سبق هذا البيت فى آخر الكلام على الايجاز والاطناب والمساواة من الجزء الثانى ، والشاهد فى قوله — وننكر ولا ينكرون .

(٤) قوله — يقيض — بمعنى يهيأ ، والنوى الفراق ، والمراد أنه يقيض له من حيث لا يعلم أسبابه لأن محبوبته تهجره بلا سبب ، أما الشوق فهو يعلم سببه وهو حبه لها ، والشاهد فى قوله — لا أعلم وأعلم .

(٥) هو من قصيدة له فى مدح بن عمار مطلعها :

أمعفَّرَ الليث الهِزَبْرِ بسوطه لمن ادَّخرتَ الصارمَ المصقولا

ومعنى البيت أنه عرف بسخائه وكريم صفاته ، ولكنه لم يعرف حقيقة لعلو قدره ، فلا يمكن الوصول إلى حقيقته ، والشاهد فى قوله — عرفت وما عرفت وجهلت وما جهلت .

رزقوا وما رُزِقوا سماح يدٍ فكأنهم رُزِقوا وما رُزِقوا [١]

قيل: ومنه[٢] قوله[٣] تعالى (لا يَعْصُونَ اللهَ ما أمَرَهُمْ ويَفعلونَ ما يُؤمَرُونَ) اي لا يعصون الله فى الحال ويفعلون ما يؤمرون فى المستقبل، وفيه نظر، لأن العصيان يضادُّ فعل المأموربه، فكيف يكون الجمع بين نفيه وفعل المأموربه تضاداً[٤]

الطباق المسمى تدبيجا:

ومن الطباق[٥] قول أبى تمام:

تَرَدَّى ثيابَ الموتِ حُمراً فما أتى لها الليلُ إلا وهْيَ مِن سُندُسٍ خُضْرُ[٦]

---

(١) لا يعلم قائلهما، والواو فى قوله — وما خلقوا — للحال، والمعنى أنهم خلقوا غير مستعدين لفعل المكارم فكأنهم لم يخلقوا، لأن من يكون مثلهم فوجوده كعدمه وكذلك المعنى فى البيت الثانى، والشاهد فى قوله — خلقوا وما خلقوا، ورزقوا وما رزقوا.

(٢) أى من طباق الإيجاب والسلب.

(٣) ى — ٦ — س — ٦٦

(٤) على أنه ليس فيه جمع بين فعلى مصدر واحد كما هو طباق الإيجاب والسلب

(٥) أى مطلقاً، وهذا توطئة لقوله فيما سيأتى — ومن الناس من يسمى نحو ما ذكرناه تدبيجا.

(٦) هو من قصيدته فى رثاء محمد بن حُمَيد، وقوله — تردى ثياب الموت — بمعنى اتخذها رداء، والمراد بثياب الموت ما كان يلبسها وقت الحرب، وقوله — حمراً — حال مقدرة أى حمراً بعد القتال لا حين لبسها لأنها لم تحمر إلا بدم القتلى، والسندس رقيق الحرير، والأول كناية عن القتل والثانى كناية عن دخول الجنة والطباق فى قوله — حمراً وخضر.

وقول ابن حيّوس :

طالما قلتُ للمُسائل عنكم واعتمادى هِدَايةُ الضلال
إن تُرِدْ علم حالهم عن يقين فالقَهُمْ يوم نائلٍ أو نِزَال
تَلْقَ بيضَ الوجوهِ سُودَ مُثارِ النَّقْعِ خُضْرَ الأكنافِ حُمْرَ النِّصالِ(١)

وقول الحريرى : فمذ ازوَرّ المحبوب الأصفر(٢) واغبرّ العيش الأخضر(٣) اسودّ يومى الأبيض ، وابيض فَوْدِي الأسود ، حتى رَثَى لى العدو الأزرق(٤) فياحبذا الموت الأحمر (٥) .

ومن الناس من سمّى نحو ماذكرناه تدبيجاً ، وفسره بأن يُذكَرَ فى معنى من

---

(١) ابن حيوس هو أبو الفتيان محمد بن سلطان ، وقوله — طالما — بمعنى طال وكثر وما كافة ، واعتمادى مصدر بمعنى اسم المفعول مبتدأ ومابعده خبر ، وهى جملة معترضة بين القول ومقوله ، والنائل العطاء ، والنزال مصدر نازله فى الحرب بمعنى نزل فى مقابلته وقاتله ، ومثار النقع منتشر الغبار يعنى غبار الحرب ، والأكناف جمع كَنَف وهو الجانب وخضرتها كناية عن سواد دروعها ، لأن العرب تسمى الضارب إلى السواد أخضر ، والنصال جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسكين وربما سمى السيف نصلا ، وحمرتها كناية عن قتل الأعداء بها ، هذا وقوله — بيض الوجوه — يرجع إلى يوم نائلهم ، ومابعده يرجع إلى يوم نزالهم ، والشاهد فى التقابل بين بيض وسود وخضر وحمر ، والأول كناية عن كرمهم ، وما بعده كناية عن شجاعتهم .

(٢) تورية بالذهب .

(٣) خضرة العيش كناية عن طيبه .

(٤) هو الخالص العداوة .

(٥) كناية عن الموت الطرىّ أى الجديد .

المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية[١] أما تدبيج الكناية فكبيت أبي تمام وبيتى ابن حيُّوسٍ ، وأما تدبيج التورية فكلفظ الأصفر فى قول الحريرى [٢]

ما يلحق بالطباق : وَيُلحَقُ بالطباق شيئان .

أحدهما [٣] نحو قوله [٤] تعالى (أَشِدَّاءُ على الكفَّارِ رُحَمَاءُ بَينَهُمْ) فإن الرحمة مسببة عن اللين [٥] الذى هو ضد الشدة، وعليه قوله [٦] تعالى (وَمِنْ رَحمَتِهِ

---

(١) المراد بالألوان ما فوق الواحد فيشمل الاثنين ، واحترز بذكرها بقصد ذلك عن ذكرها بقصد الحقيقة أو المجاز ، لأن ذكرها بقصد الحقيقة ليس من المحسنات البديعية ، وذكرها بقصد المجاز المانع من إرادة الألوان من المحسنات اللفظية ، وقيل إذ ذكرها بقصد الحقيقة لا يمنع من كونها تدبيجا ، كقول الشاعر:

وَمَنثورُ دمعى غَدَا أحمراً   على آس عارضك الأخضرِ

وإنما لم يجعل التدبيج قسما خاصاً من المعنوى لأنه يدخل فى الطباق ، لما بين الألوان من التقابل .

(٢) لأن له معنى قريبا وهو محبوب اصفر من البشر ومعنى بعيد وهو الذهب، والبعيد هو المراد هنا ، وفى كلام الحريرى تدبيج الكناية أيضا ، لأن خضرة العيش كناية عن طيبه ونعومته ، واغبراره كناية عن ضيقه ونقصانه ، وسواد يومه كناية عن حزنه ، وبياض فوده كناية عن ضعف حاله .

(٣) هو أن يجمع بين معنيين لا يتنافيان فى ذاتهما ولكن يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر بسببه أو لزوم أو نحوهما .

(٤) ى — ٢٩ — س — ٤٨

(٥) اعترض عليه بأن اللين هو رقة القلب ورحمته وانعطافه ، فتكون الرحمة داخلة فيه لا مسببة عنه

(٦) ى — ٧٣ — س — ٢٨

جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون ، والعدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل لأن الحركة ضربان : حركة لمصلحة وحركة لمفسدة ، والمراد الأولى لا الثانية ومن فاسد هذا الضرب قول أبي الطيب :

لِمَن تطلبُ الدنيا إذا لم تُرِد بها سُرُورَ مُحِبٍّ أوإساءة مجرم[1]

فإن ضد المحب هو المبغض ، والمجرم قد لا يكون مبغضاً ، وله وجه بعيد[2]
والثاني ما يُسمَّى إيهام التضاد[3] كقول دِعْبِل :

لا تعجبي يا سلْمُ من رَجُلٍ ضحك المَشيبُ برأسه فبكى[4]

وقول أبي تمام :

مالِنْ ترَى الأحساب بيضاً وُضَّحاً إلابحيثُ ترَى المنَايا سُودَا[5]

---

(١) يخاطب بهذا كافوراً حين أخر عطاءه عنه ، والاستفهام يراد به النفي

(٢) هو أن بين الإجرام والبغض تلازماً ادعائيا ، كأنه يشير إلى أن المجرم لا يكون إلا مبغضا له لمنافاة حاله لحاله .

(٣) هو أن يجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان .

(٤) هو لدعبل بن علي الخزاعي ، وسلم ترخيم سلمى ، وقوله — ضحك المشيب — استعارة تبعية لظهوره التام برأسه لأن كلا منهما يشبه الآخر في لونه ، والشاهد في أن المراد بالضحك في البيت لا يضاد البكاء ولكن معنيهما الحقيقيين متضادان . والفرق بينه وبين التدبيج أنه يكون بطريق المجاز ، أما التدبيج فيكون بطريق الكناية أو التورية .

(٥) بيض جمع أبيض، ووضح جمع واضح ، وهما استعارتان لنقاء الأحساب من

وقوله أيضاً فى الشيب :

له منظرٌ فى العين أبيضُ ناصع ولـكنه فى القلب أسود أسفع[١]

وقوله :

وتنظَّرى خببَ الرِّكابِ يَنُصُّها مُحيي القريض إلى مُميتِ المالِ[٢]

ما يخص من الطباق باسم المقابلة : ودخل فى المطابقة ما يُخَصُّ باسم المقابلة ، وهو أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب ، والمراد بالتوافق خلاف التقابل[٣] وقد تتركب المقابلة من طباق

الدنس ، والمنايا جمع منية وهى الموت ، والمنايا السود كناية عن القتل فى الحرب ، والشاهد فى أن المراد من البيض والمراد من السود فى البيت لا تضاد بينهما ، ولكن معنييهما الحقيقيين متضادان .

(١) الأبيض الناصع هو الشديد البياض ، والأسود الأسفع هو الأسود إلى حمرة ، والشاهد فى هذا أنه استعار الأسود الأسفع لما يحدثه منظره فى نفسه من الهم والحزن ، فمعناه الحقيقى هو الذى يقابل ما قبله لا المجازى .

(٢) هو لأبى تمام أيضا ، وقوله — تنظرى — بمعنى انتظرى ، الخبب أن يتراوح الفرس فى عَدْوِه بين يديه ورجليه بأن يقوم على إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة ، والركاب الإبل . وقوله — ينصها — بمعنى يستحثها شديدا ، ومحيى القريض كناية عن نفسه ، ومميت المال كناية عن ممدوحه ، والشاهد فى أن المراد من المحيى والمراد من المميت فى البيت غير متضادين ولكن معنييهما الحقيقيين متضادان ، وقبل البيت :

لا تنكرى عَطَلَ الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى

(٣) فلا يشترط فيه أن يكونا متناسبين كما سيأتى فى مراعاة النظير ، فإن كانا كذلك سمى مراعاة نظير أيضاً .

وملتحق به ، مثال مقابلة اثنين باثنين قوله[١] تعالى (فَلْيَضحكوا قليلا وَلْيبكوا كثيراً) وقول النبي عليه السلام « إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه » وقول الذبيانى :

فتىً تَمّ فيه ما يَسُرُّ صَدِيقَهُ ... على أنَّ فيهِ ما يسوء الأعاديا[٢]

وقول الآخر :

فوا عجباً كيف اتفقنا فناصحٌ ... وفىٌّ ومَطْوىٌّ على الغلِّ غادرُ[٣]

فإن الغل ضد النصح والغدر ضد الوفاء .

ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبي دلامة

ما أحسنَ الدِّين والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبحَ الكفر والافلاس بالرَّجُل[٤]

وقول أبى الطيب :

---

(١) ى — ٨٢ — س — ٩

(٢) هو للنابغة الذبيانى ، وقد نُسب فى الحماسة للنابغة الجعدى ، وروايتها — فتى كان فيه — وفتى منصوب بفعل محذوف تقديره اذكرفتى ، والمراد مايسر صديقه من نفعه له ، وما يسوء أعاديه من إيقاع الضرربهم ، والشاهد فى له — يسر صديقه ويسوء الأعاديا .

(٣) لايعلم قائله ، والغل الحقد ، والفاء فى قوله — فناصح — تعليل للتعجب من اتفاقهما ، وكل من ناصح ومطوى خبر مبتدإ محذوف تقديره فأنا ناصح وفى وأنت مطوى على الغل غادر .

(٤) فأقبح يقابل أحسن ، والكفر يقابل الدين ، والإفلاس يقابل الدنيا ، وأبو دلامة هو زند بن الجون ، وقد سأله المنصور عن أشعر بيت قالته العرب فى المقابلة ، فأنشده هذا البيت .

فلا الجود يُفنى المالَ والجَدُّ مُقْبِلٌ   ولا البخل يُبقى المالَ والجود مُدْبِرُ(١)

ومثال مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى(٢) (فَأَمَّا من أعطى واتقى وَصَدَّقَ بالحُسنى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسرى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاستغنى ، وَكَذَّبَ بالحسنى ، فَسَنُيَسِّرُهُ للعُسرى) فإن المراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتَّقِ ، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق(٣)

قيل : وفى قول أبى الطيب :

أزورهُمُ وسوادُ الليل يَشفعُ لى   وأنثنى وبياضُ الصبح يُغرى بى (٤)

مقابلة خمسة بخمسة ، على أن المقابلة الخامسة بين — لى وبى — وفيه نظر ، لأن اللام والباء فيهما صلتا الفعلين فهما من تمامهما ، وقد رُجِّحَ بيت أبى الطيب على بيت أبى دُلامةَ بكثرة المقابلة مع سهولة النظم . وبأن قافية هذا ممكنة وقافية ذاك مُستَدعاةٌ ، فإن ما ذكره غير مختص بالرجال(٥) وبيت أبى دلامة

---

(١) الجد الحظ ، والشاهد فى أن كلا من البخل ويبقى ومدبر يقابل كلا من الجود ويفنى ومقبل .

(٢) ى — ٥ ، ٦ — س — ٩٢

(٣) حينئذ يكون مقابلا لقوله (اتقى) بما يستلزمه من عدم الاتقاء ، والاستغناء كما يطلق على هذا يطلق على كثرة المال وليس مرادا .

(٤) قوله — يشفع لى — بمعنى يعينه على اجتماعه بهم لأنه يستره عن الرقباء ، وقوله — يغرى بى — بمعنى يحضهم عليه لئلا يراه رقباؤهم ، وبهذا قابل يغرى يشفع .

(٥) يريد بالقافية الممكنة ما كانت متمكنة فى مقامها ، وبالمستدعاة ما كانت مجلوبة لأجل الوزن والقافية لا لمقام يقتضيها ، والمقام فى بيت أبى دلامة يقتضى لفظا أعم من الرجال .

على بيت أبي الطيب بجودة المقابلة ، فإن ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح .

ومن لطيف المقابلة ما حكي عن محمد بن عمر ان الطلحي إذ قال له المنصور : بلغني أنك بخيل . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أجمد في حق ، ولا أذوب في باطل .

وقال السكاكيني(١) المقابلة أن يجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده(٢) كقوله تعالى (فأما من أعطى) الآيتين ، لما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق ، جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين أضداد تلك وهي المنع والاستغناء والتكذيب .

مراعاة النظير أو التناسب ومنه مراعاة النظير وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضاً ، وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد(٣) كقوله(٤) تعالى (الشمسُ والقمرُ بحسبان) وقول بعضهم للمهلبي الوزير: أنت أيها الوزير إسماعيليُّ الوعد ، شعيبي التوفيق ، يوسفيُّ العفو ، محمديُّ

---

(١) ٢٢٥ — المفتاح .

(٢) المراد بالشرط الاجتماع في أمر لا الشرط المعروف ، وبهذا لا يكون في بيت أبي دلامة مقابلة عند السكاكي ، لأنه اشترط في الدين والدنيا الاجتماع ولم يشترط في الكفر والافلاس ضده بل شرط فيهما الاجتماع أيضاً .

هذا وقد تكون المقابلة بين ستة وستة وهو آخر ما وجد منها في كلامهم ، كقول عنترة :

على رأس عبدٍ تاجُ عزٍّ يزينه ُ وفي رِجل حرٍّ قيد ذلٍّ يشينه

(٣) قيد بذلك ليخرج الطباق لأن المناسبة فيه بالتضاد .

(٤) ى — ٥ — س — ٥٥

الخلق[١] وقول أسَيْد بن عَنقاء[٢] الفزارى :

كأن الثُرَيا عُلِّقَتْ فى جبينهِ وفى خدِّهِ الشِّعْرَى وفى وجهه البدْرُ[٣]

وقول الآخر فى فرس :

مِنْ جُلَّنارِ ناضرٍ خَدُّهُ وأذْنُهُ من وَرَقِ الآسِ[٤]

وقول البحترى فى صفة الإبل الأنضاء :

كالقِسِىِّ المُعَطَّفاتِ بل الأسْهُم مَبْرِيَةً بَلِ الأوْتَارِ[٥]

---

(١) التناسب بين إسماعيل وشعيب ومحمد لأنهم أنبياء ، وبين الوعد والتوفيق والعفو والحلق لأنها أخلاق .

(٢) هى أمه وقد اشتهر بنسبته إليها ، وإسم أبيه بجرة .

(٣) رواية الحماسة ــ القمر ــ بدله البدر ، وهى المناسبة لباقى الأبيات ومطلعها :

رآنى على مابى عُمَيْلَةُ فاشتكى إلى حاله حالى أسَرَّ كما جَهَرْ

والثريا كواكب فى عنق الثور ، والشعرى كوكب فى الجوزاء ، والشاهد فى جمع الثريا والشعرى والقمر لتناسبها فى أنها كوكب ، وفى جمع الجبين والخد والوجه أيضاً .

(٤) هو لإبراهيم بن أبى الفتح المعروف بابن خفاجة فى وصف فرس أشقر ، والجلنار زهر الرُمان ، والآس الريحان ، والمراد تشبيه خده بالجلنار فى طراوته وأذنه بورق الآس فى انتصابها ، والشاهد فى تناسب الجلنار والآس وفى تناسب الخد والأذن .

(٥) القسى جمع قوس ، والبرية المنحوتة ، والأوتار جمع وتر وهو الخيط الجامع بين طرفى القوس ، والإضراب فى ذلك للترقى ، لأن السهام أرق من القسى والأوتار أرق من السهام ، والمراد تشبيه الإبل الأنضاء ــ وهى المهازيل جمع نضو ــ بذلك فى الرقة ، والشاهد فى تناسب القسى والسهام والأوتار .

وقول ابن رشيق :

أَصَحُّ وأقوى ما سمعناه فى الندى ... مِنَ الخبر المأثور مُنْذُ قديمِ
أحاديثُ ترويها السُّيولُ عن الحيا ... عن البحر عن كفِّ الأمير تَميم [١]

فإنه ناسب فيه بين الصحة والقوة والسماع وَالخبر المأثور والأحاديث والرواية ، ثم بين السول والحيا والبحر وكف تميم ، مع مافى البيت الثانى من صحة الترتيب فى الْعَنْعنةِ ، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع فى سند الأحاديث ، فإن السيول أصلها المطر أصله، والمطر أصله البحر على ما يقال [٢] ولهذا جعل كف الممدوح أصلا للبحر مبالغة.

ما يسمى من التناسب تشابه الأطراف : ومن مراعاة النظير ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف ، وهو أن يُختَم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى ، كقوله [٣] تعالى (لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) فإن اللطف يناسب مالا يُدْرَكُ بالبصر [٤] والخبرة تناسب من يُدْرِكُ شيئاً ، فإن من يدرك شيئاً يكون خبيراً به ، وقوله [٥] تعالى (لَهُ ما فى السَّمَاوَاتِ وَما فى الأرض وإن اللهَ لَهوَ الغنىُّ الحميدُ) قال (الغنى الحميد) لينبه على أن ماله ليس لحاجة بل هو غنى عنه جواد به ، فإذا جاد به حمده الْمُنْعَمُ عليه .

---

(١) هما لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى ، والندى الكرم ، وقوله — من الخبر — بيان لما فى قوله — ما سمعناه — والمأثور المروى ، والحيا المطر ، والأمير تميم هو أبو على تميم بن المعز بن باديس .

(٢) لأنه يحدث من تكاثف البخار المتصاعد منه بتأثير البرد .

(٣) ى — ١٠٣ — س — ٦ .

(٤) لأن اللطف فى الأصل دقة الشيء ولكن المراد باللطف هنا ما لا تدركه الأبصار مطلقاً لاستحالة الأول على الله تعالى ، ويجوز أن يكون من اللطف بمعنى الرأفة فيكون من إيهام التناسب الآتى لا من التناسب .

(٥) ى — ٦٤ — س — ٢٢ .

ومن خفى هذا الضرب[١] قوله[٢] تعالى (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فإن قوله (وإن تغفرهم) يوهم أن الفاصلة — الغفور الرحيم — ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة ، لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه ، فهو العزيز لأن العزيز فى صفات الله هو الغالب ، من قولهم — عَزَّهُ يَعُزُّهُ عَزّاً — إذا غلبه ، ومنه المثل من عَزَّ بَزَّ — أى من غلب سلب[٣] ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً ، لأن الحكيم من يضع الشىء فى محله والله تعالى كذلك ، إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة فى بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، فكان فى الوصف بالحكيم احتراس حسن[٤] أى وَإِن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا مُعترَضَ عليك لأحد فى ذلك ، والحكمة فيما فعلته .

— إيهام التناسب : ومما يلحق بالتناسب نحو قوله[٥] تعالى (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) ويسمى إيهام التناسب[٦] .

إرجاع التفويف إلى التناسب والمطابقة : وأمّا ما يسميه بعض الناس التفويف ، وهو أن يُؤْتَى فى الكلام بمعانٍ متلائمة فى جمل مستوية المقادير أو متقاربتها ، كقول من يصف سحاباً :

---

(١) يعنى هذا الضرب من مراعاة النظير وهو تشابه الأطراف .

(٢) ى — ١١٨ — س — ٥ .

(٣) يضرب لمن يتغلب على غيره فلا يقدر على منع شىء منه .

(٤) الاحتراس نوع من الأطناب السابق فى الجزء الثانى .

(٥) ى — ٥ ، ٦ — س — ٥٥ .

(٦) هو أن يجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان ولكنهما غير مقصودين ، فالمراد من النجم فى الآية النبات الذى لا ساق له ، ولا مناسبة بينه وبين الشمس والقمر بهذا المعنى ، ولكنه يناسبهما إذا كان بمعنى الكوكب .

تَسَرْبَلَ وشيئاً من خُزُوزٍ تَطَرَّزَتْ ... مطارِفُهَا طُرْزاً من البرق كالتبرِ
فَوَشْيٌ بلا رقم وَنقْشٌ بلا يَدٍ ... وَدَمْعٌ بلا عين وضحكٌ بلا ثغرِ (١)

وكقول عنترة :

إنْ يلْحَقوا أكْرُرْ وإن يَسْتَلْحِقوا ... أشْدُدْ وإن نزلوا بِضَنْكٍ أنزِلِ (٢)

وكقول ابن زيدون :

تِهْ أحتَمِلْ واحتَكِمْ أصبِرْ وَعِزَّ أهُنْ
وَدِلَّ أخضَعْ وقُلْ أسْمَعْ وَمُرْ أُطِعِ (٣)

وكقول ديك الجن :

أحْلُ وامْرُرْ وَضُرَّ وَانفَعْ ولِنْ وَاخْـ ... شُنْ وَرِشْ وَابْرِ وانتَدِبْ لِلْمَعَالى (٤)

---

(١) هما لأبى العباس الناشىء كما فى ـ زهر الآداب ـ وقيل : إنهما لغيره ، والضمير فى ـ تسربل ـ للسحاب ، والوشى نوع من الثياب منقوش ، والخزوز جمع خزو وهو الحرير ، والمطارف جمع مِطْرَف وهو رداء من خز ذو أعلام ، وطرز جمع طِراز وهو عَلَمُ الثوب ، والمراد ـ تطرزت بطرز ـ فهو من باب الحذف والإيصال ، والرقم مصدر ـ رقم الثوب ـ بمعنى خَطَّطه ، والدمع استعارة للمطر ، والضحك استعارة للبرق ، والشاهد فى البيت الثانى لأنه أربع جمل متساوية معانيها متلائمة .

(٢) هو لعنترة بن شداد العبسى والضمير فى ـ يلحقوا ـ لقومه أى يلحقوا عدوهم ، وقوله ـ أكرر ـ بمعنى أحمل عليه ، وقوله ـ يستلحقوا ـ بمعنى يطلبون لحوقهم لنجدتهم ، وقوله ـ أشدد ـ بمعنى أركض ، والشاهد فى اجتماع الجمل الثلاث .

(٣) هو لأبى الوليد أحمد بن عبدالله المعروف بابن زيدون ، وقوله ـ ته ـ بمعنى تكبر ، وقوله ـ عز ـ بمعنى صر عزيزاً ، وقوله ـ دل ـ أمر من الدلال وهو إظهار المرأة الخلاف فى تلطف كأنها تخالف وما بها من خلاف ، والشاهد فى اجتماع هذه الجمل الست ، ولكن اجتماع هذا كله فى بيت واحد لا يخلوا من تكلف وثقل :

(٤) هو لعبد السلام بن رغبان الحمصى المعروف بديك الجن ، وقوله ـ رش ـ أمراً من ـ راش ـ بمعنى أصلح والمراد أعِنْ وأغْنِ ، وقوله ـ أبر ـ أمر من ـ برى السهم ـ

فبعضه من مراعاة النظير[1] وبعضه من المطابقة[2] .

الأرصاد أو التسهيم : ومنه الإرصاد ويسمى التسهيم أيضاً[3] وهو أن يُجْعَلَ قبل العَجُز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عُرِفَ الرَّوِيُّ[4] كقوله[5] تعالى (وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كانوا أنفُسَهُمْ يَظلِمُونَ) وقوله[6] (وَمَا كَانَ النَّاسُ إلا أُمَّةً وَاحِدَةً فاخْتَلَفُوا وَلولا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فيما فيهِ يَخْتَلِفُونَ) وقول زهير :

سَئِمْتُ تَكاليفَ الحياةِ وَمَنْ يَعِشْ ... ثمانين حَوْلاً لاَ أَبالَكَ يَسْأَمِ[7]

وقول الآخر :

= تحته والمراد أفقر ، وقوله ـ انتدب ـ أمر من ـ انْتَدَبَ ـ يقال ـ ندبة لأمر فانتدب ـ أى دعاه فأجاب ، والشاهد فى اجتماع هذه الجمل الخمس ، ويرد عليها ما ورد على البيت السابق .

(١) كما فى الشاهد الأول .

(٢) كما فى الشاهد الرابع ، ولا يخفى ما فى الشاهد الثانى والثالث منهما أيضاً .

(٣) يسميه قدامة والعسكرى ـ التوشيح ـ وهو مايكسب الشعر حلاوة والنثر طلاوة ، ولهذا افتخر به ابن نُباته السعدى فى قوله :

خذها إذا أنشدت فى القوم من طرب ... صدورُها عُرِفتْ منها قوافيها

(٤) المراد بالعجز آخر كلة من الفقرة أو البيت .

(٥) ى ـ ٤٠ ـ س ـ ٢٩ ، والأرصاد فى هذه الآية قوله ـ ليظلمهم ـ لأنه يدل على أن مادة العجُز من مادة الظلم ، ويعين كونَ المادة من الظلم مختومة بنون بعد واو معرفةُ الروى فى الآية قبلها وهو النون ، والأرصاد فى الآية بعدها قوله ـ فاختلفوا .

(٦) ى ـ ١٩ ـ س ـ ١٠ .

(٧) التكاليف جمع تكليف وهو الأمر الشاق ، وقوله ـ لا أبالك ـ جملة دعائية معترضة بين الشرط والجواب ، والإرصاد قوله ـ سئمت .

إذا لم تستطع شيئاً فَدَعْهُ   وَجَاوِزْهُ إلى ما تستطيع[1]

وقول البحترى :

أبكيكما دمعاً ولو أنى على   قدرِ الجوَى أبكى بكيتُكما دماً[2]

وقوله :

أحلّت دمى من غير جُرْم وحرّمتْ   بلا سببٍ يوم اللقاء كلامى

فليس الذى حلّلتِهِ بمُحَلَّلٍ   وليس الذى حرّمتهِ بحرام[3]

المشاكلة : ومنه المشاكلة ، وهى ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته[4] تحقيقاً أو تقديراً .

أما الأول فكقوله :

قالوا : اقترِحْ شيئاً نُجِدْ لك طبخهُ   قلت : اطبخوا لى جُبّةً وقميصاً[5]

كأنه قال : خيطوا لى . وعليه قوله[6] تعالى (تعلمُ ما فى نفسى ولا أعلمُ ما فى

---

(١) هو لعمرو بن معد يكرب ، وقوله ــ دعه ــ بمعنى اتركه ، والإرصاد قوله ــ إذا لم تستطع .

(٢) الجوى الحرقة من عشق أو حزن ، والإرصاد قوله ــ أبكيكما دمعاً ــ لأنه لا يبقى عندهم بعده إلا بكاء الدم ، أو قوله ــ ولو أنى على قدر الجوى أبكى .

(٣) هما للبحترى أيضاً ، والجرم الذنب ، والإضافة فى قوله ــ كلامى ــ من إضافة المصدر إلى مفعوله والمراد كلامها له ، والأرصاد قوله ــ حرمته .

(٤) مثل ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته ذكره بلفظ مضاد للصاحب له أو مناسب له كما سيأتى .

(٥) هو لأبى الرَّقَعمق أحمد محمد الأَنطاكىّ ، وقوله ــ اقترح ــ أمر من ــ اقترح عليه شيئاً ــ إذ سأله من غير روية وطلبه على سبيل التكليف ، وقوله ــ نجد ــ بمعنى نحسن .

(٦) ى ــ ١١٦ ــ س ــ ٥ ، والحق أن ما فى الآية ليس من المشاكلة ، لأن =

نفسِكَ) وقوله (وجزاءُ سيئةٍ سيئة [1] مثلها) ومنه قول أبى تمام :

مَن مُبْلِغٌ أفناءَ يعرُبَ كلَّها   أنى بَنيتُ الجارَ قبل المنزلِ [2]

وشهد رجل عند شُرَيح فقال : إنك لَسَبِطُ الشهادة [3] فقال الرجل : إنها لم تَجَعَّدْ عنى [4] فالذى سوغ بناءَ الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ، ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار ، ولولا سبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها .

ومنه قول بعض العراقيين فى قاض شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته :

أتُرَى القاضى أعمى   أم تُرَاهُ يتعامى

سرقَ العيد كأنَّ الـ   عيدَ أموالُ اليتامى [5]

= إطلاق النفس على ذات الله ورد فى قوله تعالى ــ ى ــ ٣٠ ــ س ــ ٣ ــ (وَيحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ) فيكون إطلاقه على معناه لا على معنى غيره .

(١) ى ــ ٤٠ ــ س ــ ٤٢ ، والمشاكلة فى إطلاق لفظ سيئة الثانى على جزاء السيئة .

(٢) الأفناء جمع فنء وهو الجماعة ، والشاهد فى قوله ــ بنيت الجار ــ لأنه لا يبنى وإنما شاكل به ــ قبل المنزل ــ لأن تقديره ــ قبل بناء المنزل ، والمقدر كالمذكور ، وقيل : إن هذا من القسم الثانى وهو ظاهر الضعف .

(٣) أى مستمر فى حفظها أو قبولها دائماً ، لأن السبوط فى الأصل انطلاق الشعر وامتداده .

(٤) يعنى أنها لم تقصر عن إدراكه وحفظه ، والتجعد فى الأصل ضد السبوطة ، وهذا من المشاكلة بلفظ مضاد للمذكور معه .

ومن المشاكلة بلفظ مناسب للمذكور معه ما ورد أن رجلا قال لوهب : أليس قد ورد أن ــ لا إله إلا الله ــ مفتاح الجنة . فقال له وهب : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان ، فإذا جئت بالأسنان فتح لك ، إلا لم يفتح لك . فقد عبر عن ــ لا إله إلا الله ــ بالمفتاح ، وعبر عن الأعمال بالأسنان مشاكلة بالمناسب .

(٥) هما كما جاء فى ــ اليتيمة ــ للصاحب بن عباد ، وقوله ــ ترى ــ على صورة المبنى للمفعول بمعنى تظن ، والشاهد فى جعل العيد مسروقاً لوقوعه فى صحبة أموال اليتامى .

وأما الثانى فـكقوله[1] تعالى (صِبْغَةَ الله) وهو مصدر مؤكِّد[2] منتصب عن قوله (آمنَّا بالله) والمعنى — تطهير الله — لأن الإيمان يطهر النفوس ، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه الْمَعْمُودِيَّةَ ويقولون : هو تطهير لهم . فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم : قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا . أو يقول المسلمون : صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم يصبغ صبغتكم . وجيء بلفظ الصبغة[3] للمشاكلة وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ ، لأن قرينة الحال التى هى سبب النزول من غمس النصارى أولادهم فى الماء الأصفر دلت على ذلك ، كما تقول لمن يغرس الأشجار — إغرس كما يغرس فلان — تريد رجلا يصطنع الكرام[4] .

الاستطراد : ومنه الاستطراد ، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يُقصدْ بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثانى[5] كقول الحماسى :

---

(١) ى — ١٣٨ — س — ٢ .

(٢) لأنه اسم هيئة على وزن فعلة ، وإنما قال — منتصب عن قوله الخ — لأن ناصبه محذوف دل عليه قوله (آمنا) تقديره صبغنا الله بالإيمان صبغة .

(٣) أى بدل لفظ التطهير .

(٤) يقال — اصطنعه لنفسه اختاره لنفسه — ولكن هذا من القسم الأول كما هو ظاهر ، وإنما يعد من الثانى أن ترى إنساناً يغرس شجراً فتقول لآخر — إغرس الى الكرام — هذا وإنما عدت المشاكلة من المحسنات البديعية لأنها تنقل المعنى إلى لباس له غير مألوف ، فيحدث عجباً أو طرباً ، وقد قيل : إن المشاكلة مجاز مرسل علاقته المجاورة ، والحق أنها ليست منه ، لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلول اللفظين لا بين اللفظين كما فى المشاكلة ، فهى تصح بمجرد وقوع اللفظ فى صحبة آخر ولو لم توجد علاقة بين مدلوليهما كما فى قوله — قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه — البيت . وقد توجد علاقة بين مدلوليهما كما فى قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فإن السيئة الأولى المعصية والثانية جزاؤها وبينهما علاقة السببية .

(٥) احترز بقوله — لم يقصد الخ — عن إيهام الاستطراد الآتى .

وإنَّا لقومٌ ما نرى القتل سُبَّة   إذا ما رأته عامرٌ وسَلُول[1]

وقول الآخر :

إذا ما اتقى اللهَ الفتى وأطاعهُ   فليس به بأسٌ وإن كان من جَرْمِ[2]

وعليه قوله[3] تعالى (يا بني آدمَ قدْ أنزلنا عليكم لِباساً يُوارِي سَوْآتِكم وَرِيشاً وَلِبَاسُ التقوَى ذٰلكَ خيرٌ مِن آياتِ اللهِ لعلهُمْ يَذكَّرُونَ) قال الزمخشرى : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عَقيبَ ذكر السوآت وخصف الورق عليها إظهاراً للمِنةِ فيما خلق الله من اللباس ، ولما فى العُرْى وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى .

إيهام الاستطراد : هذا أصله[4] وقد يكون الثانى هو المقصود فيُذكَرُ الأول قبله ليتوَصَّلَ إليه ، كقول أبى إسحاق الصابى :

إنْ كنتُ خُنْتُكَ فى المودة ساعةً   فذَمَمْتُ سيف الدولة المحمودا
وزعمتُ أنَّ له شريكا فى العُلَى   وجحدتُه فى فضله التَّوْحيدا
قَسَماً لَوَ أنى حالفٌ بِغَموسِها   لِغَريمِ دَيْنٍ ما أراد مَزِيدَا[5]

---

(١) هو السَّمَوْءل بن عادياء ، والسبة العيب . والشاهد فى أنه أراد مدح قبيلته فاستطرد إلى ذم قبيلتى عامر وسلول .

(٢) هو زياد الأعجم ، والبأس الشدة والخوف ، والشاهد فى أنه أراد الوعظ فاستطرد إلى ذم قبيلة جرم .   (٣) ى - ٢٦ - س - ٧ .

(٤) اسم الإشارة يعود إلى كون الأول لم يقصد بذكره التوصل إلى ذكر الثانى ، يعنى أن هذا أصل الاستطراد .

(٥) هى لإبراهيم بن هلال المعروف بأبى إسحاق الصابى ، وقوله ـ ذممت ـ جملة دعائية . وقيل إنه يعنى بسيف الدولة السلطان محمود بن سُبُكتكين ، وكان يلقب بذلك ثم لقب يمين الدولة ، والتوحيد مفعول ثان لقوله ـ جحدته ـ يعنى توحيد الناس إياه فى الفضل ، والغموس اليمين الكاذبة التى يتعمدها صاحبها ، يعنى أنه أقسم له على عدم =

ولا بأس أن يسمى هذا إيهام الاستطراد(١) .

المزاوجة : ومنه الْمُزَاوجَةُ ، وهى أن يُزَاوجَ بين معنيين(٢) فى الشرط والجزاء(٣) كقول البحترى :

إذا ما نهى الناهى فلجَّ بىَ الهوَى أصاختْ إلى الواشى فلجّ بها الهجر(٤)

وقوله أيضاً :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرتِ القربى ففاضتْ دموعها(٥)

العكس والتبديل : ومنه العكس والتبديل ، وهو أن يُقدَّمَ فى الكلام جُزْءٌ ثم

= خيانته بيمين لو حلف بها لصاحب دين على براءة ذمته لا كتفى بها ، لأن عظم شأنها وإثمها يقوم عنده مقام دينه ، والشاهد فى ذكره حديث خيانته ليتوصل به إلى مدح سيف الدولة .

(١) هو حسن التخلص الآتى فى الخاتمة .

(٢) أى توقع المزاوجة بينهما على أن الفعل ـ يزاوج ـ مسند إلى ضمير المصدر أو إلى ـ بين ـ على أنه ظرف متصرف .

(٣) أى معنيين واقعين فى الشرط والجزاء ، وظرفية المعنيين فى الشرط والجزاء من ظرفية المدلول فى الدال ، فالمعنيان هما معنى الشرط ومعنى الجزاء ، والمزاوجة بينهما هى أن يرتب على كل منهما معنى مرتب على الآخر .

(٤) قوله ـ لج ـ بمعنى ألح عليه واشتد ، وفى العبارة قلب والأصل فلججت بالهوى ولجت بالهجر ، وقوله ـ أصاخت ـ بمعنى استمعت ، والواشى النمام ، والشاهد فى ترتيبه اللجاج على نهى الناهى وهو الشرط ، وعلى الإصاخة إلى الواشى وهى الجزاء .

(٥) هو للبحترى أيضاً ، وقوله ـ احتربت ـ بمعنى حاربت ، وقوله فاضت بمعنى سالت والشاهد فى ترتيبه فيض ذلك على الاحتراب وهو الشرط ، وعلى تذكر القربى وهو الجزاء ، والبيت من قصيدة له فى مدح المتوكل حين أصلح بين بنى تغلب ، والضمير فى قوله ـ احتربت ـ يعود إلى فرسان هيجاء فى قوله قبله :

وفرسانِ هيجاء تجيش صدورُها بأحقادها حين تضيق دروعُها

تقتّل من وِتر أعزَّ نفوسها عليها بأيدٍ ما تكاد تطيعها

يؤخر[1] ويقع على وجوه :

منها أن يقع بين أحد طرفى جملة وما أضيفَ إليه ، كقول بعضهم — عاداتُ السادات ساداتُ العادات .

ومنها أن يقع بين متعلقى فعلين فى جملتين ، كقوله[2] تعالى (يُخرِجُ الحىَّ مِنَ الميتِ وَيخرِجُ الميتَ من الحىِّ) وكقول الحماسى :

فَرَدَّ شعورَهُنَّ السودَ بيضاً . ورد وجوههن البيض سودَا[3]

ومنها أن يقع بين لفظين فى طرفى جملتين ، كقوله[4] تعالى (هُنَّ لِباسٌ لكُمْ وأنتمْ لِباسٌ لهُنَّ) وقوله (لاهُنَّ حِلٌ لهُمْ ولا هُمْ يَحِلُّونَ لهُنَّ[5]) وقوله (ما عليكَ مِنْ حسابهمْ مِنْ شىء وما مِنْ حِسابِكَ عليهمْ مِنْ شىءٍ[6]) وقول الحسن البصرى إن مَنْ خوَّنَكَ حتى تلقى الأمن خير ممن أمَّنكَ حتى تلقى الخوف . وقول أبى الطيب

فلا مجدَ فى الدنيا لمن قلَّ ماله ولا مال فى الدنيا لمن قل مجدُه[7]

---

(١) أى على ما قدم عليه فلا يكون من العكس والتبديل قوله تعالى — ى — ٣٧ — س — ٣٣ — (وَتخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحقُّ أنْ تخشاهُ) بل هو من ردّ العجُز على الصدر كما سيأتى ، ولابد أن يكون الجزء كلة ، فيخرج تقديم الحروف الآتي أيضاً .

(٢) ى — ٣١ — س — ١٠ .

(٣) قيل : أنه لعبد الله بن الزّبير الأسدى أو لفضالة بن شريك فى رثاء يزيد بن معاوية، والضمير فى — شعورهن — لنسوة آل حرب فى قوله قبله :

رَمَى الحَدَثَانُ نِسوَةَ آلِ حَربٍ . بِمقْدَارٍ سَمَدْنَ له سُمُودَا .

وحرب جد معاوية بن أبى سفيان . والحدثان الدهر ، والمقدار القدر ، وقوله — سمدن — بمعنى ذهلن .

(٤) ى — ١٨٧ — س — ٢ . (٥) ى — ١٠ — س — ٦٠ .

(٦) ى — ٥٢ — س — ٦ .

(٧) يعنى أن المجد والمال متلازمان ، لأن الناس يحتقرون من لا مال له ، ولا مجد

وقول الآخر :

إنَّ الليالى لِلأنامِ مَناهِلٌ ... تُطْوَى وَتُنْشَرُ دونها الأعمارُ
فقِصارُهُنَّ مع الهموم طويلةٌ ... وطوالهن مع السرور قِصارُ (١)

الرجوع : ومنه الرجوع ، وهو العود على الكلام السابق بالنقض لِنُكتةٍ (٢) كقول زهير :

قِفْ بالديار التى لم يَعفُها القِدَمُ ... بَلى وغيَّرها الأرْوَاحُ والدِّيَمُ (٣)

قيل : لَمَّا وقف على الديار تسلطت عليه كآبة أذهلته فأخبر بما لم يتحقق فقال — لم يعفها القدم — ثم ثاب عليه عقله فتدارك كلامه فقال — بلى وغيرها الأرواح والديم — وعلى هذا بيت الحماسة :

أليس قليلا نظرةٌ إنْ نظرتُها ... إليكِ وكلاَّ ليس منك قليلُ (٤)

= لمن يحتقره الناس ، لأن صاحب المجد هو الذى يمكنه بقوته وأعوانه أن يحصل على المال .

(١) الأنام الخلق . والمناهل والموارد ، وقوله ـ تطوى وتنشر ـ بمعنى تقصر وتطول على الاستعارة التبعية ، وقد نسب البيتان فى ـ نفحات الأزهار ـ للمتنبي ولم أجدها فى ديوانه ، وقد نسبا فى ـ الأقصى القريب ـ لعتَّاب بن ورقاء .

(٢) احترز بهذا عن العود بنقصه لمجرد كونه غلطاً فلا يكون من البديع ، لأحسن فيه ، ونكتة الرجوع إما إظهار التحير أو التحسر أو نحوها ، ولكن هذه النكتة لا توجبه فى البلاغة ، وإنما هى شرط فى كونه محسنا ، فيكون من علم البديع لا علم المعانى .

(٣) قوله لم ـ يعفها ـ بمعنى لم يبلها ولم يغيرها ، وقوله ـ وغيرها ـ عطف على محذوف دل عليه ـ بلى ـ والتقدير بلى عفاها القدم وغيرها الأرواح ، وهى جمع ريح برديائها فى الجمع إلى أصلها وهو روح بكسر الراء وسكون الواو والديم جمع ديمة وهى السحابة الكثيرة المطر ، والنكتة فى الرجوع هنا إظهار التحير أو التحسر .

(٤) هو ليزيد بن الصمة المعروف بابن الطثرية ، والاستفهام فى قوله ـ أليس ـ للإنكار ، للنفى ونفى النفى إثبات ، و ـ كلا ـ حرف ردع لنفسه عن عد نظرتها قليلا ، وهو على تقدير ـ أقول كلا ـ والنكتة هنا إظهار التدله والتحير .

ونحوه :

وأفٍ لهذا الدهر لا بَلْ لِأهله[1]

التورية أو الإيهام : ومنه التورية وتسمى الإيهام أيضاً ، وهى أن يُطْلَقَ لفظ له معنيان[2] قريب وبعيد[3] ويُرادَ به البعيد منهما[4] .

وهى ضربان : مُجرَّدَة وَمُرَشَّحَة .

أما المجردة فهى التى لا تجامع شيئا مما يلائم المُوَرَّى به — أعنى المعنى القريب[5] كقوله[6] (الرَّحْمَانُ على الْعَرْشِ اسْتَوَى) .

---

(١) لايعرف قائله ، وقوله — أف — اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر ، والشاهد فى أنه جعل التضجر من الدهر ثم رجع عنه وجعله من أهله ، والنكتة هنا إظهار التحير ، وقوله — لابل لأهله — على تقدير — لاأف الدهر بل أف لأهله .

(٢) ليس بقيد لأنها قد تكون بأكثر من معنيين ، ولافرق فيهما بين أن يكونا حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين .

(٣) فلو كانا مستويين لم يكن هذا تورية بل يكون إجمالا .

(٤) لابد فى التورية من قرينة خفية تدل على إرادة المعنى البعيد ، فإذا كانت القرينة ظاهرة لم يكن اللفظ تورية ، وبهذا تمتاز عن المجاز والكناية ، كما تمتاز بأن كل واحد من معنييها يفهم من اللفظ من غير وساطة الآخر أو احتياج إلى علاقة بينهما ، وهذا هو السبب فى أن التورية ليست من علم البيان كالمجاز والكناية ، وإنى أرى أنها تدخل فى إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة ، فيقال فى معنى الاستيلاء مثلا الرحمان استوى على العرش واستولى عليه وهكذا — وبهذا يمكن إدخالها فى علم البيان كالمجاز والكناية ، ومن عدها من البديع نظر إلى أن المعنى القريب لسرعة إدراكه قبل البعيد يكون له كالحجاب ، فيظهر من ورائه للطفه بصورة الوجه المبرقع الجميل .

(٥) أى فقط فيدخل فيها ثلاث صور : أن تكون مجردة عما يلائم القريب والبعيد ، وأن تكون مجردة مما يلائم القريب مقترنة بما يلائم البعيد ، وأن تكون مقترنة بما يلائمهما معاً .

(٦) ى — ٥ — س — ٢٠ ، والمراد من — استوى — استولى ، ومعناه القريب

وأما المرشحة فهى التى قورنَ بها ما يلائم المورى به : إمّا قبلها كقوله[1] تعالى (والسماءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) أى بِقُوَّةٍ[2] (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) قيل : ومنه قول الحماسى

فلما نأتْ عنا العشيرةُ كلُّها أنخنا فحالفْنا السيوفَ على الدهر

فما أسلمتْنا عند يومِ كريهةٍ ولا نحن أغضينا الجفونَ على وِتْرِ[3]

فإن الإغضاء مما يلائم جفن العين لا جفن السيف وإن كان المراد به إغماد السيوف ، لأن السيف إذا أُغمِدَ انطبق الجفن عليه ، وإذا جُرِّدَ انفتح للخلاء الذى بين الدَّفَّتين .

وإما بعدها كلفظ — الغزالة — فى قول القاضى الإمام أبى الفضل عياض فى صَيْفِيَّةٍ باردة .

كأنَّ كانونَ أهدى من ملابِسهِ لشهر تَمُّوزَ أنواعاً من الحُلَلِ

= استقرَّ ، ولم يقرن به ما يلائمه ، والقرينة استحالة الاستقرار الحسى على الله تعالى ، وإنما كانت خفية لأنها تتوقف على أدلة نفى الجرمية عنه تعالى ، وهى مما لا يفهمه كل الناس ، وقيل : إن التورية فى ذلك مرشحة ، لأن قوله (على العرش) يلائم المعنى القريب .

(١) ى — ٤٧ — س — ٥١ .

(٢) هذا ظاهر فى حمل (أيد) على الإفراد ، فيكون مصدر — آدَ أيداً — بمعنى اشتد ، ولكنه على هذا لا يكون من التورية لأنه لا يحتمل إلا هذا المعنى ، وإنما يكون من التورية إذا جعلت (أيد ، جمع يد ، وحينئذ تفسر بالقُوَى جمع قوة ، وقيل : إن ذلك لا تورية فيه ، وإنما هو استعارة تمثيلية شبهت فيها هيئة إيجاد الله السماء بقدرته بهيئة البناء الذى هو وضع لبنه على أخرى باليد ، وكذلك قيل فى الآية السابقة .

(٣) هما ليحيى بن منصور الحنفى ، وقيل : إنهما لموسى بن جابر الحنفى ، وقد غلط أبو تمام فى نسبته يحيى بن منصور إلى بنى حنيفة ، لأنه من بنى ذُهْل ، وقوله — نأت — بمعنى بعدت ، وقوله — أنخنا — كناية عن إقامتهم بدارهم واكتفائهم بأنفسهم ، والكريهة الحرب ، والوتر الثأر .

أو الغزالةَ من طول المدَى خَرِفَتْ ‌ ‌ ‌ ‌ فما تفرِّقُ بين الجَدْى والحَمَلِ[1]

واعلم أن التوهم[2] ضربان : ضرب يستحكم حتى يصير اعتقاداً[3] كما فى قوله :

---

(١) هما للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى السَّبْتِى ، وكانون من أشهر السنة الشمسية يقع فى زمن البرد ، وتموز شهر منها يقع فى زمن الدفء ، والحلل جمع حلة هى كل ثوب جديد أو الثوب عموما ، والغزالة الشمس معطوف على كانون ، وقوله — خرفت — بمعنى قل عقلها على المجاز . والجدى برج ملاصق للدلو ، والحمل أول بروج الربيع ، يعنى أنها خرفت فنزلت فى برج الجدى فى وقت الحلول ببرج الحمل ، والجدى برج البرد ، والحمل برج الدفء ، والتورية المرشحة فى — الغزالة — فإن معناها القريب الظبية والمراد منها الشمس ، وقد قرنت بما يلائم القريب وهو قوله — خرفت — وكذلك ذكر الجدى والحمل ، وفى كل من الحمل والجدى تورية أيضاً ولكنها مجردة ، وقيل : إنها مرشحة بالتورية السابقة .

هذا وقد تقترن التورية بما يلائم المعنى البعيد أو بما يلائم المعنيين فتكون مجردة كما سبق ، ومن الأول قول عماد الدين :

أرى العِقْدَ فى ثَغْرِهِ مُحْكَماً ‌ ‌ ‌ ‌ يُرِينَا الصِّحاحَ من الجَوْهَرِ

فالتورية فى — الصحاح — لأن معناها القريب كتاب الجوهرى فى اللغة ، والمراد منها أسنان محبوبة ، وقد قرنت بما يلائم البعيد وهو قوله — فى ثغره — ومن الثانى قول الشاعر :

وَمُولَعٍ بِفِخَاخٍ ‌ ‌ ‌ ‌ يَمُدُّهَا وَشِبَاكِ

قالتْ لِيَ العين ماذا ‌ ‌ ‌ ‌ يصيد قُلْتُ كَرَاكِى

فالتورية فى — كراكى — لأن معناها القريب أنه جمع كُرْكِى وهو طائر رمادى اللون يأوى إلى الماء ، والمراد منه النوم ، وقوله — يصيد — يلائم القريب ، وكلمة العين تلائم البعيد .

هذا والتورية التى قرنت بما يلائم المعنى القريب قبله أو بعده تسمى مهيَّأة ، والتى قرنت بما يلائم المعنى البعيد قبله أو بعده تسمى مبيَّنة .

(٢) أى الإيهام وهو التورية .

(٣) فلا يدرك عدم إرادة المعنى القريب فيه إلا بتأمل وطول نظر .

خلناهمُ طرًّا على الدُّهْمِ بعدَمَا خَلَعْنا عليهم بِالطعانِ مَلاَبِسا[1]

وضرب لا يبلغ ذلك المبلغ ولـكنه شيء يجرى فى الخاطر وأنت تعرف حاله[2]

كما فى قول ابن الربيع :

لولا التَّطَيُّرُ بالخلافِ وأنهم قالوا : مريضٌ لا يعود مَريضاَ

لقضيت نَحْبِي فى فِنائكَ خدمةً لأكون مندوباً قضى مفْرُوضاَ[3]

ولا بُدَّ من اعتبار هذا الأصل[4] فى كل شىء بُنِىَ على التوهم — فاعلم .

وقال السكاكى[5] أكثر متشابهات القرآن[6] من التورية .

---

(١) لا يعرف قائله ، وقوله — طرا — حال بمعنى جميعاً ، والدهم جمع أدهم ومعناه القريب الفرس الأسود ، ومعناه البعيد القيد من الحديد ، وهو المراد بقرينة ما ذكره من خلع الدماء عليهم بالطعان حتى صارت لهم كالملابس ، لأنه لا يصح مع هذا أن يكون المراد حملهم على الأفراس ، والشاهد فى أن قوله — حملناهم — يفيد استحكام التوهم فى البيت حتى لا يدرك عدم إرادة القريب إلا بتأمل وطول نظر .

(٢) فلا يحتاج عدم إرادة المعنى القريب فيه إلى تأمل وطول نظر .

(٣) هما لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، والتطير التشاؤم ، والخلاف مخالفة العرف والعادة ، والنحب الأجل . والمندوب اسم مفعول من الندب ومعناه القريب المسنون ، ومعناه البعيد المرثى ، وهو المراد هنا . لأن المعنى لأكون ميتاً مرثياً قضى مفروضا عليه وهو الموت حزناً على ذلك المريض والشاهد فى أن عدم إرادة المعنى القريب ظاهر لا يحتاج إلى تأمل وطول نظر .

(٤) هو الاكتفاء بمجرد خطور المعنى بالبال وإن لم يكن مستحكما ، وإنما وجب اعتباره لأن كثيراً من مطالب علوم البلاغة مبنى على الإيهام ، ولو قصر على الضرب الأول تعذر طرده فى جميع هذه المطالب .

(٥) ٢٢٦ — المفتاح .

(٦) يريد بها الآيات التى يفيد ظاهرها إثبات شىء لا يليق بالله تعالى ، كالاستقرار واليد فى الآيتين السابقتين .

الاستخدام : ومنه الاستخدام ، وهو أن يُراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم بضميره معناه الآخر أو يُرادَ بأحد ضميريه أحدهما وبالآخر الآخر[1].

---

(١) لافرق فى المعنيين بين أن يكونا حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين ، وقد يأتى الاستخدام فى لفظ له أكثر من معنيين كما فى قول ابن الوردى :

وَرُبَّ غزالة طلعتْ بقلبي وَهْوَ مَرْعَاهَا
نصبتْ لها شِباَ كا مِنْ لُجَيْن ثم صِدْنَاهَا
فقالتْ لى وقد صِرْنَا إلى عَيْنٍ قصدناها
بَذَلْتَ العين فاكحلها بطلعتها وَمَجْرَاهَا

ففيه استخدامان : أولهما فى لفظ ذى معان وهو لفظ — غزالة — لأنه قال — ورب غزالة — بمعنى ورب شمس على الاستعارة ، ثم قال — وهو مرعاها الخ — فأعاد الضمير عليها بمعنى الظبية على الاستعارة أيضاً ، ثم قال ـ فقالت لى ـ فأعاد عليها الضمير مجردة عن الاستعارة . وثانيهما فى لفظ ذى معنيين وهو لفظ ـ العين ـ فى قوله ـ بذلت العين ـ أى اللجين ، ثم أعاد الضمير عليه بمعنى الناظرة فى قوله ـ فاكحلها .

وقد يكون الاستخدام بالاستثناء ، كقول البهاء زهير :

أبَداً حديثى ليس بِالْ منسُوخِ إلاَّ فى الدّفاترْ

فإنه أراد بالنسخ الأول الإزالة وفى الاستثناء النقل .

وقد يكون باسم الإشارة ، كما فى قوله :

رأى الْعَقِيقَ فأجرى ذاكَ نَاظِرُهُ مُتَيَّمٌ لَجَّ فى الأشواق خَاطِرُهُ

فإنه أراد بالعقيق المكان ثم أعاد اسم الإشارة عليه بمعنى الدم .

وقد يكون بالتمييز ، كما فى قوله :

حَكَى الغزالَ طلعةً وَلَفْتَةً مَنْ ذَا رَآهُ مُقْبِلاً ولا افْتَتَنْ

فإن قوله ـ طلعة ـ يفيد أن المراد بالغزال الشمس ، وقوله ـ لفتة ـ يفيد أن المراد به الظبي .

فالأول كقوله :

إذا نَزل السَّماء بأرض قَوْمٍ رعيناه وإنْ كانوا غِضَابا[١]

أراد بالسماء الغيث وبضميرها النبت[٢] .

والثانى كقول البحترى :

فَسقَى الغَضَا وَالسَّاكِنِيهِ وإن هُمُ شَبُّوهُ بين جَوَانحٍ وَضُلوعٍ[٣]

أراد بضمير الغضا فى قوله — والساكنيه — المكان ، وفى قوله — شبوه — الشجر[٤] .

اللف والنشر : ومنه اللَّفُّ والنَّشْرُ ، وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال[٥] ثم ما لكل واحد من غير تعيين[٦] ثقةً بأن السامع يردُّه إليه

فالأول[٧] ضربان : لأن النشر إمّا على ترتيب اللف ، كقوله[٨] تعالى

---

(١) هو لماوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء ، أو لجرير وهو المشهور ولكنه لا يوجد فى ديوانه ، والمراد منه وصفهم بالغلبة لغيرهم .

(٢) كل من المعنيين مجازى كما هو ظاهر .

(٣) الغضا شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمناً طويلا ، وقوله — شبوه — بمعنى أو قدوه أى أوقدوا مثل ناره وهى نار الحطب والرواية الصحيحة — بين جوانح وقلوب — لأنه من قصيدة له مطلعها :

كَمْ بالكَثِيبِ من اعتراض كَثِيبِ وَقَوَامِ غُصْنٍ فى الثياب رَطِيبِ

(٤) أى ناره كما سبق ، فكل من المعنيين مجازى .

(٥) هذا هو اللف .

(٦) هذا هو النشر ، فلو عين كان من التقسيم الآتى لا من اللف والنشر .

(٧) هو ذكر متعدد على جهة التفصيل ثم ما لكل واحد الخ .

(٨) ى — ٧٣ — س — ٢٨ .

(وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ[١] وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)

وقول ابن حيوس :

فِعلُ المُدَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا … فِى مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرِيقِهِ[٢]

وقول ابن الرومى :

آرَاؤُكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسُيُوفُكُمْ … فِى الحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومُ

فِيهَا مَعَالِمُ لِلْهُدَى وَمَصَابِحٌ … تَجْلُو الدُّجَى وَالأُخْرَيَاتُ رُجُومُ[٣]

وإمّا على غير ترتيبه ، كقول ابن حيوس :

كَيفَ أَسْلُو وَأَنْتِ حِقْفٌ وَغُصْنٌ … وَغَزَالٌ لَحْظاً وَقَدّاً وَرِدْفَا[٤]

---

(١) قيل : إن ضمير (فيه) عائد إلى الليل بالتعيين ، ومع هذا لا تكون الآية من اللف والنشر ، وأجيب بأنه يحتمل أن يعود إلى كل من الليل والنهار وإن كان ظاهراً فى العود إلى الليل ، وهذا الاحتمال يكفى فى عدم التعيين .

(٢) هو لأبى الفتيان محمد بن سلطان المعروف بابن حيوس ، والمدام الخمر وفعلها سلب العقل ، ولونها الحمرة المشربة بسواد ، ومذاقها حلو عند من يعتادها ، وإلى الأول يرجع قوله — فى مقلتيه — وإلى الثانى قوله — ووجنتيه — وإلى الثالث قوله — وريقه — وقبل البيت :

ومقرطق يغنى النديمَ بوجهه … عن كأسه الملأى وعن إبريقه

(٣) هما لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى ، وقوله — دجون — بمعنى أظلمن على سبيل الاستعارة ، وضمير — دجون — للحادثات ، والمعالم جمع مَعْلَم وهو ما يستدل به على الطريق ، وهذا يرجع إلى الآراء ، والمصابح جمع مصباح ، والدجى جمع دُجْيَة وهى الظلمة ، وهذا يرجع إلى الوجوه ، والرجوم الشهب ، وهذا يرجع إلى السيوف ، وقيل : إن هذا ليس من اللف والنشر لأنه قال — والأخريات — أى السيوف بالتعيين ، فيكون من التقسيم الآتى ، وقد يجاب بأن التعيين هنا فى بعضها دون بعض .

(٤) الحقف مجتمع الرمل إذا عظم واستدار ، والردف العجيزة وهو يرجع إلى تشبيهها بالحقف ، والقد يرجع إلى تشبيهها بالغصن ، واللحظ يرجع إلى تشبيهها بالغزال ، وهذا على غير ترتيب اللف . وقد سبق التعريف بابن حيوس فى هذه الصفحة .

وقول الفرزدق :

لَقَدْ خُنْتَ قوماً لو لجأتَ إليهمُ   طَرِيدَ دَمٍ أو حاملاً ثِقْلَ مَغْرَمِ [١]
لألفيتَ فيهم مُعْطياً أو مُطَاعِناً   وراءكَ شَزْرَ بالوَشِيجِ المُقَوَّمِ [٢]

والثانى [٣] كقوله [٤] تعالى (وَقَالُوا لَنْ يَدخُلَ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ كانَ هُوداً أوْ نَصَارَى) فإن الضمير فى (قالوا) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والمعنى — وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً والنصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، فَلَفَّ بين القولين [٥] ثِقَةً بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله ، وأمناً من الإلباس ، لِمَا عُلِمَ من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه .

الجمع : ومنه الجمع ، وهو أن يُجْمَعَ بين شيئين أو أشياء فى حكم واحد [٦] كقوله [٧] تعالى (المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنيَا) .

---

(١) الخطاب فى قوله — لقد خنت — لهبيرة بن ضمضم ، وهو يهجوه لقتله القعقاع ابن عوف بن زرارة ، وقوله — طريددم — كناية عن كونه قاتلا ، والثقل الحمل الثقيل ، والمغرم مصدر ميمى ، والمراد أنه يحمل مالا فوق طاقته فى صلح أو نحوه .

(٢) قوله — لألفيت بمعنى لوجدت ، والشزر مصدر — شَزَرَ — بمعنى طعنه عن يمينه وشماله ، والوشيج شجر الرماح ، والمقوم المثقف ، والشاهد فى أن — معطيا — يرجع إلى كونه حاملا ، وأن — مطاعنا — يرجع إلى كونه طريداً ، على غير ترتيب اللف .

(٣) هو ذكر متعدد على جهة الإجمال ثم مالكل إليه الخ .

(٤) ى — ١١١ — س — ٢ .

(٥) أى بقوله (وقالوا) والأصل وقالت اليهود وقالت النصارى ، وأما النشر فبقوله (إلا من كان هودا أو نصارى) .

(٦) لابد أن يكون فى الجمع بينها لطافة وغرابة ، لأن مجرد الجمع فى ذلك لا حسن فيه .

(٧) ى — ٤٧ — س — ١٨ .

وقول الشاعر :

إنَّ الشَّبَابَ والفَرَاغَ وَالجِدَهْ مَفْسَدَةٌ للمرءِ أىُّ مَفْسَدَهْ [١]

ومنه قول محمد بن وُهَيْب :

ثلاثةٌ تُشرِقُ الدنيا بِبهجَتِهَا شمسُ الضحَى وأبو اسحاق والقَمرُ [٢]

التفريق : ومنه التفريق ، وهو إيقاع تَبَايُنٍ [٣] بين أمرين من نوع واحد في المدح أو غيره ، كقوله :

مَا نَوَالُ الغمامِ وقتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الأميرِ يومَ سَخَاءِ
فَنَوَالُ الأميرِ بَدْرَةُ عَيْنٍ ونوالُ الغمامِ قَطْرَةُ مَاءِ [٤]

ونحو قوله :

مَنْ قاسَ جَدْوَاكَ بالْغَمامِ فَمَا أنصَفَ فى الحكمِ بين شَكْلَيْنِ
أنت إذا جُدْتَ ضاحكٌ أبدًا وَهْوَ إذا جاد دامِعُ العَيْنِ [٥]

---

(١) هو لأبى العتاهية إسماعيل بن القاسم ، والجدة الاستغناء يقال فى المال — وجْدٌ بتثليث الواو ، وجِدَة كعِدَة بحذف الواو وتعويض التاء — وقوله — أى مفسدة — بمعنى كاملة الفساد ، والشاهد فى جمع الثلاثة فى كونها مفسدة أى مفسدة .

(٢) سبق هذا البيت فى الكلام على تقديم المسند فى الجزء الأول ، والشاهد فى جمع شمس الضحى وأبى إسحاق والقمر فى كونها تشرق الدنيا ببهجتها .

(٣) أى افتراق وعدم تشابه .

(٤) هما لمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوطواط ، والنوال العطاء ، والبدرة كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم ، والمراد من العين المال ، والشاهد فى التفريق بين النوالين .

(٥) هما لمحمد بن أحمد المعروف بالوأواء الدمشقى ، والجدوى العطية ، والشكلان تثنية شكل بمعنى مثل ، وقوله — جدت — بمعنى أعطيت ، والشاهد فى التفريق بين الجدويين .

التقسيم : ومنه التقسيم ، وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين[١] كقول أبى تمام :

فَمَا هو إلا الوَحْىُ أو حَدُّ مُرْهَفٍ ... تُمِيلُ ظُبَاهُ أَخْدَعَىْ كُلِّ مائلِ[٢]

فهــذا دواء الدَّاءِ من كُلِّ عالمٍ ... وهذا دواء الداء من كل جَاهِلِ[٣]

وقول الآخر :

ولا يُقِيم على ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ ... إلا الأذلاَّنِ عَيْرُ الحَىِّ وَالوَتِدُ

هذا على الخَسْفِ مربوطٌ بِرُمَّتِهِ ... وذا يُشَجُّ فلا يَرْثِى له أَحَدُ[٤]

وقال السكاكى[٥] هو أن تذكر شيئا ذا جُزأَيْنِ أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك ، كقوله :

أَدِيبَانِ فى بَلْخَ لا يأكلانِ ... إذا صَحِبَا المرءَ غير الكَبِدْ

---

(١) يخرج بهذا القيد اللف والنشر لوجوب عدم التعيين فيه كما سبق .

(٢) قبله :

وعادات نصر لم تزل تستعيدها ... عصابةُ حق فى عصابة باطل .

وضمير — هو يعود إلى حق ، يعنى أنه لايتم أمره إلا بما ذكره ، والرهف السيف المرقق الحد ، والظبى جمع ظُبَـةٍ وهى حد السيف ، والأخدعان عرقان فى صفحتى العنق ، وقد روى — تقيم ظباه — وهو أصح .

(٣) اسم الإشارة الأول للوحى والثانى للسيف ، والحق أن هذا من اللف والنشر لعدم التعيين .

(٤) سبق هذان البيتان فى الكلام على تعريف المسند إليه بالإشارة فى الجزء الأول ، والحق أن ماهنا أيضاً من اللف النشر لعدم التعيين ، وقيل : إن حرف التنبيه فى — هذا — فيه إيماء إلى أن القرب فيه أقل فيكون للقريب وهو العير ، ويكون — ذا الأقرب وهو الوتد ، ولا يخفى أن مثل هذا لايعول عليه فى التعيين .

(٥) ٢٢٥ ، ٢٢٦ — المفتاح .

فهذا طويل كظل القَنَاةِ وهــذا قصير كظل الوَتد[١]

وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر[٢] :

الجمع مع التفريق : ومنه الجمع مع التفريق ، وهو أن يدخل شيآن فى معنى واحد ويفرق بين جهتى الإدخال ، كقوله :

فَوَجْهُكَ كالنَّارِ فى ضَوْئِهَا وَقَلْبِى كالنار فى حَرِّهَا[٣]

شبه وجه الحبيب وقلب نفسه بالنار وفرق بين وجهى المشابهة ، ومنه قوله[٤] تعالى (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً).

الجمع مع التقسيم : ومنه الجمع مع التقسيم ، وهو جمع متعــدد تحت حكم ثم تقسيمه أو تقسيمه ثم جمعه ، فالأول كقول أبى الطيب :

حَتَّى أقام على أَرْبَاضِ خَرْشَنَــــةٍ تَشْقَى بِهِ الرُّومُ والصُّلْبَانُ والْبِيَعُ[٥]

---

(١) هما لبعض شعراء الفُرْس ، والكبد عضو معروف فى البدن ، والمراد به كبد صاحبهما فيكون كناية عن سوء عشرتهما له ، أو الكبد المأكول فيكون كناية عن خستهما ، والقناة الرمح ، ويرد على التمثيل بهذا للتقسيم ما سبق فيما قبله .

(٢) ذكر السعد أن قول السكاكى فى التعريف — ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك — يغنى عن ذكر قيد التعيين ، وبهذا يباين التقسيم اللف والنشر عنده أيضاً . ومن التقسيم قول الشاعر :

وَرَاحُوا فريق فى الإسار ومِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لاذَ بالبحر هَارِبُهْ

(٣) هو لمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوَطْوَاطِ ، وحرارة قلبه ناشئة من شدة شوقه إلى محبوبه .

(٤) ى — ١٢ — س — ١٧ .

(٥) يتعلق — حتى — بقوله قبله :

قاد المقانبَ أقصى شربها نَهَلٌ على الشكيم وأدنى سيرها سِرَعُ

والضمير فى — أقام — لسيف الدولة ، والأرباض جمع رَبَض وهو ما حول المدينة ، وخرشنة بلد بالروم تسمى أماصية ، والبيع جمع بِيعَة وهى معبد النصارى .

لِلسَّبْيِ ما نكحوا والقتل ما وَلَدُوا ... والنَّهْبِ ما جمعوا والنار ما زَرَعُوا[1]

جمع فى البيت الأول شقاء الروم بالممدوح على سبيل الاجمال حيث قال — تشقى به الروم — ثم قسم فى الثانى وفصله .

والثانى كقول حسّان :

قَوْمٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أوْ حاولوا النفع فى أشياعهم نَفَعوا

سَجِيَّةٌ تلكَ منهم غَيْرُ مُحْدَثَةٍ ... إنَّ الخلائق فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدَعِ[2]

قسم فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء ونفع الأولياء ، ثم جمعها فى البيت الثانى حيث قال — سجية تلك — ومن لطيف هذا الضرب قول الآخر :

لَوْ أنَّ ما أنتمُ فيه يدوم لكُمْ ... ظننتُ ما أنا فيه دائماً أبداً

لكِنْ رأيتُ الليالى غَيْرَ تاركةٍ ... ما سرَّ مِنْ حادث أو ساء مُطَّرِدَا

فقد سكنتُ إلى أنِّى وأنَّكُمُ ... سَنَسْتَجِدُّ خلاف الحالتين غدَا[3]

فقوله — خلاف الحالتين — جمع لِمَا قسم لطيف ، وقد ازداد لطفا بحسن ما بناه عليه من قوله — فقد سكنت إلى أنى وأنكم .

---

(١) إنما قال — ما نكحوا وما ولدوا — مع أن — ما — لغير العاقل إهانة لهم وملاءمة لما بعده .

(٢) هما لحسان بن ثابت الأنصارى ، وقدم خبر مبتدإ محذوف تقديره هم قوم ، والمراد بهم قوم النبى صلى الله عليه وسلم ، والأشياع الأتباع والأنصار ، وسجية طبيعة وغريزة خبر مقدم ، واسم الإشارة — تلك — مبتدأ مؤخر ، وغير محدثة صفة سجية ، والخلائق جمع خليقة وهى الخُلُق ، والبدع جمع بدعة وهى الأمر المستحدث ، يعنى أن الخلائق شرها ما كان مستحدثا فى الأبناء ولم يكن موروثا عن الآباء .

(٣) هى لإبراهيم بن العباس الصولى ، ويريد بما هم فيه حسن حالهم وبما هو فيه سوء حاله ، والمطرد المستمر ، وإنما كان قوله — خلاف الحالتين — جمعا لطيفا لحسن اختصاره لهما .

الجمع مع التفريق والتقسيم : ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم[١] كقوله[٢] تعالى (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) أما الجمع ففي قوله (يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه) فإن قوله (نفس) متعدد معنى لأن النكرة في سياق النفي تعم ، وأما التفريق ففي قوله (فمنهم شقي وسعيد) وأما التقسيم ففي قوله (فأما الذين شقوا) إلى آخر الآية الثانية — وقول ابن شرف القيرواني :

لِمُخْتَلِفِي الحاجاتِ جَمْعٌ بِبابِهِ ... فهذا له فَنٌّ وهذا له فَنُّ

فَلِلْخامِلِ العَلْيا وللمعدمِ الغِنَى ... وللمذنبِ العُتْبى وللخائفِ الأَمْنُ[٣]

التقسيم بمعنيين آخرين : وقد يطلق التقسيم على أمرين : أحدهما أن يُذكَرَ أحوال الشيء مضافا[٤] إلى كل حال ما يليق بها[٥] كقول أبي الطيب :

سأطلب حقّي بالقنا ومشايخٍ ... كأنهمُ من طولِ ما التثموا مُرْدُ[٦]

---

(١) تأتي الثلاثة في الكلام على هذا الترتيب ، فيكون أولها الجمع وثانيها التفريق وثالثها التقسيم .

(٢) ى – ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، – س ١١ .

(٣) هما لمحمد بن سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني الجذامي ، والفن النوع والحال ، والمعدم الفقير ، والعتبى الإرضاء . والشاهد في أنه جمع بقوله — لمختلفي الحاجات — ثم فرق بقوله — فهذا له فن وهذا له فن — ثم قسم في البيت الثاني .

(٤) أي منسوبا .

(٥) هذا يغاير التقسيم السابق بأنه لا يذكر فيه المتعدد أولا بل يذكر كل واحد من المتعدد ومعه ما يناسبه .

(٦) القنا واحدة قناة وهي الرمح ، وقوله – إلتثموا – بمعنى لبسوا لثام الحرب على عاداتهم فيها ، والمرد جمع أمرد وهو الشاب الذي لم تنبت لحيته .

ثِقَال إذا لاقَوْا خِفاف إذا دُعوا كثير إذا شدُّوا قليل إذا عُدُّوا[1]

وقوله أيضاً :

بَدَتْ قَمَراً ومالَتْ خُوطَ بَانٍ وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزَالا[2]

ونحوه قول الآخر :

سَفَرْنَ بُدُوراً وَانتَقَبْنَ أَهِلَّةً وَمِسْنَ غُصُوناً والتَفَتْنَ جَاذِرَا[3]

والثانى استيفاء أقسام الشىء بالذكر ، كقوله[4] تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ) وقوله[5] (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً) .

ومنه ما حُكِى عن أعرابى وقف على حلقة الحسن[6] فقال : رحم الله من

---

(١) الثقال الذين تشتد وطأتهم على الأعداء فى الحرب ، وقوله ـ شدوا ـ يعنى حملوا على عدوهم ، والشاهد فى أنه ذكر أحوال المشايخ فى البيت الثانى مضافا إلى كل حال ما يناسبها .

(٢) سبق هذا البيت فى الكلام على التشبيه من الجزء الثالث ، والشاهد فى أنه ذكر أحوالها مضافاً إلى كل حال ما يناسبه .

(٣) هو لأبى القاسم على بن إسحاق الزاهى ، وقيل : إنه لأبى هلال العسكرى ، وقوله ـ سفرن ـ يعنى كشفن وجوههن ، وقوله ـ انتقبن ـ يعنى لبسن النقاب ، وإنما أشبهن الأهلة عند لبسه لظهور حواجبهن مقوسات فوق مثلها ، وقوله ـ مسن ـ يعنى تبخترن ، والجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية أى كعيون جآذر . والشاهد فيه كالبيت قبله .

(٤) ى ـ ٣٢ ـ س ٣٥ .

(٥) ى ـ ٤٩ ـ س ٤٢ .

(٦) يعنى الحسن البصرى .

تصدق من فضل ، أو آسى من كفاف أو آثر من قوت . فقال الحسن : ماترك لأحد عذراً . ومن الشعر قول زهير :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ اليومِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ ولكننى عن علم مافى غدٍ عَمِى [1]

وقول طريح :

إن يعلموا الخير يُخفوهُ وإنْ عَلِمُوا شراً أذاعوا وإن لم يعلموا كَذَبُوا [2]

وقول أبى تمام فى الأفشين [3] لما أُحرِقَ :

صَلَّى لها حَيًّا وكان وَقُودَها مَيْتًا ويدخلها مع الفُجَّارِ [4]

وقول نُصَيْبٍ :

فقال فَرِيقُ القوم : لا ، وَفَرِيقُهُمْ نعم ، وفريقٌ : لَيْمُنُ اللهِ مَا نَدْرِى [5]

فإنه ليس فى أقسام الإجابة غير ما ذكر .

وقول آخر :

فَهَبْهَا كشىء لم يكن أو كنازحٍ به الدَّارُ أو من غَيَّبَتْهُ المَقَابِرُ [6]

---

(١) سبق هذا البيت فى الكلام على الحشو من الجزء الثانى ، والشاهد فى استيفائه أقسام ما يتوجه إليه العلم وهى اليوم والأمس والغد ، ولا يخفى أنه لا قيمة للمحسن البديعى مع عيب الحشو .

(٢) هو لطريح بن إسماعيل الثقفى ، يريد أن أعداءه إن يعلموا خيراً منه يخفوه أو شراً يذيعوه وإن لم يعلموا منه شراً نسبوه إليه كذباً ، وقد استوفى بهذا أقسام أحوالهم معه .

(٣) كان تركيا من أكبر قواد المعتصم .

(٤) الضمير فى — لها — للنار ، والوقود ما توقد النار به ، والفجار العصاة ، وكان الأفشين متهما بعبادة النار كالمجوس ، والشاهد فى استيفائه أقسام أحواله معها .

(٥) هو لنصيب بن رباح ، وقوله — ليمن — حذفت فيه ألف — أيمن — فى الدرج ، وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره — قسمى .

(٦) هو لعمرو بن أبى ربيعة ، وقوله — هب — فعل أمر بمعنى احسب ، وقوله — لم يكن — بمعنى لم يوجد ، والنازح البعيد . والشاهد فى أنه ليس فى أقسام الغائب غير ماذكره .

التجريد : ومنه التجريد ، وهو أن يُنتزَعَ من أمرٍ ذى صفة أمرٌ آخَرُ مثله فى تلك الصفحة مُبالغَةً فى كمالها فيه[1] وهو أقسام :

منها نحو قولهم[2] لى من فلان صديق حميم — أى بلغ من الصداقة مبلغاً صح معه أن يستخلص منه صديق آخر .

ومنها نحو قولهم[3] لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر .

ومنها نحو قول[4] الشاعر :

---

(١) اعترض على هذا التعريف بأنه لا يشمل ما كان من التجريد نحو — لاخيل عندك تهديها ولا مال — لأنه لم يجرد شيئاً مثل نفسه فى صفة من الصفات ، وإنما جرد من ذاته ذاتاً أخرى من غير اعتبار صفة ، فالأحسن تعريف التجريد بأنه انتزاع أمر من آخر مطلقاً ، والأحسن أيضاً أن تجعل نكتته العامّة التفنُّن فى الأسلوب كالالتفات لتقاربهما ، وإن كان مبنى الالتفات على اتحاد المعنى ومبنى التجريد على التغاير بينهما بحسب الاعتبار ، وقد يجتمعان كما فى المثال الآتى — فلئن بقيت لأرحلن بغزوة — البيت ، وقد ينفرد الالتفات كما فى قوله تعالى — ى — ١ ، ٢ — س ١٠٨ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) وقد ينفرد التجريد كما فى قولك — لى من فلان صديق حميم .

وفى التجريد فائدتان : طلب التوسع فى الكلام ، وتمكين المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه ، إذ يكون مخاطبا بها غيره ، فيكون أعذر له .

(٢) نحوه كل ما تكون — من — فيه أداة التجريد ، وتفيد فيه معني الابتداء ، وهذا القسم لا يقصد منه تشبيه .

(٣) نحوه كل ما تكون باء التجريد فيه داخلة على المنتزع منه ، وتفيد فيه معنى المصاحبة ، وهذا القسم يدل على التشبيه .

(٤) نحوه كل ما تكون الباء فيه داخلة على المنتزع ، وتفيد معنى المصاحبة ، وهذا القسم لا يدل على التشبيه .

وَشوْهَاَء تَعْدُو بِى إلى صَارِخَ الْوَغَى ... بِمُسْتَلْئِمٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُرَحَّلِ(١)

أى تعدو بى ومعى من نفسى لكمال استعدادها للحرب مستلئم أى لابس لأمَةَ

ومنها نحو قوله(٢) تعالى (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) فإن جهنم – أعاذنا الله منها – هى دار الخلد ، لكن انتُزِعَ منها مثلها وجعل مُعَدًّا فيها للكفار تهويلا لأمرها .

ومنها نحو قول(٣) الحماسى :

فلئن بَقِيتُ لأرحلنَّ بِغَزْوَةٍ ... تحوى الغنائم أو يَمُوتَ كَرِيمُ(٤)

وعليه قراءة من قرأ (فإذَا انشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةٌ كالدِّهَانِ)(٥) بالرفع

---

(١) لا يعرف قائله ، والشوهاء الفرس القبيحة المنظر لسعة أشداقها أو لتغيرها بالحرب ، وصارخ الوغى المستغيث فى الحرب ، والمستلئم لابس اللأمة وهى الدرع ، والفنيق الفحل المكرم من الإبل بترك ركوبه ، والمرحل للرسل غير المربوط ، والمراد تشبيه الفرس به أو المستلئم ، والباء فى — بى — للتعدية ، وفى — بمستلئم — للمصاحبة لأنها باء التجريد .

(٢) ى — ٢٨ — س — ٤١ ، ونحوه كل ما يكون التجريد فيه بدخول — فى — على المنتزع منه ، وهذا القسم لا يقصد فيه تشبيه .

(٣) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بالقرينة لا بحرف من حروف التجريد ، وهذا القسم لا يدل على التشبيه .

(٤) هو لقتادة بن مسلمة الحنفى ، و — أو — فى قوله — أو يموت — بمعنى — إلا — والفعل بعدها منصوب بها ويجوز رفعه عطفاً على تحوى ، والتجريد فى قوله — أو يموت كريم — بقرينة أنه عادل بين احتوائه على الغنيمة وموت كريم ، والجارى على الألسنة أن يقال لا بدّ لى من الغنيمة أو الموت ، فيفهم منه أن المراد من الكريم نفسه .

(٥) ى — ٣٧ — س ٥٥ .

بمعنى ـ حصلت سماء وردة ، وقيل تقدير الأول ـ أو يموت منى كريم[١] والثانى ـ فكانت منه[٢] وردة كالدهان ، وفيه نظر[٣] .

ومنها نحو قوله[٤] :

يَا خيرَ من يركبِ المَطِىَّ وَلاَ ... يشربُ كأساً بِكَفِّ مَن بخِلاَ[٥]

ونحوه قول الآخر :

إنْ تَلقَنِى لا ترى غيرى بِنَاظِرَةٍ ... تَنْسَ السِّلاَحَ وتعرفْ جَبْهَةَ الأَسَدِ[٦]

ومنه مخاطبة الإنسان نفسه ، كقول الأعشى :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إن الركب مُرْتَحِلُ ... وهل تُطِيقُ وَدَاعا أيُّها الرَّجُلُ[٧]

---

(١) فيكون التجريد فيه بحرف ـ من ـ لا من هذا القسم .

(٢) أى من الانشقاق ، فيكون التجريد فيه بحرف أيضاً .

(٣) لحصول التجريد من غير تقدير أداة فلا يكون هناك حاجة اليه .

(٤) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بطريق الكناية .

(٥) هو لأعشى قيس ، والمطى جمع مطية وهى المركوب من الإبل ، والشاهد فى قوله ـ ولايشرب كأساً بكف من بخلا ـ فإنه كناية عن شربه بكف كريم ، والشأن أن الشخص يشرب بكف نفسه ، ولكنه انتزع من الممدوح شخصاً كريماً يشرب الممدوح من كفه مبالغة فى كرمه .

(٦) هو لإرطاة بن سُهَيّة ، وقوله ـ بناظرة ـ صفة لمحذوف أى بعين ناظرة ، وقوله ـ تنس السلاح ـ بمعنى تنسى حمله دهشا ، والشاهد فى قوله ـ وتعرف جبهة الأسد ـ لأنه كنى بذلك عن معرفة الأسد نفسه ، فكأنه قال ـ وتعرف الأسد ـ وذلك تجريد لأنه على تقدير ـ وتعرفه منى .

(٧) هو لأعشى قيس ، والراكب ركبان الإبل أو الخيل ويجمع على أركب وركوب وهو أيضاً جمع راكب ، والمرتحل المسافر ، والشاهد فى مخاطبته نفسه فى قوله ـ ودع ، وتطيق ، وأيها الرجل .

وقول أبى الطيب :

لاَ خَيْلَ عندكَ تُهْدِيهَا ولا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إن لم يُسْعِدِ الحَالُ[١]

المبالغة المقبولة : ومنه المبالغة المقبولة[٢] والمبالغة أن يُدَّعَى لوصف بلوغه فى الشدة أو الضعف حداً مستحيلا أو مُسْتَبْعَداً لئلا يظن أنه غير مُتَنَاهٍ فى الشدة أو الضعف ، وتنحصر فى التبليغ والاغراق والغلو : لأن المُدَّعَى للوصف من الشدة أو الضعف إمَّا أن يكون ممكناً فى نفسه[٣] أوْلَا ، الثانى الغلو[٤] والأول إمَّا أن يكون ممكناً فى العادة أيضاً[٥] أوْلَا ، الأول التبليغ[٦] والثانى الاغراق[٧] .

أما التبليغ فكقول امرئ القيس :

---

(١) هو من قصيدة له يمدح بها فاتكا حين أهداه ألف دينار وهو بمصر ، ويعنى بالنطق نطقه بالشعر فى مدحه ، وبالحال حاله من فقد الخيل والمال ، والشاهد فى مخاطبته نفسه فى قوله — عندك .

(٢) يحترز عن المبالغة غير المقبولة ، وهذا مذهب من مذاهب ثلاثة فى المبالغة ، والثانى أنها مقبولة مطلقاً ، لأن خير الكلام ما بولغ فيه وأعذب الحديث أكذبه مع إيهام الصحة وظهور المراد ، فلا يدخل فى ذلك الكذب المحض الذى قصد ترويج ظاهره مع فساده للاتفاق على قبحه . والثالث أنها مردودة مطلقاً ، لأن خير الكلام ما خرج مخرج الحق ، كما قال الشاعر :

وَإِنَّ أشعرَ بيت أنت قائلُهُ بيت يقال إذا أنشدتَهُ صدَقَا

(٣) الممكن فى نفسه هو الممكن عقلاً .

(٤) هو غير الممكن فى نفسه أى غير الممكن عقلا ، وكل ما لا يمكن عقلاً لا يمكن عادة .

(٥) أى كما هو ممكن فى نفسه ، فيكون ممكناً عقلاً وعادة .

(٦) هو الممكن عقلاً وعادة .

(٧) هو الممكن عقلاً لا عادة .

فَعَادَى عِدَاءً بين ثوْرٍ ونعجةٍ ... دِرَاكاً فلم يَنْضَحْ بماء فيغسَلِ[1]

وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق : وذلك غير ممتنع عقلا ولا عادة — ومثله قول أبى الطيب :

وَأُصْرَعُ أىَّ الوحش قَفَيْتُهُ بِهِ ... وَأُنْزِلُ عنه مِثْلَهُ حين أَرْكَبُ[2]

وأما الإغراق فـكقول الآخر :

وَنُـكْرِمُ جارنا ما دام فِينَا ... وَنُتْبِعُهُ الـكرامة حيث مَالاَ[3]

فإذا ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جهة إلا وهو يتبعه الـكرامة ، وهذا ممتنع عادة وإن كان غير ممتنع عقلا .

وهما[4] مقبولان .

---

(١) قوله — عادى إلخ — بمعنى والى بينهما بأن صرع الثانى إثر الأول فى شوط واحد ، والثور ذكر بقر الوحش والنعجة أنثاه ، وقوله — دراكا — بمعنى متتابع تأكيد لقوله عداء أو الإفادة التـكثير وأن ذلك كان بين ثيران ونعاج لا اثنين فقط ، وقوله — لم ينضح — بمعنى لم يرشح بعرق فيغسل به جسمه أو يغسل منه جسمه لما يصحبه من الوسخ .

(٢) قوله — أصرع — بمعنى أطرح على الأرض ، وقوله — قفيته — بمعنى أتبعته والضمير المفعول للوحش والضمير فى — به — للفرس ، والشاهد فى قوله — وأنزل عنه مثله حين أركب — يعنى أنه يكون فى نشاطه حين ركبه ، وهذا ممكن عقلاً وعادة .

(٣) هو لعمرو أو عُمَير بن الأَيْهَم التغلَبي ، وقد حرف — الأيهم — بالأهتم من بعض النساخ ، وهو خطأ ، لأن عمرو بن الأهتم تميمى لا تغلبي ، وقوله — مال — بمعنى رحل عنهم إلى غيرهم ، والظاهر أن الإغراق فى هذا يكون عند إرادة أنهم يرسلون ذلك إليه فى مكان ارتحاله لا إرادة أنهم عند ارتحاله يزودونه به .

(٤) أى التبليغ والإغراق .

وأما الغلو فكقول أبي نُوَاس :

وأَخَفْتَ أهل الشِّرْكِ حتى إنَّهُ ‏ ‏ لَتَخَافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَقِ[1]

والمقبول منه أصناف :

أحدها ما أدخل عليه ما يقرِّبه إلى الصحة ، نحو لفظة — يكاد — في قوله[2] تعالى (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) وفى قول الشاعر يصف فرساً :

وَيكادُ يَخْرُجُ سرعةً من ظِلِّهِ ‏ ‏ لَوْ كان يَرْغَبُ في فِرَاقِ رَفِيقِ[3]

والثاني ما تضمن نوعاً حسناً من التخييل[4] كقول أبي الطيب :

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عليها عِثْيَرًا ‏ ‏ لو تبتغي عَنَقًا عليه لأمْكَنَا[5]

وقد جمع القاضي الأَرَّجَانِيُّ بينهما في قوله يصف الليل بالطول :

---

(١) هو الحسن بن هانىء المعروف بأبي نواس ، والنطف جمع نطفة وهي الماء الذي يتخلق منه الإنسان في الرَّحِم ، وقوله ـ لم تخلق ـ بمعنى لم يخلق منها الإنسان أو بمعنى لم توجد فيكون أبعد في الغلو من الأول لأن عدم خلق الإنسان منها يقتضي وجودها ، وهذا من الغلو غير المقبول .

(٢) ى ـ ٣٥ ـ س ـ ٢٤ ، ونحوها لفظ ـ لو ، ولولا . وحرف التشبيه ، ويخيل ، وما أشبه ذلك .

(٣) هو لأبي محمد عبدالجبار بن أبي بكر المعروف بابن حمديس الصقلي ، جعل ظله رفيقاً له لأنه يلازمه ملازمة الرفيق . وقد أخذه من قول المعري :

ولمَّا لم يسابقْهنَّ شيءٌ ‏ ‏ من الحيوان سابقنَ الظِّلَالَا

(٤) لأن حسن التخييل يقربه من الإمكان .

(٥) السنابك جمع سنبك وهو طرف الحافر ، والعثير الغبار ، والعنق السير السريع ، وقد نشأ التخييل الحسن من ادعاء كثرة الغبار وجعله كالأرض في الهواء ، ولا يخفى أن وجود ـ لو ـ فيه يجعله من الأول أيضاً ، وقبله :

أقبلت تبسم والجياد عوابسُ ‏ ‏ يخببن بالحلق المضاعف والقنا

يُخَيَّـلُ إلى أن سُمّرَ الشهبُ فى الدُّجَى وَشُدَّتْ بأهدابى إليهن أجْفَا نِى[١]

والثالث ما أُخْرِجَ مُخْرَجَ الهزل والخلاعة[٢] ، كقول الآخر :

أسْكَرُ بالأمس إن عزمت على الشـــرْبِ غداً إن ذا من العَجَبِ[٣]

المذهب الـكلامى : ومنه المذهب الـكلامى[٤] وهو أن يُورِدَ المتـكلم حُجَّةً لِمَا يَدَّعِيهِ على طريق أهل الـكلام[٥] كقوله[٦] تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَـةٌ إِلاَّ اللهُ

---

(١) هو لأحمد بن محمد المعروف بالقاضى الأرجانى ، وقوله — سمر النجم — بمعنى أحكمت فيها بالمسامير ، والدجى ، جمع دجية وهى الظلمة ، والأهداب جمع هدب وهو شعر أشفار العينين ، والشاهد فى اجتماع لفظ — يخيل — فيه من الأول مع ذلك التخييل الحسن الناشىء من ادعاء أن هناك مسامير وحبالا كانت سبباً فى وقوف الشهب وشد الأجفان إليها .

(٢) لأن صاحبهما لا يعد موصوفاً بنقيصة الـكذب كما يعد فى الجد .

(٣) لا يعرف قائله ، وقبله :

أمُرُّ بالـكَرْمِ إن عبرتُ بِهِ تأخذنى نشوةٌ من الطربِ

واسم الإشارة — ذا — يعود إلى سكره بالأمس عندالعزم على الشرب فى الغد ، وامتناعه فى العقل لما فيه من تقدم المعلول على علته ، وأل فى الأمس للجنس ، فيشمل أفراده المقدرة فى المستقبل ، وكذلك المراد بغد ، وبهذا صح قوله — أسكر بالأمس — بالمضارع مع أمس ، وقوله — إن عزمت — بإن التى تقلب الماضى إلى المستقبل ، والمراد سكره من مروره بالـكرم ولهذا فصله عنه .

(٤) إنما كان محسناً لأنه لا يجب فى المحاورة أن تـكون على طريق أهل الكلام ، وبعضهم يرى أنه تكلف ، والحق أنه لا تـكلف فيه .

(٥) بأن تـكون على صورة قياس اقترانى أو استثنائى بالفعل أو بالقوة ، ومن الأول الآية الأولى وبيت النابغة ، ومن الثانى ما عداهما من الأمثلة .

(٦) ى — ٢٢ — س — ٢١ ، وفيها قياس استثنائى حذفت استثنائيته ونتيجته لظهورهما .

أفسدتا) وقوله (وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ[١]) أى والإعادة أهون عليه من البدء ، والأهون من البدء أدخـــل فى الإمكان من البدء ، وهو المطلوب[٢] وقوله[٣] تعالى (فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ) أى القمر آفِلٌ وربى ليس بآفل ، فالقمر ليس بربى[٤] وقوله[٥] تعالى(قُلْ فَلِمَ يعذِّبُـكُمْ بِذُنُوبِكُمْ) أى أنتم تُعَذَّبُونَ والبنون لا يُعَذَّبُون فلستم بِبَنِين له[٦] .

ومنه قول النابغة يعتذر إلى النعمان :

حَلَفْتُ فلم أترك لنفسك رِيبَةً ... وليس وراء الله لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ

لَئِنْ كُنْتَ قد بُلِّغْتَ عَنِّى خيانةً ... لَمُبْلِغُكَ الْوَاشِى أغشُّ وأكْذَبُ

وَلٰـكِنَّـنى كنتُ امْرَءًا لِىَ جَانِبٌ ... مِنَ الأَرض فيه مُسْتَرادٌ ومَذْهَبُ[٧]

مُلُوكٌ وإخوانٌ إذا ما مَدَحْتُهُمْ ... أُحَكَّمُ فى أموالهم وأُقَرَّبُ[٨]

كَفِعْلِكَ فى قوم أراكَ اصْطَفَيْتَهُمْ ... فَلَمْ تَرَهُمْ فى مدحهم لَكَ أَذْنبوا

---

(١) ى - ٢٧ - س - ٣٠

(٢) هذا قياس اقترانى من الشكل الأول حذفت مقدمته الثانية والمطلوب .

(٣) ى - ٧٦ - س - ٦ .

(٤) هذا قياس اقترانى من الشكل الثانى حذفت مقدمته الأولى اكتفاء عنها بلازم الثانية (لا أحب الآفلين) وحذف أيضاً فيه المطلوب .

(٥) ى - ١٨ - س - ٥ .

(٦) هذا أيضاً قياس اقتراني من الشكل الثانى مثل الآية السابقة .

(٧) المستراد موضع طلب الرزق مأخوذ من - رَادَ الكلأ - بمعنى طلبه ، والمذهب موضع الذهاب إلى الحاجات ، والمراد منهما فى البيت مجرد طلب الرزق والذهاب إلى الحاجات .

(٨) يعنى بهم آل جفنة من الغساسنة الذين قصدهم بعد غضب النعمان بن المنذر عليه ، ويشير بقوله - إخوان - إلى تواضعهم . والأبيات لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبيانى .

يقول : أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك وأنا أحسن إلىّ قوم فمدحتهم ، فكما أن مدح أولئك لك لايُعَدّ ذنباً فكذلك مدحى لمن أحسن إلىّ لايعد ذنباً [١] .

حسن التعليل : ومنه حسن التعليل ، وهو أن يُدَّعَى لوصف علةٌ مناسبة له باعتبار لطيف [٢] غير حقيقى ، وهو أربعة أقسام : لأن الوصف إمّا ثابت قُصِدَ بيان علته، أو غير ثابت أُرِيدَ إثباته، والأول إمّا ألاّ يَظْهَرَ له فى العادة علة ، أو يظهر له علة غير المذكورة، والثانى إمّا ممكن ، أو غير ممكن .

أما الأول [٣] فكقول أبى الطيب :

لم تحكِ نائِلَكَ السحابُ وإنما حُمَّتْ به فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ [٤]

فإن نزول المطر لايظهر له فى العادة علة [٥] وكقول أبى تمام :

---

(١) هذا من قياس التمثيل ، ويمكن رده إلى قياس استثنائى تقريره ـ لو كان مدحى لآل جفنة ذنباً لكان مدح أولئك القوم لك ذنباً ، لكن مدح أولئك القوم لك ليس بذنب ، فمدحى لآل جفنة ليس بذنب .

(٢) أى دقيق لايدركه إلا من له تصرف فى دقائق المعانى ، ووجه حسنه إظهار ما ليس بواقع متخيّلا كالصحيح الواقع ، وهذا شرط لكونه محسناً لا اعتبار موجب له .

(٣) هو حسن التعليل فى الوصف الثابت الذى لا تظهر له فى العادة علة غير المذكورة .

(٤) قوله ـ لم تحك ـ بمعنى لم تشابه ، والنائل العطاء ، والسحاب اسم جنس جمعى ولهذا أنث فعله ، وهو على حذف مضاف أى مطر السحاب ، وقوله ـ حمت ـ بمعنى أصيبت بالحمى ، والصبيب ماصب من المطر ، والرحضاء عَرَق الحمى ، والبيت من قصيدة فى مدح هارون بن عبد العزيز مطلعها :

أمِنَ ازديارَكِ فى الدجى الرقباء إذ حيث أنتِ من الظلام ضياء

(٥) قيد بالعادة لأن له فى الحقيقة علة ولكن الناس لا ينظرون عادة إليها ، وقد جعل أبو الطيب علة نزول المطر من السحاب ما حصل له من الحمى بسبب عدم محاكاته لعطاء الممدوح ، وهى علة ناشئة عن لطف فى النظر وليست علة حقيقية .

لا تُنْكِرِى عَطَلَ الكريم من الغِنى ... فالسَّيل حَرْبٌ للمكان العالى[1]

عَلَّل عدم إصابة الغنى الكريمَ بالقياس على عدم إصابة السيل المكانَ العالى كالطَّوْد العظيم ، من جهة أن الكريم لاتصافه بعلو القدر كالمكان العالى ، والغنى لحاجة الخلق إليه كالسيل — ومن لطيف هذا الضرب قول أبى هلال العسكرى :

زعم البَنَفْسَجُ أنه كَعِذَارِهِ ... حُسْناً فسَلُّوا من قفاهُ لِسانَهُ[2]

وقول ابن نُباتَة فى صفة فرس :

وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيلَ مِنْهُ ... وَتَطْلُعُ بين عينيه الثُّرَيَّا

سَرَى خلف الصباح يطير مَشْياً ... وَيَطْوِى خلفه الأفلاكَ طَيَّا

فلَمَّا خاف وَشْكَ الفوتِ مِنْهُ ... تَشَبَّثَ بالقَوَائِمِ والمُحَيَّا[3]

---

(١) العطل مصدر — عَطِلَ الرجل من المال ونحوه — خلا منه ، وقوله — حرب للمكان العالى — بمعنى أنه عدو له لا يجامعه .

(٢) هو للحسن بن عبد الله المعروف بأبى هلال العسكرى ، والضمير فى قوله — كعذاره — يعود إلى مغنج فى قوله قبل هذا البيت :

ومغنّج قال الكمالُ لخلقهِ ... كن مجمعاً للطيبات فكانَهُ

والبنفسج نبات بستانى ورقه دون السفرجل طيب الرائحة وله هِنَةٌ تحت ورقه جعلها الشاعر كلسان له سل من قفاه ، والعذار أول ما يبدو على الخد من الشعر ، والشاهد فى أن خروج هنة ورقة البنفسج إلى الخلف مما لا تظهر علته ، لكنه جعلها افتراءه على محبوبه أنه كعذاره .

(٣) هى لأبى نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدى ، والأدهم الفرس الأسود ، والثريا سبعة كواكب فى عنق الثور ، استعارها لغرته أو لما يكون فوق الرأس من الحلية ، وقوله — سرى — بمعنى مشى ليلاً والضمير للأدهم ، وقوله — يطوى — بمعنى يقطع ، والأفلاك جمع فلك وهو مدار النجوم ، والضمير فى قوله — خاف — للصباح ، والوشك السرعة والقرب ، والقوائم جمع قائمة وهى الرجل أو اليد ، والمحيا الوجه ، يعنى أنه تعلق بذلك فأصابه أثر بياضه ، وهذه علة غير حقيقية له .

وأما الثانى(١) فكقول أبى الطيب :

ما بِهِ قَتْلُ أعادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِى إخْلافَ ما ترجو الذِّئابُ(٢)

فإن قتل الملوك أعداءهم فى العادة لإرادة هلاكهم ، وأن يدفعوا مضارهم عن أنفسهم ، حتى يصفو لهم ملكهم من منازعتهم ، لا لِمَا ادّعَاهُ من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبته أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه ، لَمَّا علم أنه لَمَّا غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم ، وهذا مبالغة فى وصفه بالجود ، ويتضمن المبالغة فى وصفه بالشجاعة على وجه تخييلى(٣) أى تناهى فى الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العُجْم ، فإذا غدا للحرب رجت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه ، وفيه نوع آخر من المدح وهو أنه ليس ممن يسرف فى القتل طاعة للغيظ والحنق — وكقول أبى طالب المأمونى فى بعض الوزراء بِبُخَارَى :

مُغْرَمٌ بالثناء صَبٌّ بكسب الْـمَجْدِ يهتز لِلسَّماحِ ارْتِيَاحَا
لا يذوق الإغْفَاء إلا رَجَاءً أنْ يَرَى طَيْفَ مُسْتَمِيحٍ رَوَاحَا(٤)

وكأن تقييده بالرواحِ ليشير إلى أن العفاة إنما يحضرونه فى صدر النهار على عادة الملوك ، فإذا كان الرواح قلوا ، فهو يشتاق إليهم فينام ليأنس برؤية طيفهم ، وأصله من نحو قول الآخر :

(١) هو حسن التعليل فى الوصف الثابت الذى تظهر له فى العادة علة غير المذكورة .

(٢) هو من قصيدة له فى مدح بدر بن عمار ، وقوله — ما به قتل أعاديه — بمعنى أنه لا يقتل أعداءه خوفاً من أذاهم لعجزهم عنه ، فالباء فى — به — للسببية ، والإخلاف عدم الوفاء .

(٣) ففيه مثال للاستتباع الآتى .

(٤) هما لعبد السلام بن الحسين المأمونى ، ينتهى نسبه إلى المأمون بن هارون الرشيد ، والمغرم اسم مفعول من — أغْرِمَ بالشىء — بمعنى أُولِعَ به ، والصب ذو الولع الشديد ، والسماح الجود ، والإغفاء النوم الخفيف ، والمستميح طالب العطاء ، والرواح المشى ، والشاهد فى تعليله الإغفاء بما علله به ، مع أن له علة حقيقية غيرها .

وإنّى لأستَغشى وما بِىَ نَعْسَةٌ   لَعلّ خيالاً منكِ يَلْقى خَيالِيَا[1]

وهذا غير بعيد أن يكون أيضا من هذا الضرب ، إلا إنه لا يبلغ فى الغرابة والبعد عن العادة ذلك المبلغ ، فإنه قد يُتَصَوَّرُ أن يريد المُغرَمُ المتيّمُ إذا بعد عهده بحبيبه أن يراه فى المنام ، فيريد النوم لذلك خاصة .

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

قالوا : اشتَكَتْ عينه ، فقلتُ لَهُمْ   : من كثرة القتل نالَهَا الوَصَبُ
حُمْرَتُهَا من دماء من قَتَلَتْ   والدَّمُ فى النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبُ[2]

وقول الآخر :

أَتَتْنِى تُؤَنِّبُنِى بالبكاء   فأَهْلاً بِهَا وَبِتَأْنِيبِهَا
تقول وفى قولها حِشْمَةٌ   : أتبكى بعين تَرَانِى بِهَا
فقلت : إذا استحسنتْ غَيْرَكُمُ   أمرتُ الدموعَ بِتَأْدِيبِهَا[3]

وذلك أن العادة فى دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب ، لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب .

وأما الثالث[4] فكقول مسلم بن الوليد :

---

(١) هو لقيس بن الملوح المعروف بالمجنون ، وقوله ـ أستغشى ـ بمعنى أطلب النعاس ، وقوله ـ وما بى نعسة ـ بمعنى ـ وما بى إرادتها .

(٢) هما لعبد الله بن المعتز ، وقوله ـ اشتكت ـ بمعنى مرضت ، والمراد بالقتل قتل محبيها ، والوصب المرض ، والنصل يطلق على السيف وقد استعير للعين لقتلها مثله ، والشاهد فى أن العلة الحقيقية لحمرة العين الرمد لا دماء من قتلته من العشاق .

(٣) هى لأحمد بن محمد المعروف بابن ثوابة ، وقوله ـ تؤنبنى ـ بمعنى تلومنى وتعنفنى ، والحشمة الغضب أو الاستحياء والأول أظهر هنا .

(٤) هو حسن التعليل فى الوصف غير الثابت الذى أريد إثباته وهو ممكن .

يَاوَاشياً حَسُنَتْ فينـــا إسَاءتُهُ　　نَجّى حِذَارُكَ إنسانى من الْغرَقِ[1]

فإن استحسان إساءةالواشى ممكن ، لـكن لمّا خالف الناسَ فيه عقّبَهُ بذكر سببه ، وهو أن حذاره من الواشى منعه من البكاء ، فسلم إنسان عينيه من الغرق فى الدموع ، وما حَصّلَ ذلك فهو حسن ..

وأما الرابع[2] فـكمعنى بيت فارسى ترجَمَتُهُ :

لَوْ لَمْ تـكن نيّةُ الجوزاء خِدْمَتَه　　لَمَا رأيتَ عليها عِقْدَ مُنْتَطَقِ[3]

فإن نية الجوزاء خدمته ممتنعة[4] .

ما يلحق بحسن التعليل : ومما يُلْحَق بالتعليل وليس به لبناء الأمر فيه على الشك[5] نحو قول أبى تمام :

رُبًى شفعتْ ريحُ الصَّبَا لرياضِها　　إلى المُزْنِ حتى جادَهَا وَهو هامِــع[6]

---

(١) الواشى الساعى بالفساد ، والحذار مصدر — حاذرَ — مضاف إلى مفعوله ، وقوله — إنسانى — يعنى به إنسان عينه وهو ما يرى فى سوادها أو هو سوادها .

(٢) هو حسن التعليل فى الوصف غير الثابت الذى أريد إثباته وهو غير ممكن .

(٣) هو لعبد القاهر الجرجانى ترجم به أصله الفارسى ، والجوزاء برج فلـكى حوله نجوم تسمى نطاق الجوزاء ، والمنتطق ذو النطاق وهو ما يشد فى الوسط وقد يكون مرصعاً بالجواهر كالعقد .

(٤) لـكنه ادعى ثبوتها بتلك العلة ، وعلى هذا لا تـكون — لو — فى البيت لامتناع الجواب لامتناع الشرط ، بل للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط ، لأن حملها على الأول يجعل نية خدمته علة لانتطاق الجوزاء ، فيكون من الضرب الأول لا من هذا الضرب .

(٥) أما حسن التعليل ففيه ادعاء وإصرار .

(٦) الربى جمع ربوة وهى التل المرتفع من الأرض ، والصبا ريح تهب من الشرق ، والمزن واحده مزنة وهى السحاب الأبيض ، وقوله — جادها — بمعنى أمطرها ، والهامع السائل بكثرة .

كَأنَّ السحابَ الغُرَّ غَيَّبْنَ تحتها حبيبا فما تَرْقَا لهنَّ مَدامِعُ[١]

وقول أبي الطيب :

رحل العَزاء بِرِحْلَتِي فكأنني أَتْبَعْتُهُ الأنفاسَ للتشييعِ[٢]

علة تصعيد الأنفاس فى العادة هى التحسر والتأسف لا ما جوّز أن يكون إياه ، والمعنى – رحل عنى العزاء بارتحالى عنك أى معه بسببه[٣] فكأنه لما كان الصدر محل الصبر وكانت الأنفاس تتصعد منه أيضا صار العزاء والنَّفَسُ الصُّعَداء كأنهما نزيلان ، فلما رحل ذلك كان حقا على هذا أن يشيعه قضاء لحق الصحبة .

التفريع : ومنه التفريع ، وهو أن يُثْبَتَ لِمُتَعَلَّقٍ أمر حكم بعد إثباته لِمُتَعَلَّقٍ له آخر[٤] كقول الكُمَيْت :

أحلامُكُمْ لِسَقَامِ الجهل شافيةٌ كما دِمَاؤكُمْ تشفِى من الكَلَبِ[٥]

فَرَّعَ من وصْفِهِمْ بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصْفَهم بشفاء دمائهم من داء الكلب .

---

(١) الغر جمع غراء وهى السحاب الماطرة الغزيرة الماء ، والضمير فى — تحتها — الربى ، وقوله — ترقا — مخفف ترقأ بمعنى تسكن ، والشاهد فى تعليل إمطار السحاب بما ذكره مبنياً على الشك المستفاد من — كأن — لأنها هنا للشك .

(٢) العزاء الصبر ، والتشييع التوديع . وقبله :

ما زلت أحذر من وداعك جاهداً حتى اغتدى أسفى على التوديع

(٣) فالباء فى قوله — برحلتى — للمصاحبة أو السببية .

(٤) المراد بالتعلق النسبة والارتباط ، ولا بد أن يكون ذلك على وجه يشعر بالتفريع ، ليخرج نحو — غلام زيد راكب وأبوه راكب .

(٥) للكميت بن زيد الأسدى من قصيدة له فى مدح بنى هاشم ، والأحلام العقول ، والكلب شبه جنون يحدث للشخص من عض الكلب المصاب به ، ولم يكن له دواء فى زعمهم أشفى من شرب دماء الملوك ، فهو كناية عن أنهم ملوك كما أنهم علماء .

تأكيد المدح بما يشبه الذم : ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وهو ضربان :

أفضلهما أن يُسْتَثْنَى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها ، كقول النابغة الذبيانى .

ولاَ عَيْبَ فيهم غير أن سُيُوفَهُمْ ... بِهِنّ فُلُولٌ من قِراع الكَتائبِ[1]

أى إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قَبِيل العيب ، فأثبت شيئا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه وذلك محال، فهو فى المعنى تعليق بالمحال ، كقولهم — حتى يَبْيَضّ القَار — فالتأكيد فيه[2] من وجهين : أحدهما أنه كدعوى الشيء ببيِّنة[3] والثانى أن الأصل فى الاستثناء أن يكون متصلا[4] فإذا نطق المتكلم بإلاّ أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتى بعدها مُخْرَجٌ مما قبلها ، فيكون شيء من صفة الذم ثابتا وهذا ذَمٌّ ، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح ، لكونه مدحا على مدح ، وإن كان فيه نوع من الخِلاَبة[5] .

والثانى[6] أن يثبت لشيء صفة مدح ويُعقّبَ بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له ، كقول النبى صلى الله عليه وسلم « أنا أفصح العرب بَيْدَ أنى من قريش » .

---

(١) هو لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبيانى ، والفلول جمع فَلّ وهى الثلمة فى حد السيف ، والقراع المضاربة ، والكتائب جمع كتيبة وهى القطعة من الجيش .

(٢) أى فى هذا الضرب مطلقاً .

(٣) لأنه علق نقيض الدعوى وهو إثبات شيء من العيب بالمحال ، والمعلق بالمحال محال ، فيكون عدم العيب محققاً .

(٤) يعنى أن أصل الاستثناء مطلقاً ذلك لا فى هذا الباب لأنه فيه منقطع فى كل من ضربيه .

(٥) أى خداع الكلام .

(٦) أى الضرب الثانى من تأكيد المدح بما يشبه الذم .

وأصل الاستثناء فى هذا الضرب أيضاً أن يكون منقطعاً ، لـكنه باق على حاله لم يُقَدَّرْ متصلا[1] فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثانى من الوجهين المذكورين[2] ولهذا قلنا : الأول أفضل . ومنه قول النابغة الجعدى :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا[3]

وأما قوله[4] تعالى (لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً ، إلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً) فيحتمل الوجهين[5] وأما قوله[6] تعالى (لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إلاَّ سَلاَماً) فيحتملهما[7] ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أن يكون الاستثناء من أصله متصلا[8] لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ، وأهل الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء ، فـكان ظاهره من قَبِيل اللغو وفضول الـكلام ، لولا مافيه من فائدة الإكرام .

ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضرب ثالث ، وهو أن يأتى الاستثناء فيه

---

(١) أى كما قدر فى الضرب الأول ، لأن الاستثناء فيه منقطع ولـكنه يقدر متصلا ، وإنما لم يقدر هنا متصلا لأنه ليس فيه صفه ذم عامة منفية يمكن تقدير صفة المدح فيها .

(٢) بخلاف الوجه الأول لأنه مبنى على التعليق بالمحال المبنى على تقدير الاستثناء متصلا .

(٣) نسب فى ـ الصناعتين ـ لجندل بن جابر الفزارى ، ونسب فى الحماسة لحسان بن قيس المعروف بالنابغة الجعدى ، وروى فيه ـ كملت خيراته .

(٤) ى ٢٥ ، ٢٦ ـ س ـ ٥٦ . (٥) لأنه من الضرب الأول لا الثانى .

(٦) ى ـ ٦٢ ـ س ـ ١٩ . (٧) لأنه من الضرب الأول أيضا .

(٨) إنما لم تحتمل الآية السابقة هذا الوجه لأنه زيد على المستثنى منه فيها قوله (ولاتأثيما) فلا يمكن أن يدخل فيه (إلا قيلا سلاما سلاما) وعلى هذا الوجه لاتـكون الآية الثانية من تأكيد المدح بما يشبه الذم ، لأن الاستثناء فيه يجب أن يكون منقطعاً ، وقيل : إن هذا الوجه غير محتمل فيها لا ظاهراً ولا حقيقة ، لأن السلام فى الجنة إذا كان لفائدة الإكرام لا يكون لغوا .

مُفَرَّغاً[١] كقوله[٢] تعالى (وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إلاّ أنْ آمَنَّا بآيَاتِ رَبِّنَا لمَّا جاءتْنَا) أى وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله ، ونحوه قوله[٣] (قلْ يا أهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إلاّ أنْ آمنَّا باللهِ وَمَا أُنْزِلَ إلَيْنَا) فإن الاستفهام فيه للإنكار .

واعلم أن الاستدراك فى هذا الباب يجرى مجرى الاستثناء ، كما فى قول أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى :

هو البدر إلا أنه البحر زاخراً ‏ ‏ ‏ سِوَى أنه الضِّرْغَامُ لكنه الوَبْلُ[٤]

تأكيد الذم بما يشبه المدح : ومنه تأكيد الذم بما يشبه المدح ، وهو ضربان : أحدهما أن يُسْتَثْنَى من صفة مدح منفية عن الشىء صفة ذم بتقدير دخولها فيها ، كقولك ـ فلان لا خير فيه إلا أنه يسىء إلى من يحسن إليه[٥] .

---

(١) بأن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمول لفعل فيه معنى الذم ، فيتفرغ للعمل فيه ويكون الاستثناء مفرغاً ، ولا يرجع هذا إلى الضرب الأول لأن الاستثناء هنا متصل لا منقطع .

(٢) ى ـ ١٢٦ ـ س ـ ٧ .

(٣) ى ـ ٥٩ ـ س ـ ٥ .

(٤) هو لأبى الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهذانى يمدح خلف بن أحمد ، والزاخر المرتفع من تلاطم من تلاطم الأمواج ، والضرغام الأسد ، والوبل المطر الشديد ، ووجه الشبه فى الأول والرفعة وفى الثانى الكرم وفى الثالث الشجاعة وفى الرابع الكرم أيضا لكنه أتم من الأول ، والشاهد فى قوله ـ لكنه الوبل .

(٥) من ذلك قول الشاعر :

فإنَّ مَنْ لامنى لا خيرَ فيه سِوى ‏ ‏ ‏ وَصْفِى له بأخَسِّ الناس كلِّهمُ

وثانيهما أن يُثْبَتَ للشيء صفة ذَمّ ويُعقَّبَ بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له، كقولك فلان فاسق إلا أنه جاهل[١] .

وتحقيق القول فيهما على قياس ما تقدم[٢] .

الاستتباع : ومنه الاستتباع ، وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر[٣] كقول أبي الطيب :

نَهَبْتَ من الأعمار مَا لَوْ حَوَيْتَهُ   لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بأنك خَالِدُ[٤]

فإنه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لَخُلِّدَ في الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها ، حيث جعل الدنيا مُهَنَّأَةً بخلوده ، قال على بن عيسى الربعى : وفيه وجهان آخران من المدح : أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال[٥] الثانى أنه لم يكن ظالما فى قتل أحد من مقتوليه ، لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه .

---

(١) من ذلك قول الشاعر :

يا حبيب الإلهِ جُدْ لِي بِقُرْبٍ   منك يَا صَفْوَةَ العزيز الرّحيم

يا رسولاً أعداؤه أراذل النّا   سِ جميعاً لكنهم فى الجحيم

(٢) فى تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٣) على هذا يكون أخص من الإدماج الآتى ، وقيل : هو الوصف بشيء على وجه يستتبع وصفاً آخر ، فلا يختص بالمدح ويكون مساوياً للإدماج ، وإذا كان هذا شأنه مع الإدماج فلا بد أن يشترط فيه شرطاه الآتيان أيضاً ، سواء كان أخص منه أم كان مساوياً له

(٤) هو من قصيدة فى مدح سيف الدولة .

(٥) لتخصيصه الأعمار بالذكر دون الأموال مع أن النهب بها أليق ، والبلغاء يعتبرون مفهوم اللقب فى مثل هذا من المحاورات والخطابيات .

الإدماج : ومنه الإدماج ، وهو أن يُضَمَّنَ كلامٌ سِيقَ لمعنى معنى آخر[1] فهو أعم من الاستتباع[2] .

ومثاله قول أبي الطيب :

أُقَلِّبُ فيـــه أجفانى كأنّى أَعُدُّ بها على الدهر الذنُوبَا[3]

فإنه ضمن وصف الليل بالطول الشـكاية من الدهر .

وقول ابن المعتز فى الخِيْرِىِّ :

قدْ نَقَضَ العاشقون ما صنع الـ ـهَجْرُ بألوانهم على وَرَقه[4]

فإن الغرض وصف الخيرى بالصفرة فأدمج الغزل فى الوصف ، وفيه وجه آخر من الحسن وهو إيهام الجمع بين متنافيين : أعنى الإيجاز والإطناب ، أما الإيجاز فمن جهة الإدماج ، وأما الإطناب فلأن أصل المعنى أنه أصفر فاللفظ زائد عليه لفائدة[5] .

---

(١) المراد به ما يشمل المعنى الواحد والاثنين والأكثر من ذلك ، ويقال لهذا المعنى مُضَمَّنٌ ، ويشترط فيه شرطان : ألاّ يكونَ مصرحًا به ، وألا يكون فى الكلام ما يشعر بأنه مسوق لأجله ، وسيأتى محترز هذا فى بعض الشواهد الآتية :

(٢) لأنه يشمل للدح وغيره ، وقيل : إن الاستتباع مساوله كما سبق .

(٣) الضمير فى — فيه — يعود على الليل فى قوله قبله :

أعَزْمِىَ طال هذا الليل فانْظُرْ أمنك الصبح يَفْرَقُ أن يَؤُوبا

وقوله — أقلب فيه أجفانى — كناية عن طوله ، وقوله — كأنى أعد بها على الدهر الذنوبا — كناية عن الشكاية منه ، وبهذا تكون هذه الشكاية غير مصرح بها فى البيت ، كما أنه ليس مسوقاً لأجلها .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، وقوله — نقض — بمعنى أسقط ، ويعنى بما صنع الهجر بألوانهم صفرتها ، والضمير فى — ورقه — للخيرى وهو ورد أصفر ، وقيل : إن البيت لعلى بن محمد التغلبى .

(٥) هى الإدماج .

ومنه قول ابن نُباتة :

وَلا بُدَّ لى من جَهْلَةٍ فى وِصالِه ... فَمَنْ لى بِخِلٍّ أُودِعُ الحلمَ عِندَهُ (١)

فإنه ضمن الغزل الفخر بكونه حليما الْمَكْنِيّ عنه بالاستفهام عن وجود خل صالح لأن يودعه حلمه ، وضمن الفخر بذلك بإخراج الاستفهام مخرج الإنكار شكوى الزمان لتغير الإخوان حتى لم يبق فيهم من يصلح لهذا الشأن ، ونبَّهَ بذلك على أنه لم يعزم على مفارقة حلمه جملة أبداً ، ولكن إذا كان مريداً لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المنافى للحلم عزم على أنه إن وجد من يصلح لأن يودعه حلمه أودعه إياه ، فإن الودائع تستعاد .

قيل : ومنه قول الآخر يهنىء بعض الوزراء لَمّا استُوزِرَ :

أبى دَهْرُنَا إسعافنا فى نفوسنا ... وأسعفنا فيمن نُحِبُّ وَنُكْرِمُ

فقلت له : نُعماكَ فيهم أَتِمَّها ... وَدَعْ أمرنا إنّ المُهِمَّ المُقَدَّمُ (٢)

فإنه أدمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال الأحوال فى التهنئة ، وفيه نظر ، لأن شكوى الزمان مُصرَّح بها فى صدره فكيف تكون مُدْمَجَةً ، ولو عكس فجعل التهنئة مدمجة فى الشكوى أصاب (٣) .

---

(١) هو لأبى نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدى ، والخل الصديق ، والحلم الصبر والأناة ضِدُّ الطيش والجهل والسفه .

(٢) هما لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكان قد اختل حاله ، فكتب بهما إلى عبيد الله ابن سليمان بن وهب لما استوزره المعتضد ، ففطن لمراده ووصله واستعمله ، وقيل : إن هذا كان مع أبيه سليمان بن وهب ، والإسعاف المساعدة ، وقوله — دع — بمعنى اترك .

(٣) لا ينافى هذا أن التهنئة هى المقصودة بالذات ، لأن القصد الذاتى لا ينافى إفادة المقصود بطريق الإدماج بأن يؤتى به بعد التصريح بغيره ، وفى البيتين أيضاً إدماج المدح فى الشكوى لأنه جعله مستحقاً لالتفات الدهر له وتقدمه على غيره .

التوجيه : ومنه التوجيه ، وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين[١] كقول من قال لأعور يسمى عمرا :

خاطَ لى عَمْروٌ قِباءً ليت عينيه سَــواءُ[٢]

وعليه قوله[٣] تعالى (وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا) قال الزمخشرى : غير مسمع حال من المخاطب ، أى اسمع وأنت غير مسمع ، وهو قول ذو وجهين :

يحتمل الذم ، أى اسمع منا مَدْعُوًّا عليك بلا سمعتَ ، لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مُسْمَعٍ ، قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم — لاسمعتَ — دعوة مستجابة ، أو اسمع غير مجابٍ ماتدعو إليه ، ومعناه غير مُسْمَعٍ جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شــيئاً ، أو اسمع غير مُسْمعٍ كلاماً ترضاه ، فسمعك عنه نابٍ ،

---

(١) أى متضادين كالمدح والذم ، فلا يكون منه ما يحتمل غير ذلك كاحتمالِ العين للجارية والجاسوس لجواز اجتماعهما، كقولك — رأيت عينا — ولا بد فيه أيضاً من احتمال المعنيين على السواء ، لأنه إذا كان أحدهما متبادراً يكون تورية لا توجيهاً .

(٢) هو لبشّار بن بُـرْد من مجزوء الرمل ، وكان قد دفع إلى ذلك الرجل ثوباً ليخيطه له فقال: لأخيطنه بحيث لا يعلم أقباء هو أم غيره ؟ فقال بشار : لئن فعلت ذلك لأقولن فيك شعراً لا يدرى أهجاء أم غيره ؟ ولهذا قال بعد ذلك البيت :

فَاسألِ الناسَ جميعاً أمديحٌ أم هِـجَـاءُ

والقباء ثوب يلبس فوق الثياب ، والشاهد فى أنه يحتمل أن يكون دعاء بصحة العوراء فيكون مدحا ، أو بتعوير الصحيحة فيكون هجاء .

ومن التوجيه قول محمد بن حازم فى زواج المأمون ببوران :

بارك الله للحسَـنْ ولِبُورانَ فى الخَتَنْ

يا ابن هارون قد ظفرْ تَ ولكن ببنتِ مَـنْ

فقال المأمون : والله ما ندرى خيراً أراد أم شراً ؟

(٣) ى — ٤٦ — س — ٤ .

ويجوز على هذا[1] أن يكون (غير مسمع) مفعول (اسمع) أى اسمع كلاماً غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نُبُوًّا عنه .

ويحتمل المدح ، أى اسمع غير مسمع مكروهاً ، من قولك — أَسْمَعَ فلان فلانا — إذا سَبَّه .

وكذلك قوله (رَاعِنَا) يحتملَ راعنا نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا ، ويحتمل شبه كلمة عِبْرانِيَّةٍ أَوْ سُرْيانِيَّة كانوا يَتَسَابُّونَ بها وهى — راعينا[2] فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والاحترام[3] .

ثم قال : فإن قلت : كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا ؟ قلت : جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسبِّ ودعاء السوء ، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ، ويجوز ألاّ ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جُعِلُوا كأنهم نطقوا به .

قال السكاكى[4] . ومنه متشابهات القرآن باعتبار[5] .

---

(١) أى على التأويل الأخير .

(٢) الحق أنها عربية وهى فعل أمر من المراعاة ، وهى تقتضى المشاركة ، أى ارعنا نرعك ، وهذا فيه سوء أدب .

(٣) لأنهم كانوا يلوون بها ألسنتهم حتى تشبه فى الظاهر — راعنا — العربية .

(٤) ٢٢٦ — المفتاح .

(٥) لعله بذلك تجويز حملها على ظاهرها على وجه لائق بالله تعالى ، وتأويلها بحملها على ماسبق فى التورية ، فتكون محتملة الوجهين على السواء ، ولا تكون من التورية كما سبق بل من التوجيه ، وإنما قال — باعتبار — لأنه من المعتزلة الذين لا يرون حملها على ظاهرها ، وقيل : إنه يريد بذلك أنها من التوجيه بناء على عدم اشتراط استواء الاحتمالين فيه ، وعلى هذا يكون أعَمّ من التورية .

الهزل الذى يراد به الجد : ومنه الهزل الذى يراد به الجِدُّ ، فترجمته تغنى عن تفسيره[١] ومثاله قول الشاعر :

إذا ما تَميمىٌّ أتاك مُفاخِـــراً فقلْ عَدِّ عَنْ ذا كيف أَكْلُكَ للضَّبِّ[٢]

ومنه قول امرىء القيس :

وقد علمتْ سَلْمَى وإنْ كان بَعْلَها بأنّ الفتى يَهْذِى وليس بفَعّالِ[٣]

تجاهل العارف : ومنه تجاهل العارف ، وهو كما سماه السكاكى[٤] سَوْقُ المعلوم مَسَاقَ غيره لِنُكْتَةٍ[٥] كالتوبيخ فى قول الخارجية .

(١) هو أن يذكر الشىء على سبيل اللعب والمباسطة ويقصد به أمر صحيح فى الحقيقة ، والفرق بينه وبين التهكم أن التهكم بعكسه ظاهره جد وباطنه هزل ، كما فى قوله تعالى — ى ٤٩ س ٤٤ — (ذُقْ إنّكَ أنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ) .

(٢) هو الحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس ، وقوله — عد عن ذا — بمعنى تجاوز عن هذا الافتخار ، والضب حيوان صغير على هيئة فرخ التمساح ذَنَبُهُ كثير العُقَدِ ، والشاهد فى أن هذا القول للتميمى عند افتخاره هزل ظاهر ، ولكنه يراد به الجدُّ وهو ذمه بأكل الضب ، لأن أشراف الناس يَعَافُونَ أكله .

(٣) قوله — وإن كان بعلها — جملة معترضة بين — علمت — ومفعولها ، والبعل الزوج وقوله — يهذى — بمعنى يقول كلاما غير معقول ، وهو زعمه أنه يقتله كما قال قبل هذا البيت :

أيقتلنى والمشرفىُّ مُضاجعى ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوالِ

والشاهد فى قوله — أن الفتى يهذى وليس بفعال — لأن ظاهره هزل ولكنه يراد به الجد وهو هجو بعلها .

(٤) ٢٢٦ ، ٢٢٧ — المفتاح ، وإنما عدل عن تسميته — تجاهل العارف — لوروده فى كلام الله تعالى ، كقوله — ى ١٧ س ٢٠ — (وما تلكَ بيمينِكَ يا موسَى) .

(٥) فلو عبر عن المعلوم بعبارة المجهول لا لنكتة لم يكن من تجاهل العارف ، كقولك — أقام زيد أم لم يقم — وأنت تعلم أنه قام ، فالنكتة فيه شرط لصحته وليست حالا يقتضى وجوبه فى البلاغة كنكتة علم المعانى .

أيا شجر الخَابُورِ مَالَكَ مُورِقاً   كَأنكَ لم تجزعْ على ابن طَرِيفِ [١]

والمبالغة فى المدح فى قول البحترى :

ألمعُ بَرْقٍ سَرَى أمْ ضوء مِصْباحٍ   أم ابْتِسَامَتُهَا بالمنظر الضَّاحِى [٢]

أو فى الذم فى قول زهير :

وَمَا أدرى وسوف إخَالُ أدرى   أقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أم نِسَاءُ [٣]

وَالتدَلّهِ فى الحب فى قول الحسين بن عبد الله الْغَزِى [٤] .

---

(١) هو لليلى بنت طريف فى رثاء أخيها الوليد وكان من الخوارج ، والمورق ما كان ذا ورق ناضر غير ذابل ، والخابور نهر بديار بكر ، والشاهد فى قولها — كأنك لم تجزع الخ — لأنها تعلم أنه لا يجزع ولكنها تجاهلت ذلك وشكت فيه ووبخته عليه ، وإذا كان مثله يوبخ على عدم جزعه فغيره ممن شأنه الجزع أجدر به ، وقد خرج الوليد فى عهد هارون الرشيدى ، فأرسل إليه يزيد بن مَزْيَد الشيبانى فقتله ، وقد ذكر الدسوقى أن قاتله يزيد بن معاوية ، وهو خطأ ظاهر .

(٢) قوله — سرى — بمعنى ظهر ليلا ، والمراد بالمنظر الوجه أو الفم ، والضاحى الظاهر ، والشاهد فى أنه يعلم أن الذى ظهر إبتسامتها ، ولكنه تجاهل ذلك المبالغة فى مدحها ، وإفادة أنها بلغت فى الحسن مبلغاً يحصل معه ذلك اللبس .

(٣) هو لزهير بن سُلمى ، وقوله — وسوف إخال أدرى — جملة معترضة بين — أدرى — الأولى ومعمولها ، وقوله — إخال — بمعنى أظن معترض بين سوف وأدرى ، القوم يطلق على الرجال خاصة وعلى ما يعم الرجال والنساء والمراد هنا الأول ، والشاهد فى أنه يعلم أنهم رجال ، ولكنه تجاهل ذلك المبالغة فى ذمهم وإفادة أنهم بلغوا فى الضعف مبلغاً يحصل معه ذلك اللبس .

(٤) فى بعض النسخ الغربى ، ورجحت بأن الغزى اسمه إبراهيم بن عثمان ، ولكن صاحب — الخزانة — نسبه للحسين بن عبد الرحمان العرينى ، ونسبه السخاوى لعلى بن محمد العرينى ، وقيل : إنه للعرجى ، وقيل : إنه لذى الرمة .

بِاللهِ يَاظَبَيَاتِ الْقاعِ قُلْنَ لنَا لَيْلاَىَ مِنْكُنَّ أم ليلى من الْبَشَرِ[١]

وقول ذى الرمة :

أيَا ظَبْيَةَ الْوَعْسَاء بين جُلاَجِلٍ وبين النَّقَا أأنْتِ أم أُمُّ محمد سَالِمِ[٢]

والتحقير فى قوله تعالى[٣] فى حق النبى صلى الله عليه وسلم حكايةً عن الكفار (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رجل يُنَبِّئُكُمْ إذَا مُزِّقْتُمْ كلَّ مُمَزَّق إنَّكُم لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) كأن لم يكونوا يعرفون منه إلا أنه رَجُلٌ مَّا .

والتعريض[٤] فى قوله[٥] تعالى (وَإنَّا أو إيَّاكُم لَعَلَى هُدًى أوْ فِى ضَلاَلٍ مُبِين) وفى مجىء هذا اللفظ على الإبهام فائدة أخرى ، وهى أنه يبعث المشركين على الفكر فى حال أنفسهم وحال النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وإذا فكروا فيما هم عليه من إغارات بعضهم على بعض وسبى ذراريهم واستباحة أموالهم وقطع الأرحام وإتيان الفروج الحرام وقتل النفوس التى حرم الله قتلها وشرب الخمر التى تُذْهِبُ العقول وتحسِّن ارتكاب الفواحش ، وفكروا فيما النبى عليه السلام والمؤمنون عليه من صلة الأرحام واجتناب الآثام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإطعام

---

(١) القاع المستوى من الأرض ، والشاهد فى أنه يعلم أنها من البشر ، ولكنه تجاهل ذلك إظهاراً للتدله فى حبها .

(٢) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة ، والوعساء الرابية اللينة من الرمل تنبت أحرار البقول ، وجلاجل والنقا موضعان ، والشاهد فى قوله — أأنت أم أم سالم — والتقدير أأنت المرئية أم أم سالم ، على نحو ما سبق فى البيت قبله .

(٣) ى — ٧ — س — ٣٤ .

(٤) هو إمالة الكلام إلى عُرْض يدل على المقصود كما سبق فى الكلام على الكناية فى الجزء الثالث .

(٥) ى — ٢٤ — س — ٣٤ .

المساكين وبِرّ الوالدين والمواظبة على عبادة الله تعالى ـ علموا[١] أن النبى عليه السلام والمسلمين على هدى وأنهم على الضلالة ، فيفهم ذلك على الإسلام ، وهذه فائدة عظيمة .

القول بالموجب : ومنه القول بالموجب[٢] وهو ضربان :

أحدهما أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء[٣] أُثْبِتَ له حكم فَتُثْبِتَ فى كلامك تلك الصفة كلام لغير ذلك الشىء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه ، كقوله[٤] تعالى (يقولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) فإنهم كَنَوْا بالأعز عن فريقهم[٥] وبالأذل عن فريق المؤمنين ، وأثبتوا للأعز الإخراج ، فأثبت الله تعالى فى الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم .

والثانى حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر مُتَعَلَّقِهِ[٦] كقوله :

---

(١) جواب = إذا .

(٢) بكسر الجيم إن أريد به الصفة الموجبة للحكم ، وبفتحها إن أريد به الحكم الذى أوجبته .

(٣) أى عبارة عنه فليس المراد بها الكناية الإصطلاحية ، وقيل. إن المراد بها الكناية الإصطلاحية السابقة فى علم البيان ، والحق أنها لا تلتزم فى القول بالموجب .

(٤) ى — ٨ — س — ٦٣ .

(٥) إذا كان هذا كناية إصطلاحية يكون من الكناية عن الموصوف .

(٦) هذا الضرب هو الذى يسمى الاسلوب الحكيم ، وقد سبق الكلام عليه فى علم المعانى فى آخر باب المسند إليه ، والمراد بالمتعلق ما يناسب المعنى الذى يحمل اللفظ عليه وإن لم يكن متعلقاً اصطلاحياً كالمفعول والجار والمجرور ، فيدخل فيه نحو قول الشاعر :

لقد بَهُتُوا لمّا رَأَوْنِىَ شاحباً … فقالوا : به عَينٌ ، فقلتُ : وَعَارضُ

أرادوا بالعين إصابة العائن ، فحمله على إصابة عين المعشوق بذكر مناسبها وهو العارض ، لأنه السنُّ التى فى عرض الفم .

قُلْتُ : ثقَلْتُ إذْ أتيتُ مِراراً   قال : ثقلْتَ كاهلى بالأَيادِى

قُلْتُ : طوَّلْتُ ، قال : لا بلْ تطوّلْتَ : وَابْرَمْتُ ، قال: حَبْلَ وِدَادِى[1]

والاستشهاد بقوله ـ ثقلت وأبرمت ـ دون قوله ـ طولت[2]

ومنه قول القاضى الأرّجانِىّ :

غَالَطَتنى إذْ كَستْ جسمى الضّنى   كسوةً عرّت من اللحم الْعِظَامَا

ثم قالت : أنت عندى فى الهوى   مِثْلُ عينى ، صَدَقتْ لَـكِنْ سَقاماَ[3]

وكذا قول ابن دُوَيْدَةَ المغربى من أبيات يخاطب بها رجلا أودع بعض القضاة مالا فادعى القاضى ضياعه :

إنْ قَالَ : قد ضاعت ، فَيصدُقُ إنَّهاَ   ضاعتْ وَلَـكِن منك يَعْنى لَوْ تَعى[4]

---

(١) هما للحسن بن أحمد المعروف بابن حجاج أو لمحمد بن إبراهيم الأسدى ، والكاهل ما بين الكتفين ، والأيادى النعم ، وقوله ـ تطولت ـ بمعنى تفضلت ، وقوله ـ أبرمت ـ بمعنى أسأمت ، والشاهد فى أنه قال ـ ثقلت ـ بمعنى حملتك المؤونة ، فحمله على تثقيل كاهله بالنعم ، ثم قال ـ أبرمت ـ بمعنى أسأمت فحمله على إبرام حبل وداده أى عقد عهده .

(٢) فليس من القول بالموجب لأنه رد عليه بقوله ـ لا ـ وأثبت شيئاً غيره وهو التطول .

(٣) هما لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضى الأرجانى، والضنى الهزال، وقوله ـ عرت ـ بمعنى نزعت ، وفى العبارة قلب الأصل ـ عرت اللحم من العظام ، والهوى الحب ، والشاهد فى قوله ـ صدقت لكن سقاما ـ لأنه أثبت أنه مثل عينها كما قالت ، ولكن فى ضعفها وفتورها ، وهو صفة ممدوحة فى العين .

(٤) قوله ـ يعنى ـ بمعنى يقصد ، وقوله ـ ولكن منك ـ على تقدير ـ ولكن ضاعت منك ، وقوله ـ تعى ـ بمعنى تفهم ، والشاهد فى قوله ـ ضاعت ولكن منك ـ لأن القاضى يقصد أنها ضاعت منه ، فأثبت أنها ضاعت من صاحبها لا منه . وفى رواية ـ فصدق ـ فعل أمر وهو الأنسب بالفاء ، لأنه يقرن بها فى جواب الشرط .

أو قال : قد وقعتْ ، فيصدق إنها وقعتْ ولكن منه أحسَنَ موْقِعِ[١]

وقريب من هذا قول الآخر :

وَإخْوَانٍ حَسِبْتُهُمُ دُرُوعاً فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلأعَادِي
وَخِلْتُهُمُ سِهَاماً صَائِبَاتٍ فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا : قد صَفَتْ مِنَّا قُلوبٌ لقد صدقوا ولكنْ مِنْ وِدَادِي[٢]

والمراد البيتان الأولان[٣] ولك أن تجعل نحوهما ضرباً ثالثاً[٤] .

الاطراد : ومنه الاطِّرَادُ[٥] وهو أن يأتى بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه[٦] على ترتيب الولادة من غير تكلُّفٍ فى السبك ، حتى تكون الأسماء فى تحدُّرِها كالماء الجارى فى اطراده وسهولة انسجامه ، كقول الشاعر :

---

(١) الشاهد فى قوله — ولكن منه أحسن موقع — وتقديره — ولكن وقعت منه أحسن موقع بأخذه لها ، وهو يقصد فى الأول أنها وقعت أى سقطت منه .

(٢) هى لعلى بن فضالة القيروانى ، أو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى ، والدروع جمع درع وهو قميص من زَرَد الحديد يلبس فى الحرب ، وقوله — خلتهم — بمعنى ظننتهم ، وقوله — صفت — بمعنى خلت مما يكدر الصحبة .

(٣) أما الثالث فهو من القول بالموجب لا قريب منه .

(٤) أى من القول بالموجب غير الضرب بين السابقين ، وهذا لأنه لم يحمل فيه أمر وقع فى كلام الغير على غير مراده ، وإنما ذكر فيه أمر ظن على وجه فإذا هو على خلافه .

(٥) قيل : إن الاطراد من المحسنات اللفظية ، مرجعه إلى حسن السبك ، والحق أنه يرجع إلى حسن السبك فى معنى مخصوص هو النسب ، وبهذا يكون من المحسن المعنوى .

(٦) أما ذكر الأمهات والجدات فقبيح عند البلغاء .

إنْ يَقْتُلوكَ فقد ثللتَ عُروشَهمْ   بعُتَيْبَةَ بن الحارثِ بن شِهابِ[1]

وقول دُرَيْدِ بن الصِّمَّةِ :

قَتَلْنا بعبد الله خير لِدَاتِهِ   ذُؤَابَ بنَ أسماءَ بنِ زيدِ بن قاربِ[2]

وفيه تَعَرُّضٌ للمقتول به ولشرف المقتول[3] قيل : لمّا سمعه عبد الملك بن مروان قال : لولا القافية لبلغ به آدم[4] .

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ يُوسُفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بن إبْراهيمَ » .

---

(١) هو لرُبيعة بن سعد من بنى نصر بن قعين فى رثاء ابنه ذؤاب أو لداود بن ربيعة الأسدى ، وقوله ـ ثللت ـ بمعنى هدمت ، وهو كناية عن إذهاب عزهم ومجدهم ، وتتابع الإضافة مغتفر فى البيت لسلامته من الثقل .

(٢) عبد الله أخو دريد ، ولداته أترابه الذين ولدوا معه جمع لدة .

(٣) المقتول به عبد الله ، والمقتول هو ذؤاب ، وتعرضه لشرفه بقوله ـ خير لداته .

(٤) يعنى أن البيت لابد أن ينتهى بقافيته ، ولو هذا لوصل بنسبه إلى هذا الحد ، لسهولة سبكه لما أتى به منه ، فيسهل عليه ذلك أيضا .

تمرينات على المحسنات المعنوية

تمرين – ١

بين نوع المحسن المعنوي، ووجه حسنه فيما يأتي :

١) فلا كَبِدي يَفنَى ولا فيكِ رِقّةٌ ... ولا عنكِ إقصارٌ ولا فيكِ مطْمعُ

٢) تَشابَهَ دَمْعانا غداةَ افتراقنا ... مُشابَهةً في قصةٍ دون قصةِ

فَوجْنَتُها تكسو المدامعَ حُمْرةً ... ودمْعِي يكسو حُمْرةَ اللونِ وَجْنتي

٣) فَتًى قَسَّمَ الأيامَ بين سُيوفِه ... وبين طَريفاتِ المكارمِ والتُّلْدِ

فَسَوَّدَ يوماً بالعَجاجِ وبالرَّدى ... وَبيَّضَ يوماً بالفضائلِ والمَجْدِ

٤) أباحتْ بنو مَرْوانَ ظلماً دماءَنا ... وفي اللهِ إن لم يُنْصِفُوا حَكَمٌ عَدْلُ

٥) إذا ما ركبنا قال وِلْدانُ بَيْتِنا : ... تعالَوْا إلى أن يأتيَ الصَّيدُ نَحْطِبُ

٦) يقولون : لم يورَثْ ، ولولا تُراثُهُ ... لقد شَرِكتْ فيه بَكِيلٌ وأرْحَبُ

٧) خُذها إذا أُنْشِدَتْ في القومِ من طَرَبٍ ... صُدُورُها عُرِفتْ منها قَوافيها

٨) ومن لا يَذُدْ عن حوضِه بسلاحِه ... يُهَدَّمْ ومَن لا يَظْلِمِ الناسَ يُظْلَمِ

٩) إنّ البخيلَ مَلُومٌ حيث كان ولـ ... ـكنَّ الجَوادَ على عِلاّتِه هَرِمُ

١٠) وإذا ما بَدا فأَخْجَلَ بَدْراً ... لمعتْ كأسُه فأخجلَ شمْسا

١١) إذا أمطرتْ منهم ومنك سحابةٌ ... فوابِلُهم طَلٌّ وطَلُّك وابلُ

١٢) لِجِنِّيّةٍ أم غادةٍ رُفِعَ السَّجْفُ ... لوَحْشيّةٍ لا مَا لِوَحْشيّةٍ شَنْفُ

١٣) وصاحبٍ لمَّا أتاه الغِنَى ... تاهَ ونفسُ المرءِ طَمَّاحَهْ

وقيل : هل أبصرتَ منه يداً ... تشكرها ، قلتُ : ولا راحَهْ

١٤) العقلُ أنتَ عَقَلْتَهُ وسَرَحْتَهُ ... وأحَرْتَ فيكَ دليلَه وأَرَحْتَهُ

آنَيْتَهُ الحجرَ الأصمَّ ونَحَتَّهُ ... والنجمُ يعبُدُ فوقَهُ أو تحتَهُ

١٥) وَلحظُهُ وَمُحَيّاهُ وَقامتُهُ — بَدْرُ الدُّجى وَقضِيبُ البَانِ والرَّاحُ

١٦) حَياتِى وموتِى فى يديه وَجَنَّتِى — وَنَارِى وَرِيِّى فى الهوى وَأُوامِى

١٧) رأى المُزْنُ ماتُعطى فَضِ على الأسَى — فؤاداً كأنَّ البَرْقَ فيه لَهِيبُ

١٨) أتَوْنِى فعابوا من أُحِبُّ جهالةً — وذاك على سمع المحب خَفيفُ

١٩) فما فيه عيب غير أنَّ جفونَهُ — مِرَاضٌ وأن الخصر منه ضعيفُ

٢٠) إلى كمْ تَرُدُّ الرُّسلَ عَمَّا أتَوْا بِهِ — كأنَّهُمُ فيما وَهَبْتَ مَلَامُ

٢١) إن أكن مُهْدياً لك الشعر إنّى — لابنُ بيت تُهْدَى له الأشعارُ

٢٢) وَلِلّهِ سِرٌّ فى عُلاكَ، إنما — كلامُ العِدَا ضَرْبٌ من الهَذَيانِ

٢٣) تزعُمُ يا ظَبْيُ مُسَاوَاتَهَا — ولستُ أُبْدِى لك تفنيداً

إن كان ما تزعم عَارِضْ لنا — مُقْلَتَهَا واحكِ لنا الجِيدَا

٢٤) أتُرَاها لكَثْرَةِ العُشَّاقِ — تحسَبُ الدَّمْعَ خِلقةً فى المآقِ

٢٥) تُثَنِّى عِطفَهُ خَطَرَاتُ دَلّ — إذا لم تُثْنِهِ نَشَوَاتُ رَاحِ

يميل مع الوُشَاةِ وأىُّ غُصْنٍ — رَطِيبٍ لا يميل مع الرِّيَاحِ

٢٦) أُقَيسَ بنَ مسعودِ بنِ قيس بنِ خالدٍ — وأنت امرؤ يرجو شبابكَ وَائلُ

٢٧) ما أبصرتْ عيناك أحْسَنَ مَنْظَرٍ — فيما يُرَى من سائر الأشياءِ

كالشَّامةِ الخضراءِ فوق الوَجنةِ الـ — حَمْرَاء تحت المُقْلَةِ السَّوْداءِ

تمرين — ٢

من أى أقسام الطباق ما يأتى :

١) يجزُونَ من ظُلْم أهل الظلم مغفرةً — ومن إساءة أهل الشرِّ إحسَاناً

٢) ثِقَالٌ إذا لاقَوْا خِفَافٌ إذا دُعُوا — كثيرٌ إذا شَدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

٣) لهم جُلُّ مالى إنْ تتابع لى غِنًى — وإنْ قَلَّ مالى لم أُكلفْهُم رِفْدا

٤) وقد كان يدعى لابس الصبر حَازِماً — فأصبح يدعى حازماً حين يَجْزَعُ

تمرين — ٣

بين المحسن المعنوى ووجه حسنه فى قول الشاعر :

نَزَّهَ طَرْفِى فى تعابيرك الْغُرِّ وَجَالَ بها فكرى من السّطرِ لِلسَّطْرِ
فما خِلْتُها إلا حدائقَ بهجةٍ مكللة الأرجاء بالزهر والزهر
ولكنها ـ أستغفر الله ـ نُسْخَةٌ مزيَّنةٌ الأرقام بالدُّرِّ والتبْرِ
طَرِبْتُ بها لما فهمتُ نُقُوشها كما يطْرَبُ النَّشْوان من لذة الْخَمْرِ

تمرين — ٤

بين المحسن المعنوى ووجه حسنه فى قول الشاعر :

قاسُوكَ بالْغُصْنِ فى التَّثَنِّى قياسَ جَهْلٍ بلا انتصافِ
فذاك غُصْنَ الخلافِ يُدعى وأنت غصن بلا خلافِ

من أى أقسام المبالغة ما يأتى :

١) كأنِّى هلالُ الشّكِّ لولا تأوُّهى خَفيتُ فلم تُهْدَ العُيُونُ لرؤيتى
٢) منعتْ مهابتُك القلوبَ كلامَهَا بالأمر تكرهه وإنْ لم تَعْلَمِ
٣) كأنّ غلامى إذ علاَ حالَ متْنِه على ظهر طَيْرٍ فى السماء مُحَلِّقِ

تمرين — ٦

بين المحسن المعنوى فى قول الشاعر :

يا ذا الذى بصُرُوفِ الدهر عيَّرنا هل عاند الدَّهْرُ إلا من له خَطَرُ
أما ترى البحر تطفو فوقه جِيَفٌ وتستقِرُّ بأقصى قعره الدُّرَرُ
وفى السماء نجومٌ لا عِدَادَ لها وليس يكْسَفُ إلا الشمس والقمر

تمرين — ٧

من أى أقسام حسن التعلل ما يأتى :

١) ما زُلْزِلتْ مِصرُ من كيد أَلمّ بها لكنها رقصتْ من عدلكم طربا

٢) علَّمتْنِي بهجرها الصَّبرَ عنها فَهْيَ مشكورة على التقبيحِ

٣) قد طيب الأفواهَ طيبُ ثنائهِ من أجْلِ ذَا تجد الثغور عِذَابا

تمرين — ٨

١) من أى ضربى القول بالموجب قول الشاعر :

شَكَى رَمَدا فقلتُ : عساهُ كلَّتْ لوَاحظُهُ من الفتكاتِ فينَا

وقالوا : سيف مُقْلَتِهِ تصَدَّى فقلتُ : نعَمْ لِقَتْلِ العاشقينَا

٢) هل أحسن أبو نواس أو أساء بذكر أم الأمين فى مدحه بقوله :

أصبحتَ يابن زُبَيْدَةَ ابنةِ جعفَر أمَلاً لِعقْدِ حباله استِحْكامُ

أقسام المحسن اللفظي : الجناس التام وأقسامه : وأما اللفظى فمنه الجِنَاسُ بين اللفظين ، وهو تشابههما فى اللفظ[1] .

وَالتَّامُّ منه أن يتفقا فى أنواع الحروف[2] وأعدادها وهيئاتها[3] وترتيبها . فإن كانا من نوع واحد كاسمين سُمِّىَ مُمَاثِلاً ، كقوله[4] تعالى (وَيَوْمَ تَقُومَ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) وقول الشاعر :

حَدَقُ الآجَالِ آجَالٌ ... وَالْهَوَى للمرء قَتَّالُ[5]

الأول جمع إجْلٍ بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش ، والثانى جمع أَجَل والمراد به مُنْتَهَى الأعمار — وقول أبى تمام :

إذا الْخَيْلُ جَابَتْ قَسْطَلَ الحرب صَدَّعُوا ... صُدُورَ العَوالى فى صُدُورِ الْكَتَائِبِ[6]

---

(١) أى مع الاختلاف فى المعنى ، ويجب فى الجناس أن يكون سهلا لا كلفة فيه وإلا كان قبيحاً ، ومن الجناس القبيح لما فيه من التكليف قول عبد الله بن مالك القرطبي .

حيّيتُ إذ حييت حادىَ عيسهمْ ... فكأن عيسى من حُداة العيس .

فحمله تكلف التجنيس على أن يجعل عيسى عليه السلام من حداة عيسهم .

(٢) كل حرف من حروف الهجاء نوع .

(٣) هيئاتها حركاتها وسكناتها .

(٤) ى — ٥٥ — س ٣٠ ، والساعة الأولى القيامة والثانية الساعة الزمانية .

(٥) هو لأبى سعد عيسى بن خالد المخزومى ، وبعده :

والهوى صعب مراكبُه ... وركوب الصعب أهوالُ

والحدق واحده حدقة وهى سواد العين ، والمراد أن حدق النساء الشبيهة بحدق الآجال فى سعتها وحسنها تقتل من ترميه بسهامها .

(٦) قول — جابت — بمعنى خرقت ، والقسطل الغبار الساطع فى الحرب ، وقوله — صدعوا — بمعنى أمالوا ، والعوالى جمع عالية وهى الرمح ، والشاهد فى صدور العوالى وهى أعاليها وصدور الكتائب وهى نحورها .

وإن كانا من نوعين كاسم وفعل سمى مُسْتَوْفًى ، كقول أبى تمام أيضا :

مَا مَاتَ من كرم الزمان فإنَّهُ ... يَحْيَا لدى يَحْيَ بن عَبْدِ اللهِ (١)

ونحوه قول الآخر :

وَسَمَّيْتُهُ يحيي ليَحْيَا فلم يكُنْ ... إلى رَدِّ أمر اللهِ فيه سَبِيلُ (٢)

والتام أيضا إن كان أحد لفظيه مركبا (٣) سمى جناس التركيب ، ثم إن كان المركب منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة سمى مَرْفُوًّا (٤) كقول الحريرى :

وَلاَ تَلْهُ عن تَذْكار ذنبك وَابْكه ... بدمع يُحا كى الْوَبْلَ حَال مَصَابِهِ

ومثِّل لعينيك الحِمَامَ ووقعه ... وروعة ملقاه ومطعم صابِهِ (٥)

---

(١) هو من قصيدة له فى مدح أبى الغريب يحي بن عبد الله ، والمراد بكرم الزمان كرم أهله ، والشاهد فى قوله ـ يحيا لدى يحيي ـ والأول فعل والثانى اسم ، وبين قوله ـ مات ويحيا ـ طباق .

(٢) هو لمحمد بن عبد الله بن كُناسة الأسد فى رثاء ابنه يحي ، والمراد بأمر الله الموت ، والشاهد فى قوله ـ يحيي ليحيا ـ وهو كشاهد البيت السابق .

(٣) أى سواء أكان الآخر مركباً أم لا ، وقد ذكر السعد أن المراد أن يكون أحدهما مركبا والآخر مفرداً ، لأنه إذا كان كل منهما مركباً كان نوعاً آخر يسمى جناس التلفيق ، كقول البُستىّ .

إلى حَتْفى سعى قَدَمى ... أرى قدمى أراقَ دَمى

والظاهر أن المراد هو الأول ، لأنه سيذكر فى الأمثلة مايكون فيه كل من التجانسين مركباً .

(٤) ذكر ابن حجة أن هذا النوع لا يخلو من تكلف فى التركيب .

(٥) هما لأبى محمد القاسم بن عبد الله المعروف بالحريرى ، والوبل المطر الشديد ، والمصاب مصدر ـــ صاب المطر صَوْبا ومصابا ـــ أى انصب . والحمام الموت ، والصاب شجرٌ مرٌّ واحده صابة وإضافته إلى ضمير الحمام من إضافة المشبه به إلى المشبه ، والشاهد فى قوله ـــ مصابه ومطعم صابه .

وإلا[1] فإن اتفقا فى الخط سمى متشابهاً ، كقول أبى الفتح البستى :

إذا ملِكٌ لم يكن ذا هِبَهْ   فدَعْهُ فدولته ذاهِبَهْ[2]

وإن اختلفا سمى مفروقا ، كقول أبى الفتح أيضاً :

كلُّكم قد أخذ الجا   مَ ولا جامَ لنا[3]

ما الذى ضرَّ مُديرَ الـ   ـجامِ لو جامَلَنا[4]

وقول الآخر :

لا تَعرِضَنَّ على الرُّوَاةِ قصيدةً   ما لم تُبالِغْ قَبْلُ فى تَهْذِيبها

فمتَى عرَضْتَ الشعر غير مُهذَّبٍ   عَدُّوهُ منك وَسَاوِساً تَهْذِى بها[5]

---

(١) أى وإن لم يكن المركب منهما مركباً من كلة وبعض أخرى بأن كان مركباً من كلمتين أو أكثر .

(٢) هو لعلى بن محمد المعروف بأبى الفتح البستى وقوله — ذاهبه — فى الأول بمعنى صاحب هبة أى عطاء ، وقوله — ذاهبه — بعده بمعنى فانية ، وهو مفرد والأول مركب مع اتفاقهما فى الخط .

(٣) الجام الكأس .

(٤) مدير الجام الساقى ، وقوله — جاملنا — بمعنى عاملنا بالجميل فأداره علينا أيضاً ، والشاهد فى قوله — جام لنا وجاملنا — فقد تجانسا وكل منهما مركب مع اختلافهما فى الخط ، ومن يجعل جناس التركيب خاصاً بما يكون أحد المتجانسين فيه مركباً والآخر مفرداً يجعل قوله — جاملنا — مفرد الاتصال الضمير فيه بالفعل ، ولا يخفى أن هذا تكلف لا داعى إليه .

(٥) هما لأبى حفص عمر بن على المطوعى ، والمراد بالرواة حفاظ الشعر ونُقَّاده والوساوس جمع وسواس وهو ما يخطر بالقلب من شر أو مما لا خير فيه ، وقوله — يهذى — بمعنى تكلم بما لا يعقل ، والشاهد فى قوله — تهذيبها تهذى بها .

ووجه حسن هذا القسم – أعنى التام – حسن الإفادة مع أن الصورة صورة الإعادة[1] .

الجناس المحرف : وإن اختلفا فى هيآت الحروف[2] سمى مُحرَّفًا .

ثم الاختلاف قد يكون فى الحركة ، كالبرد والبرد فى قولهم – جُبَّةُ الْبُرْدِ جُنَّةُ الْبَرْدِ – وعليه قوله[3] تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ) قال السكاكى[4] وكقولك – الجهول إمّا مُفْرِطٌ أو مُفَرِّطٌ – والمُشَدَّدُ فى هذا الباب يقوم مقام المُخَفَّفِ نظراً إلى الصورة ، فاعلم[5] .

وقد يكون فى الحركة والسكون ، كقولهم – البدعة شَرَكُ الشِّرْكِ – وقول أبى العلاء .

وَالْحُسْنُ يظهر فى بيتين رَوْنَقُهُ ... بَيْتٍ من الشَّعْرِ أو بيت من الشِّعْرِ[6]

---

(١) ذكر عبد القاهر فى – أسرار البلاغة – هذه الفائدة للتجنيس مطلقاً ، وإن كانت لا تظهر الظهور التام إلا فى المستوى المتفق الصورة منه .

(٢) أى دون أنواعها وأعدادها وترتيبها .

(٣) ى – ٧٢ ، ٧٣ – س – ٣٧ .

(٤) ٢٢٧ – المفتاح .

(٥) اختلاف الهيئة فى – مفرط ومفرط – نوع آخر غير ما قبله وما بعده ، لأن اختلاف الهيئة فيه باختلاف الحركة والسكون المقابل لها ، واختلاف الهيئة فيما قبله باختلاف الحركة فقط ، وفيما بعده باختلاف الحركة والسكون معاً .

(٦) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، والرونق الصفاء ، والشاهد فى تجانس الشعر بمعنى النظم والشعر المقابل للصوف والوبر ، وظهور الحسن فى الأول بجمال لفظه ومعناه وفى الثانى بجمال الساكنين فيه .

الجناس الناقص : وإن اختلفا فى أعـداد الحروف فقط [١] سمى ناقصا ، ويكون ذلك على وجهين :

أحدهما أن يختلفا بزيادة حرف واحد فى الأول ، كقوله [٢] تعالى (والْتَفَّتِ السَّاق بِالسَّاقِ ، إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) أو فى الوسط ، كقولهم — جَدِّى جَهْدِى [٣] أو فى الآخِرِ كقول أبى تمام :

يَمُدُّون من أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ   تَصُولُ بأسياف قَوَاضٍ قَوَاضِبِ [٤]

وقول البحترى :

لئن صَدَفَتْ عَنَّا فَرُبَّتَ أَنْفُسٍ   صَوَادٍ إلى تلك الوجوه الصَّوَادِفِ [٥]

ومنه ما كتب به بعض ملوك المغرب إلى صاحب له [٦] يدعوه إلى مجلس أنس له :

---

(١) أى دون أنواعها وهيآتها وترتيبها .

(٢) ي - ٢٩ ، ٣٠ - س ٧٥ .

(٣) الجد الحظ ، والجهد المشقة ، والمعنى أن حظه فى الدنيا بمشقته فيها .

(٤) عواص جمع عاصية اسم فاعل من - عصى - بمعنى لم يطع أو من - عصاه — إذا ضربه بالعصا ، وعلى الأول يكون المعنى يعدون من أيد عواص على الأعداء ، وعلى الثانى يكون المراد - ضاربات بالعصى أى السيوف على التجوز ، والعواصم جمع عاصمة أى حافظة لأوليائها ، وقوله - تصول - بمعنى تسطو ، والقواضى القاتلات ، والقواضب القواطع ، والشاهد فى قوله - عواص وعواصم وقواض وقواضب .

(٥) قوله — صدفت - بمعنى انصرفت ، والصوادى جمع صادية اسم فاعل من الصدى وهو العطش الشديد ، شبه به شدة الشوق إليهن ثم استعير إليه إستعارة تبعية ، والشاهد فى قوله - صواد وصوادف .

(٦) الملك الكاتب هو المعتمد بن عبّاد ، وصاحبه هو محمد بن الطبيب المصرى .

أيُّهَا الصاحب الذى فَارَقَتْ عَيْـ ــنِى ونفسى منه السَّنَا وَالسَّنَاء [1]

نحن فى المجلس الذى يَهَبُ الرَّا حَةَ وَالْمِسْمَعَ الْغِنِى والْغِنَاءَ [2]

نَتَعاطَى التى تُنْسِى من اللذَّ ةِ وَالرِّقَّة الْهَـوى وَالْهَواء [3]

فَأْتِهِ تُلفِ رَاحــةً وَمُحَيَّا قــد أَعَدَّا لك الْحَيَا وَالْحَيَاء [4]

وربما يسمى هذا القسم — أعنى الثالث [5] مُطَرَّفاً ، ووجه حسـنه أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الـكلمة كالميم من — عواصم — أنها هى التى مضت وإنما أتى بها للتأكيد حتى إذا تمـكن آخرها فى نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك التوهم ، وفى هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها .

الوجه الثانى أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد ، كقول الخنساء :

إنَّ البـكاء هو الشِّفَا ءُ مِنْ الْجَوى بين الْجَوَانِحْ [6]

---

(١) السنا النور ، والسناء الرفعة ، والأول راجع إلى العين والثانى إلى النفس على اللف والنشر المرتب ، والشاهد فى قوله ـ السنا والسناء .

(٢) الراحة باطن الـكف ، والمسمع الأذن ، والغنى راجع إلى الراحة والغناء راجع إلى الأذن على اللف والنشر المرتب أيضاً ، وفى قوله ـ الغنى والغناء ـ شاهد ثان .

(٣) المراد من التى تنسى الهوى والهواء الخمر ، وفى قوله ـ الهوى والهواء ـ شاهد ثالث ، وكذلك لف ونشر مرتب .

(٤) قوله ـ تلف ـ بمعنى يجد ، والراحة باطن الـكف ، والمحيا الوجه ، والحيا المطر والمراد به العطاء على سبيل الاستعارة ، وفى قوله ـ الحيا والحياء ـ شاهد شاهد رابع ، وكذلك لف ونشر مرتب .

(٥) هو ما يكون بزيادة حرف الآخر .

(٦) هو تماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء ، والجوى حرقة القلب ، والجوانح جمع جانحة وهى الضلوع التى تحت الترائب مما يلى الصدر ، والشاهد فى قولها ـ الجوى والجوانح .

وربما سمى هذا الضرب مُذَيلاً .

الجناس المضارع واللاحق : وإن اختلفا فى أنواع الحروف اشْتُرِطَ ألاّ يقعَ الاختلاف بأكثر من حرف .

ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين[1] سمى الجناس مضارعاً ، ويكونان إما فى الأول ، كقول الحريرى : بينى وبين كِنّى ليل دامس ، وطريق طامس . وإما فى الوسط ، كقوله[2] تعالى (وَهُمْ يَنْهونَ عَنْهُ وَيَنأَوْنَ عَنْهُ) وقول بعضهم : البرايا أهداف البلايا . وإما فى الآخر ، كقول النبى صلى الله عليه وسلم « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

وإن كانا غير متقاربين سمى لاحقاً ، ويكون أيضاً إما فى الأول ، كقوله[3] تعالى (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) وقول بعضهم : رُبَّ وضِيءٍ غير رَضِيٍّ ، وقول الحريرى : لا أعطى زِمَامى لمن يخفر ذِمَامى . وإمّا فى الوسط ، كقوله[4] تعالى (ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ) وقوله[5] تعالى (وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) وإما فى الآخر ، كقوله[6] تعالى (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ) وقول البحترى :

---

(١) المراد بهما ما يشمل المتحدين فى المخرج كالهمزة والهاء فى قوله (ينهون وينأون) .

(٢) ى – ٢٦ – س – ٦

(٣) ى – ١ – س – ١٠٤

(٤) ى – ٧٥ – س – ٤٠ ، والحق أن هذا من المضارع لا من اللاحق لتقارب الفاء والميم لأنهما شفويان .

(٥) ى – ٧ ، ٨ – س ١٠٠

(٦) ى – ٨٣ – س – ٤ ، والحق أن هذا أيضاً من المضارع لأن الراء والنون من حروف الذلاقة التى تخرج من طرف اللسان

هلْ لِما فاتَ من تلاقٍ تَلافى   أمْ لِشاكٍ من الصَّبابةِ شَافِ[1]

جناس القلب : وإن اختلفا فى ترتيب الحروف سمى جناس القلب ، وهو ضربان : قلب الكل ، كقولهم — حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه — وقلب البعض ، كما جاء فى الخبر « أللهمّ استر عوراتنا ، وآمِنْ رَوْعَاتِنا » وقول بعضهم : رحم الله امرءا أمسك مابين فَكّيْهِ ، وأطلق مابين كَفَّيْهِ . وعليه قول أبى الطيب :

مُمَنّعَةٌ مُنَعّمَةٌ رَدَاحٌ   يُكَلّفُ لَفظُها الطّيْرَ الْوُقُوعَا[2]

الجناس المقلوب المجنح والجناح المزدوج : وإذا وقع أحد المتجانسين جناسَ القلب فى أول البيت والآخر فى آخره سمى مقلوبا مُجَنّحاً[3] .

وإذا ولى أحد المتجانسين الآخرَ سمى مُزْدَوجاً وَمُكرَّراً وَمُرَدّداً[4] كقوله[5] تعالى (وَجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) وما جاء فى الخبر « المؤمنون هَيّنُونَ لَيّنُونَ » وقولهم : من طلب وَجَدَّ وَجَدَ . وقولهم : من قرع باباً وَلَجَّ وَلَجَ . وقولهم : النبيذ بغير النَّغَمِ غَمٌّ ، وبغير الدّسَمِ سمٌّ . وقوله:

---

(١) التلافى مصدر — تلافى الأمر — بمعنى تداركه . والصبابة الشوق والولع الشديد والشاهد فى قوله — تلاق تلافى .

(٢) الممنعة التى يمنعها أهلها ويحمونها ، والرداح الضخمة الألية أو الثقيلة الأوراك ، والشاهد فى قوله — ممنعة منعمة .

(٣) كقول الشاعر :

لاحَ أنوارُ الهُدَى من   كَفّهِ فى كل حالِ

ولا يخفى ما فى هذا من التكلف ، ومثله كل جناس مقلوب مجنح .

(٤) هذا عام فى كل جناس وليس خاصاً بجناس القلب كالمقلوب المجنح .

(٥) ى — ٢٢ — س — ٢٧

يمدون من أيد عواص عواصم   تصول بأسياف قواض قواضب[١]

ما يلحق بالجناس : واعلم أنه يُلحَقُ بالجناس شيئان :

أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاق[٢] كقوله[٣] تعالى (فأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ) وقوله[٤] تعالى (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « الظلم ظلمات يوم القيامة » وقول الشافعي رضي الله عنه[٥] وقد سئل عن النبيذ : أجمع أهل الحرمين على تحريمه . وقول أبي تمام :

فيادمع أنجدني على ساكني نجد[٦]

وقول البحتري :

---

(١) سبق هذا البيت في الجناس الناقص ، والشاهد في — عواص عواصم — وفي — قواض قواضب .

(٢) هو أخذ لفظ من آخر لمناسبة بينهما في المعنى ، وإنما لم يكن من الجناس لوجوب اختلاف المعنى فيه كما سبق في تعريفه .

(٣) ي — ٤٣ — س — ٣٠ .

(٤) ي — ٨٩ — س — ٥٦ .

(٥) نسبه ابن المعتز في — البديع — لعبد الله بن إدريس ، وهو غير الشافعي الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس .

(٦) هو من قوله :

وأنجدتمُ من بعد إتهامِ داركم   فيادمعُ أنجدني على ساكني نجدِ

وقوله — أنجدتم — بمعنى سكنتم نجدا ، والإتهام سكنى تهامة ، والشاهد في قوله — أنجدني ونجد — والحق أن هذا ليس من الاشتقاق بل من شبه الاشتقاق الآتي ، وكذلك ما أشبهه من الأمثلة الآتية .

يَعشَى عن المجد الغبيِّ ولن ترى ... في سُودَدٍ أرباً لغير أريبِ[1]

وقول محمد بن وُهَيْبٍ :

قَسَمْتَ صروفَ الدهر بأساً وَنائلا ... فمالُكَ موتور وسيفكَ وَاتِرُ[2]

والثاني أن يجمعهما المُشابَهَةُ ، وهي ما يُشبهُ الاشتقاق وليس به[3] كقوله[4] تعالى (اثَّاقَلْتُمْ إلى الأرضِ أَرَضيتُمْ بالْحَيَاةِ الدُّنيَا مِنَ الآخِرَةِ) وقوله[5] تعالى (قالَ إنّي لعمَلِكُمْ منَ القَالينَ) وقوله[6] تعالى (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) .

وقول البحتري :

وَإذا مَا رِيَاحُ جُودِكَ هَبَّتْ ... صَارَ قَوْلُ العذول فيها هَبَاء[7]

---

(١) قوله — يعشى — بمعنى يعمى وأصله أن يسوء البصر بالليل دون النهار أو بهما معا ، والأرب الحاجة ، والأريب الماهر ، والشاهد في قوله — أربا وأريب .

(٢) هو من قصيدة له في مدح الحسن بن سهل مطلعها :

ودائعُ أسرار طوتها السرائرُ ... وباحت بمكنوناتهنَّ النواظرُ

والبأس الشجاعة ، والنائل العطاء ، والموتور والواتر مأخوذان من — وَتَرَهُ — إذا أصابه بظلم أو مكروه ، وفي ذلك لف ونشر غير مرتب ، لأن موتورا يرجع إلى — نائلا — وواتر يرجع إلى — بأساً — والشاهد في قوله — موتور وواتر .

(٣) لاختلاف أصل اللفظين فيما يشبه الاشتقاق دون الاشتقاق ، ولهذا يجعل بعضهم ما يشبه الاشتقاق من الجناس ولا يجعله ملحقا به .

(٤) ى — ٣٨ — س ٩ .   (٥) ى — ١٦٨ — س — ٢٦ .

(٦) ى — ٥٤ — س — ٥٥ .

(٧) هو من قصيدة له في مدح محمد بن يوسف ، وقبله :

خلقُ الله يا محمد أخلا ... قك مجداً في طيء وسناء

وقوله — هبت — بمعنى ثارت وهاجت ، والهباء الغبار أو دقائق التراب ساطعة ومنثورة على وجه الأرض ، والشاهد في قوله — هبت وهباء — وإنما لم يكونا من الاشتقاق لأن الهباء مأخوذ من — هَبَا يَهْبُو — لا من — هَبَّ يَهُبُّ .

رد العجز على الصدر : ومنه رَدّ العَجُزِ على الصدر ، وهو فى النثر أن يجْعَلَ أحد اللفظين المُكَرَّرَيْن أو المتجانِسَيْنِ أو المُلْحَقَيْنِ بهما فى أول الفقرة والآخَر فى آخرها[١] كقوله[٢] تعالى (وَتَخْشَى النَّاس واللهُ أحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) وقولهم : الحيلة ترك الحيلة[٣] وكقولهم : سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل . وكقوله[٤] تعالى (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إنهُ كانَ غفَّاراً) وكقوله[٥] تعالى (قَالَ إنِّى لِعَمَلِكُمْ من الْقَالِينَ) .

وفى الشعر أن يكون أحدهما[٦] فى آخر البيت والآخَرَ فى صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثانى ، فالأول كقوله :

سَرِيعٌ إلى ابن العمّ يلطم وجهَهُ ... وليس إلى داعى النَّدى بسريعِ[٧]

ونحوه قول الآخَر :

سُكْرَان سُكْرُ هَوًى وسكر مُدَامَةٍ ... أنَّى يُفيقُ فتًى به سُكْرَانِ[٨]

---

(١) المكرران هما المتفقان لفظاً ومعنى بخلاف المتجانسين والملحقين بهما .

(٢) ى ٣٧ — س — ٣٣ .

(٣) هذا المثال وما قبله من رد العجز على الصدر فى المكررين ، والمثال الثالث من رد العجز على الصدر فى المتجانسين ، والرابع من رد العجز على الصدر فى الاشتقاق ، والخامس من رد العجز على الصدر فيما يشبه الاشتقاق .

(٤) ى — ١٠ — س — ٧١ (٥) ى — ١٦٨ — س — ٢٦ .

(٦) أى أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما ، وهى أقسام ثلاثة فى الأربعة بعدها فيكون المجموع اثنى عشر قسما .

(٧) سبق هذا البيت فى الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول ، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الأول .

(٨) هو للخليع الدمشقى ، وقد ذكر الثعالبى فى — يتيمة الدهر — أن كنيته أبو عبدالله وأن اسمه ذهب عنه ، وقوله — سكران — مبتدأ خبره محذوف تقديره — بى سكران ، والهوى الحب ، والمدامة الخمر ، و — أنى — اسم استفهام بمعنى كيف .

والثانى كقول الحماسى :

تمتعْ من شميم عَرَارِ نجـــد ... فما بعد العَشِيَّةِ من عَرَارِ[1]

ونحوه قول أبى تمام :

ولم يحفظ مُضَاعَ المجد شىء ... من الأشياء كالمال المُضَاعِ[2]

والثالث كقوله أيضاً :

وَمَنْ كان بالبِيض الكواعب مُغرَماً ... فما زِلْتُ بالبيض القواضب مُغْرَماً[3]

والرابع كقول الحماسى :

وَإن لم يكن إلا مُعَرَّجَ ساعةٍ ... قَليلاً فإنِّى نافع لى قَلِيلُهَا[4]

---

(١) هو للصِّمَّة بن عبد الله القُشَيْرِىّ أو لجعدة بن معاوية بن حزم العُقَيلى ، وشميم مصدر — شَمَّ — والعرار بهار ناعم أصفر طيب الرائحة أو النرجس البرى ، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى حشو المصراع الأول .

(٢) مضاع المجد إضاعته مصدر ميمى منصوب بتقدير من الخافضة ، أى لم يحفظ من من إضاعة المجد ، والمال المضاع الذاهب فى السخاء .

(٣) هو لأبى تمام كما يفيده قول الخطيب — أيضاً — والكواعب جمع كاعب وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهود ، والبيض القواضب هى السيف القواطع ، وجواب الشرط محذوف دل عليه مابعد الفاء وتقديره — فلا شأن لى به ، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى آخر المصراع الأول ، والبيت من قصيدة له مطلعها :

عسى وطن يدنو بهم ولعلَّما ... وأن تُعتِبَ الأيام فيهم فربَّما

(٤) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة ، واسم — يكن — يعود على الإلمام المفهوم من قوله قبله :

ألِمَّا على الدار التى لو وَجَدتُهَا ... بها أهلها ماكان وحشاً مَقيلُها

ومعرج مصدر ميمى بمعنى الوقوف واللبث ، وقوله — قليلا — صفة له ، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الثانى .

والخامس كقول القاضي الأرّجاني :

دَعَانِي من ملامكما سِفَاهاً فَدَاعِي الشوق قبلكما دَعَانِي[1]

وقول الآخر :

سَلْ سَبيلاً فيها إلى رَاحةِ النفْـ ـسِ بِرَاحٍ كأنها سَلْسبيلُ[2]

وقول الآخر :

ذَوَائبُ سُودٌ كالعناقيد أُرسِلَتْ فمِنْ أجلها منها النفوسُ ذَوَائبُ[3]

والسادس كقول آخر :

وإذا البَلَابِلُ أفصحتْ بلغاتِهَا فَانْفِ البلابل باحْتِسَاء بلَابِلِ[4]

---

(١) هو لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضي الأرجاني من قصيدة له مطلعها قبل هذا البيت :

إذا لم تقدرا أن تسعداني على شجني فسيرا واتركاني

وقوله — دعاني — في صدر البيت بمعنى اتركاني وفي آخره بمعنى ناداني ، والسفاه الخفة وقلة العقل ، وهذا الشاهد فيما يكون التجانس الآخر في صدر المصراع الأول .

(٢) لا يعرف قائله ، والضمير في قوله — فيها — لروضة يصفها ، والراح الخمر ، والسلسبيل الماء العذب ، والشاهد في قوله — سل سبيلا وسلسبيل .

(٣) هو لأبي الحسن نصر المَرْغِينَانِي ، والشاهد في ذوائب الأولى جمع ذؤابة وهي أعلى شعر الرأس ، وذوائب الثانية جمع ذائبة بمعنى سائلة .

(٤) هو لعبد الملك بن محمد بن اسماعيل المعروف بأبي منصور الثَّعَالِبي ، وقد وردت البلابل فيه جمع بُلْبُل وهو طائر يضرب به المثل في طلاقة اللسان ، ثم جمع بِلْبال وهو الهم ، ثم جمع بُلبل وهو قناة الإبريق التي يصب منها الخمر ونحوه ، وقوله — أفصحت بلغاتها — بمعنى أخلصت نغماتها ، والاحتساء الشرب ، وهذا الشاهد فيما يكون التجانس الآخر في حشو المصراع الأول .

والسابع كقول الحريرى :

فمشغوف بآيات المثانى ومفتونٌ برنات المثانى[1]

والثامن كقول القاضى الأرجانى :

أمّلتهمْ ثم تأمّلتهمْ فلاح لى أنْ ليس فيهم فلاح[2]

والتاسع كقول البحترى :

ضرائبُ أبدعتها فى السماح فلسْنا نرى لك فيها ضريبا[3]

---

(١) هو للقاسم بن على المعروف بالحريرى وقبله :

بها ما شئتَ من دينٍ ودنيا وجيران تنافَوْا فى المعانى

والضمير فى قوله — بها — للبصرة ، وقوله — تنافوا — بمعنى اختلفوا ، والمشغوف الولع ، والمراد بالثانى فى الأول القرآن ، وفى آخر البيت أوتار المزامير ، ورناتها نغماتها ، وهذا الشاهد فيما يكون التجانس الآخر فى آخر المصراع الأول .

(٢) قوله ـ أملتهم ـ بمعنى رجوت خيرهم ، وقوله ـ تأملتهم — بمعنى فكرت فى أحوالهم وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى صدر المصراع فى الثانى ، وقد سبق بيان اسم القاضى الأرجانى فى شاهد القسم الخامس ، والبيت من قصيدة له فى مدح شمس الملك ابن نظام الملك ، وقبله :

يفديك قوم حاولوا صلةً تناوُلَ المجد بأيد شحاح

معاشرٌ أموالهم فى حمًى وعرضهم من لؤمهم مستباح

(٣) الحق أن هذا البيت للسَّرِىّ بن أحمد المعروف بالسرى الرفّاء فى مدح أبى الفوارس سلامة بن فهد ، وقد أخذه من قول البحترى فى مدح الفتح بن خاقان

بلوْنا ضرائبَ من قد نرى فما إنْ رأينا لفتح ضريبا

والضرائب جمع ضريبة وهى الطبيعة التى ضُرِبتْ للرجل وطبع عليها ، والضريب المثيل ، وهو فى الأصل المثيل من القداح المضروبة فى الميسر ، فهو متفق فى الاشتقاق مع ضرائب ، وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين فى صدر المصراع الأول .

والعاشر كقول امرىء القيس :

إذا المرء لم يَخْزُن عليه لِسـانَهُ   فليس على شيء سِواهُ بِخَزَّانِ[1]

وقول أبي العلاء المَعَرِّيّ :

لو اخْتَصَرْتُمْ من الإحسان زُرتُكُمُ   وَالعَذْبُ يُهْجَرُ للإفراطِ في الخَصَرِ[2]

والحادى عشر كقول الآخر :

فَدعِ الوعيدَ فما وعيدُكَ ضائِرِى   أَطَنِينُ أجنحةِ الذُّبابِ يَضِيرُ[3]

---

(١) قوله — لم يخزن — يعني لم يحفظ ، والمراد من اللسان السر على المجاز المرسل ، والمعنى — أنه إذا لم يحفظ سر نفسه لم يحفظ سر غيره من باب أولى ؛ وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق لآخر بالمتجانسين فى حشو المصراع الأول ، وهو من الاشتقاق كما هو ظاهر .

(٢) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى من قصيدة له فى مدح أبى الرضاء المصيصى ، وقوله — اختصرتم — بمعنى أقللتم ، والعذب الطيب المستساغ من الشراب ونحوه والمراد به الماء العذب ، والخصر البرودة ، والظاهر أنه يمدحهم بذلك ، ويجوز أن يراد ذمهم بالتبذير ، ولهذا يشبه أن يكون من التوجيه ، وفيه أيضاً حسن التعليل ، والشاهد فى قوله — اختصرتم والخصر — وهو ما يشبه الاشتقاق ، لأن الأول مأخوذ من الاختصار — والثانى من — خصر — بمعنى برد .

(١) هو لعبد الله بن محمد بن عُيَيْنة المُهَلَّبيّ فى على بن محمد العلوى ، وكان قد دعاه إلى نصرته فلم يجبه فتوعده ، وقبل البيت :

أعليُّ إنك جاهل مغرور   لا ظلمةٌ لك لا ولا لك نورُ

والوعيد التهديد بالشر ، والضائر اسم فاعل من الضَّيْرِ وهو الضرر ، وهذا الشاهد فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين فى آخر المصراع الأول ، وهو من الاشتقاق كما هو ظاهر .

والثانى عشر كقول أبى تمام :

وقد كانت البيضُ القوَاضِبُ فى الوَغَى بوَتَرَ فهى الآن من بعــــده بُتْرُ [١]

السجع وأقسامه : ومنه السجع ، وهو تواطؤ الفاصلتين[٢] من النثر على حرف واحد ، وهذا معنى قول السكاكى[٣] الأسجاع فى النثر كالقوافى فى الشعر . وهو ثلاثة أضراب : مُطَرَّفٌ وَمُتَوَازٍ وترصيع .

السجع المطرف : لأن الفاصلتين إن اختلفتا فى الوزن[٤] فهو السجع المطرَّف[٥] كقوله[٦] تعالى (مَالَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلّهِ وقاراً ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أطْوَاراً) .

الترصيع : وإلاَّ فإن كان ما فى إحدى القرينتين[٧] من الألفاظ أو أكثر

---

(١) هو من قصيدته فى رثاء محمد بن حُميد ، وضمير — بعده — له ، والبيض القواضب السيوف القواطع ، والوغى الحرب ، والبواتر القواطع ، والبتر جمع أبتر وهو المقطوع أو مقطوع الذَّنبِ والمراد أنها مقطوعة الفائدة على الاستعارة ، يعنى أنها كانت قواطع فى عهده لحسن استعماله لها ، فلما مات لم تجد من يحسن استعمالها فصارت مقطوعة الفائدة ، وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين فى صدر المصراع الثانى ، وهو من الاشتقاق أيضاً .

(٢) هما الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين ، والمراد تواطؤهما على حرف واحد فى آخرهما .

(٣) ٢٢٨ — المفتاح ، وما ذكره تعريف بالمثال .

(٤) أى العَروضى لا الصرفى .

(٥) سمى بهذا لبلوغه طرف الحسن ونهايته بالنسبة إلى غيره .

(٦) ي — ١٣ ، ١٤ — س — ٧١ .

(٧) هما الفقرتان سميا بذلك لتقارنهما .

ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى فى الوزن والتقفية فهو الترصيع ، كقول الحريرى : فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه . وكقول أبى الفضل الهَمَذَنِيِّ : إنَّ بعد الكدر صفواً ، وبعد المطر صحواً . وقول أبى الفتح البُسْتِيِّ : ليكن إقدامك توكلا ، وإحجامك تأملا .

السجع المتوازى : وإلا فهو السجع المتوازى ، كقوله[1] تعالى (فيهـا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ) وفى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم « أَللَّهُمَّ إنى أدرأ بك فى نحورهم ، وأعوذ بك من شرورهم » .

شروط حسن السجع : وشرط حسن السجع اختلاف قرينتيه فى المعنى كما مر[2] لا كقول ابن عبَّادٍ فى مهزومين : طاروا وَاقينَ بظهورهم صدورهم ، وبأصلابهم نحورهم .

---

(١) ى — ١٣ ، ١٤ — س — ٨٨ .

(٢) أى من الأمثله ، وقيل : إن هذا ليس بشرط ، لأن السجعة الثانية تؤكد الأولى ، والتأكيد عمدة البيان والكتابة ، وقد وقع هذا فى القرآن ، كقوله ى ١ ، ٢ ، ٣ س ١١٤ (قل أعوذُ بربِّ الناسِ ، مَلِكِ الناس ، إلهِ الناسِ) لكن التأكيد له مقام يقتضيه ، فلا يصح أن يكون تكرار المعنى لأجل السجع فقط ، ويشترط فيه أيضاً أن تكون ألفاظه فى تركيبها تابعة لمعناها لا عكسه ، وأن يقع فيما يليق به من خطابة ونحوها ، لا كما قال الصاحب بن عباد القاضى قُمَّ : أيها القاضى بقم ، قد عزلناك فَقُمْ . فقال القاضي : والله ما عزلنى إلا هذه السجعة . وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى فى جنين امرأة ضربتها أخرى — فسقط ميتاً — بغُرَّة ، فقال رجل : كيف نَدِى من لاشرب ولاأكل ، ولا صاح فاستهلّ ، ومثله دَمُه يُطلّ . فقال صلى الله عليه وسلم : أياكم وسجع الكهان . وكانوا يتكهنون وكانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع ، فيكلفونها فى موضع لا يليق بها .

قيل : وأحسن السجع ما تساوت قرائنه[1] كقوله[2] تعالى (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) ثم ما طالت[3] قرينته الثانية ، كقوله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَى[4]) أو الثالثة ، كقوله[5] تعالى (خُذُوهُ ، فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) وقول أبى الفضل الميكالى : له الأمر المطاع ، والشرف اليفاع ، والعِرْضُ المصون والمال المضاع . وقد اجتمعا[6] فى قوله[7] تعالى (وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) ولا يحسن أن تُولَى قرينةٌ قرينةً أقصر منها كثيراً[8] لأن السجع إذا استوفى أَمَدَهُ من الأولى لطولها ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيراً يكون كالشىء المبتور ، ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها ، والذوق يشهد بذلك ويقضى بصحته .

---

(١) أى فى عدد الكلمات وإن كانت إحدى الكلمات أكثر حروفا من كلمة القرينة الأخرى .

(٢) ى — ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ — س — ٥٦ .

(٣) لكن يجب أن يكون الطول غير فاحش بأن تكون الزيادة ثلثاً فأقل ، فإن كانت أكثر من ذلك كانت قبيحة إلا إذا كانت بعد فقرتين فأكثر ، لأن الأوليين يكونان حينئذ بمنزلة فقرة واحدة .

(٤) ى - ١ ، ٢ — س — ٥٣ .

(٥) ى - ٣٠ ، ٣١ - س - ٦٩ ، والفقرة الأولى فى الآية (خذوه) . والثانية (فغلوه) والثالثة (ثم الجحيم صلوه) ولا تأثر الفاء مساواة الثانية للأولى فى كون كل منهما كلمة واحدة .

(٦) أى ما طالت قرينته الثانية وما طالت قرينته الثالثة .

(٧) ى — ١ ، ٢ ، ٣ ، — س — ١٠٣ .

(٨) بخلاف القصر القليل كقوله تعالى ى ١ ، ٢ س ١٠٥ (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) .

السجع القصير والطويل والمتوسط : ثم السجع إمّا قصير ، كقوله[١] تعالى (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً ، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً) أو طويل[٢] كقوله[٣] تعالى (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ) أو متوسط ، كقوله[٤] تعالى (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) .

ومن لطيف السجع قول البديع الهَمَذَانِيّ من كتاب له إلى ابن فريغون[٥] كتابي والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره ، والليث وإن لم ألقَه ، فقد تصورت خَلقَه ، والملك العادل وإن لم أكن لقيته ، فقد لقيني صيته ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى أكثره[٦] .

سكون أعجاز الفواصل : واعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفاً عليها[٧] لأن الغرض أن يُزَاوَجَ بينها ، ولا يتم ذلك

---

(١) ى — ١ ، ٢ س ٧٧

(٢) ذهب الباقلانى فى — إعجاز القرآن — إلى أن السجع الطويل غير مرضى ولا محمود ، وهذا خطأ لوقوعه فى القرآن ، ولعله ممن لا يسمى ما فى القرآن سجعاً ، وسيأتى الخلاف فى ذلك .

(٣) ى — ٤٣ ، ٤٤ — س — ٨

(٤) ى — ١ ، ٢ — س — ٥٤

(٥) فى رسائل بديع الزمان : وله إلى الأمير ابن الحارث محمد مولى أمير المؤمنين

(٦) لطف هذا السجع من جهة قصره واتفاق أسلوب فقراته فى الشرطية .

(٧) هذا السكون واجب عند اختلاف الحركات الإعرابية مستحسن عند اتفاقها .

فى كل صورة إلا بالوقف ، ألا ترى أنك لو وصلت قولهم — ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت — لم يكن بُدٌّ من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب فيفوت الغرض من السجع ، وإذ رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها للازدواج فى قولهم — إنى لآتيه بالغدايا والعشايا — أى بالغُدُوَاتِ[1] فما ظنك بهم فى ذلك .

الخلاف فى إطلاق السجع فى القرآن والشعر : وقيل : إنه لا يقال فى القرآن أسجاع وإنما يقال فواصل[2] وقيل : السجع غير مختص بالنثر ، ومثاله من الشعر[3] قول أبي تمام :

---

(١) لأن غدوة تجمع على غدوات لا على غدايا ، فلا يقال — غدايا — إلا مع — عشايا — وهذا على أن غدايا جمع غدوة لا غَدِيَّةٍ ، وإلا كان جمعاً صحيحاً وإن لم يكن معه — عشايا — والأقرب حمل قولهم على هذا ، لأنه لا يصح تكلف حلية لفظية إلى هذا الحد .

(٢) الحق أن منع إطلاق ذلك عليه رعاية للأدب فقط ، لأن السجع فى الأصل هدير الحمام ونحوه ، وقيل : إنه لا شئ فى أن يقال فى القرآن أسجاع .

(٣) أكثره فى الشعر على ضربين : أن يجعل كل شطر فقرتين لكل فقرة سجعة ، وأن يجعل كل شطر فقرة كما فى البيت الثالث ، ونحوه مزدوجة أبى العتاهية :

حَسْبُكَ مما تبتغيه القُوتُ   ما أكثر القُوتَ لمن يَمُوتُ

الفَقْرُ فيما جاوز الكفافا   من اتَّقَى الله رَجَا وَخَافَ

وقد يأتي على غير هذين الضربين كما فى بيت الخنساء .

تَجلّى به رُشدِى ، وَأثرَتْ به يَدِى وفاض به ثِمْدى ، وأورَى به زِندِى[١]

وكذا قول الخنساء :

حَامِى الحقيقة ، محمود الخليقة ، مَهْـ ـدِىُّ الطريقة ، نَفَّاعٌ وَضَرَّارُ[٢]

وكذا قول الآخر :

ومَكَارِمٌ أولَيْتَهَا مُتَبَرِّعًا وجرائم ألغَيْتَهَا مُتَوَرِّعًا[٣]

وهو[٤] ظاهر التكلف[٥] وهذا القائل لا يشترط التقفية فى العروض والضرب[٦] كقوله :

---

(١) هو من قصيدة له فى مدح نصر بن منصور ، وقوله ـ تجلى ـ بمعنى ظهر ، وقوله ـ أثرت ـ بمعنى اغتنت ، والثمد فى الأصل الماء القليل والمراد به الماء القليل على سبيل الاستعارة ، وقوله ـ أورى ـ بمعنى صار ذا وَرْي أى نار ، والزند العود الأعلى الذى يقتدح به النار ، وهذا كناية عن الظفر بالمطلوب ، والشاهد فى اتفاق فواصله فى الدال .

(٢) هو لتماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء فى أخيها صخر ، والحقيقة ما يجب على الإنسان أن يحميه من عِرْض ونحوه ، والخليقة السجية ، والشاهد فى اتفاق فواصله فى القاف .

(٣) لا يعرف قائله ، وقوله ـ أوليتها ـ بمعنى أعطيتها ، والمتبرع المعطى من غير طلب ، وقوله ـ ألغيتها ـ بمعنى أبطلتها ، والمتورع الممتنع عن الانتقام ، وفى رواية ـ فمكارم .

(٤) أى السجع فى الشعر .

(٥) لأن الشعر فيه ضيق الوزن فلا يليق أن يضاف إليه ضيق آخر بالتزام السجع .

(٦) العروض الجزء الأخير من الشطر الأول فى البيت ، والضرب الجزء الأخير من الشطر الثانى فى البيت .

وَزَنْدُ نَدَى فَوَاضِلِه ، وَرِىٌّ وَرَنْدُ رُبَى فَضَائِلِهِ ، نَضِيرُ[١]

التشطير : ومن السجع على هذا القول[٢] ما يُسَمَّى التشطير ، وهو أن يجعل كل من شطرى البيت سجعة مخالفة لأختها[٣] كقول أبى تمام :

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ ، بِاللهِ مُنْتَقِمٍ لِلهِ مُرْتَغِبٍ ، فى اللهِ مُرْتَقِبِ[٤]

التصريع : ومنه ما يسمى التصريع ، وهو جعل العَروض مُقَفَّاةً تقفية الضرب ، كقول أبى فِراسٍ :

---

(١) هو لناصر بن عبد السيد المعروف بأبى الفتح المطرِّزى ، والزند العود الأعلى الذى يقتدح به النار وإثباته للندى تخييل ، والفواضل العطايا ، والورى ذو النار فمن يقدحه يظفر بمراده ، والرند نبات طيب الرائحة ، والربى جمع رَبْوَةٍ وهى ما ارتفع من الأرض ، والكلام مبنى على الاستعارة ، والشاهد فى أن التقفية فى حشو البيت بين ــ فواضله وفضائله ــ لا فى العَرُوض والضرب ، ورواية ــ بغية الوعاة ــ للسيوطى :

وزند ندى فواضله ورى ورند ربى خواضله نضير
ودُرٌ خلاله أبدا ثمين ودَرٌ نواله أبدا غزيرُ

والظاهر أن ــ خواضله ــ تحريف عن فضائله .

(٢) أى القول بأن السجع يأتى فى الشعر .

(٣) أى مسجوعا سجعة مخالفة لأختها ، بأن يكون كل شطر فقرتين تخالف الأولى والثانية منهما الأخريين فى التقفية

(٤) هو من قصيدة له فى مدح المعتصم بن هارون الرشيد ، وقوله ــ بالله ــ متعلق بمعتصم ، وقوله ــ لله ــ متعلق بمنتقم ، وقوله ــ فى الله ــ متعلق بمرتغب أى راغب فى ثوابه ، والمرتقب الخائف من عقابه ، والشاهد فى تركب الشطر الأول من فقرتين متفقتين فى الميم ، والشطر الثانى من فقرتين متفقتين فى الباء .

بأطـراف المُثقفةِ العوالي تفرّدْتَا بأوساطِ المعَالى[1]

وهو مما استُحْسنَ حتى إن أكثر الشعر صُرِّعَ البيتُ الأول منه[2] ولذلك متى خالفت العَروضُ الضَّرْبَ فى الوزن جاز أن تجعل مُوازِنَةً له إذا كان البيت مُصرَّعاً ، كقول امرئ القيس :

ألاَ عِمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ البالِى وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كان فى العُصُرِ الخالى[3]

أتى بعروض الطويل ـــ مفَاعِيلُنْ ـــ وذلك لا يصح إذا لم يكن البيت مصرعاً[4] ولهذا خُطِّئ أبو الطيب فى قوله :

تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقهُ حُكْمُ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وظاهره ظَرْفُ[5]

الموازنة والمماثلة : ومنه الموازنة ، وهى أن تكون الفاصلتان[6] متساويتين فى الوزن

(١) هو لأبى الحارث بن أبى العلاء المعروف بأبى فراس الحمدانى ، والمثقفة المقوّمة ، والعوالى الرماح بدل أو عطف بيان ، والأوساط جمع وسط الشىء وهو أفضل شىء فيه ، والشاهد فى تقفية العروض والضرب فى اللام .

(٢) كذلك يستحسن فى الانتقال فى القصائد من غرض إلى غرض ، كالانتقال من النسيب إلى المدح .

(٣) قوله ـــ عم ـــ أمر من وَعَمَ الديار ـــ بمعنى حياها ، وفى رواية ـــ ألا انْعَمْ ـــ والطلل ما شخص من آثار الديار ، والعُصُرُ الدهر ضمت صاده للوزن ، والخالى الماضى .

(٤) لأنه يجب قبضها بحذف الخامس الساكن ، فتصير ـــ مَفَاعِلُنْ .

(٥) هو من قصيدة له فى مدح أحمد بن الحسين القاضى ، والحكم بمعنى الحكمة ، والظرف مصدر ـــ ظَرُفَ ـــ فهو ظريف أى كيس حسن الهيئة ، والشاهد فى عدم قبضه عروض الطويل من غير تصريع ، وقد اعتذر له من وجهين . أن هذا جاء عن العرب ، وأنه الأصل .

(٦) يعنى بهما الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين أو المصراعين ، لأنها تأتى فى النثر والشعر .

دون التقفية ، كقوله[1] تعالى (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَة ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) .

فإن كان ما فى إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى فى الوزن خص باسم المُمَاثَلَةِ ، كقوله[2] تعالى (وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) وقول أبى تمام :

مَهَا الوحش إلا أنَّ هاتا أوانسٌ قَنَا الخَطِّ إلا أن تلك ذوابلُ[3]

وقول البحترى :

فَأَحْجَمَ لَمَّـا لم يجد فيك مَطْمعاً وأقدم لَمَّـا لم يجد عنك مَهْرَبَاً[4]

القلب : ومنه القلب[5] ، كقولك — أرض خضراء — وقول عماد الدين الكاتب للقاضى الفاضل : سِرْ فلا كَبَابِكَ الفرس . وجواب القاضى : دام عُلا العماد . وقول القاضى الأَرَّجَانِيِّ :

---

(١) ى — ١٥ ، ١٦ — س ٨٨ ، والفاصلتان فى الآيتين — مصفوفة ومبثوثة — والتقفية فى الأولى على الفاء وفى الثانية على الثاء ، ولا ينظر إلى تاء التأنيث فيهما لأنها لا تعد من حروف القافية لإبدالها هاء فى الوقف .

(٢) ت — ١١٧ ، ١١٨ — ٣٧ .

(٣) سبق هذا البيت فى الكلام على الطباق من هذا الجزء ، والشاهد فى تساوى الفاصلتين — أوانس وذوابل — فى الوزن دون التقفية .

(٤) هو من قصيدة له فى وصف مبارزة الفتح بن خاقان للأسد ، والضمير فى قوله — أحجم — للأسد الذى بارزه ، والمطمع محل الطمع ، والمهرب محل الهرب ، يعنى أن الأسد أحجم عنه لأنه لم يجد فيه مطمعاً لقوته ، فلما عرف أنه لا ينجو منه أقدم دهشا إليه ، والشاهد فى تساوى الفاصلتين — مطمعاً ومهرباً — فى الوزن دون التقفية .

(٥) هو أن يكون الكلام بحيث لو عكس كان الحاصل من عكسه هو ذلك الكلام بعينه . ولا يخفى ما فيه من التكلف وما جاء منه فى القرآن فهو غير مقصود فيه ، فلا يَرِد عليه ما يرد على من يتكلفه .

مودته تدوم لكل هول   وهل كل مودته تدوم[1] .

وفي التنزيل (كُلٌّ في فَلَكٍ[2]) وفيه (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ[3]) .

التشريع : ومنه التشريع ، وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما[4] كقول الحريرى :

---

(١) هو لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضى الأرجانى ، والهول المخافة من الأمر ، والاستفهام فى قوله ـ وهل كل الخ ـ للإنكار ، والمراد وصف صاحبه بالوفاء من بين الأصحاب . وقبل البيت :

أحب المرء ظاهره جميل   لصاحبه وباطنه سليم

هذا وما ذكره الخطيب كله فى قلب الحروف ، وقد يكون القلب فى الكلمات ، كقول الشاعر .

عَدَلُوا فما ظلمتْ لهم دُوَلٌ   سَعِدُوا فما زالتْ لهم نِعَمٌ

بَذَلُوا فما شحّتْ لهم شِيَمٌ   رُفِعوا فما زَلَّتْ لهم قَدَمُ

وهو مدح فإذا قلبت كلماته كان ذما ، وهذا قلبه :

نِعَمٌ لهم زالت فما سَعِدُوا   دُوَلٌ لهم ظلمتْ فما عَدَلُوا

قَدَمٌ لهم زَلَّتْ فما رُفِعُوا   شِيَمٌ لهم شحّتْ فما بَذَلُوا

وقد يكون القلب فى المفرد ، نحو ـ سلس وباب ـ ولا يضر فى القلب مد المقصور ولا قصر الممدود ، نحو ـ أرض خضراء ـ وله يضر فيه أيضاً تخفيف المشدد أو تشديد المخفف ، نحو (كُلٌّ فِى فَلَكٍ) وكذلك جعل الألف همزة أو الهمزة ألفا أو تبديل بعض الحركات والسكنات .

(٢) ى ـ ٣٣ ـ س ـ ٢١ .   (٣) ى ـ ٣ ـ س ـ ٧٤ .

(٤) لا يخفى ما فى التشريع من التكلف ، وإنما يقبل منه القليل الذى لا تكلف فيه ، وقد يبنى البيت فيه على أكثر من قافيتين ، كقول الحريرى من أول الكامل : =

يا خاطب الدنيـــا الدَّنِيَّةِ إنَّها شَرَكُ الرَّدَى وقَرَارَةُ الأَكْدَار (١)
الأبيات .

= جُودِي على المُستهتر الصب الجَوِى وتَعَطفَّى بوصاله وتَرَحَّمِى
ذا المُبتلَى المتفكر القلب الشَّجِى ثم اكشفى عن حاله لا تظلِمِى

فإنه يمكن أن يقال فيه من منهوك الرجز :

جـــودى على المستهتر ذا المبتلى المتفكر

ويمكن أن يقال فيه من مشطور الرجز الأَحذّ :

جودى على المستهتر الصب ذا المبتلى المتفكر القلب

ويمكن أن يقال فيه من مجزوء الرجز :

جودى على المستهتر الصـ ـب الجـوى وتعطفى
ذا المبتلى المتفـكر الـ ـقلب الشجى ثم اكشفى

ويمكن أن يقال فيه :

جودى على المستهتر الصب الجوى وتعطـــفى بوصـــاله
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكشفى عن حاله

(١) من هو قصيدة للقاسم بن على المعروف بالحريرى فى المقامة الشعرية ، وبعده :

دارٌ متى ما أضحكت فى يومها أبكت غداً تَبّاً لها من دارِ
غَاراتُها لاتنقضى وأسِيرُها لا يُفْتدَى بجلائل الأخْطَارِ

والخاطب الطالب ، والدنية الحقيرة ، والردى الهلاك ، وقرارة الشىء ما قَرَّ فيه وسكن ، والشاهد فى أنه يمكن أن يركب ذلك من مجزوء الكامل ، فيقال :

يا خاطب الدنيا الدنيـــة إنها شرك الردى
دار متى ما أضحكت فى يومها أبكت غدا
غاراتهـــا لا تنقضى وأسيرها لا يفتدى

لزوم ما لا يلزم : ومنه لزوم ما لا يلزم ، وهو أن يجيء قبل حرف الرَّوِيِّ أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع[١] كقوله[٢] تعالى (فإذا هُمْ مُبصرُونَ ، وَإِخوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ في الغَيِّ ثُمَّ لا يُقصِرُونَ) وقوله (فأمَّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ، وأمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ[٣]) وقول الشاعر :

سأشكر عمراً إن تراخت منيّتي — أيادىَ لم تمنن وإن هىَ جلّتِ
فتىً غير محجوبِ الغنى عن صديقه — ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلّت
رأى خُلّتي من حيث يخفى مكانُها — فكانت قذَى عينيه حتى تجلّتِ[٤]

وقول الآخر :

يقولون : فى البُستانِ للعين لَذَّةٌ — وفى الخمر والماء الذى غيرُ آسنِ
إذا شئتَ أن تلقى المحاسن كُلَّها — ففى وجه من تهوَى جميع المحاسنِ[٥]

---

(١) إنما لم يقل ـ فى مذهب السجع أو القافية ـ كما هو مقتضى السياق للاشارة إلى أن لزوم ما يلزم ضرب من السجع وإن وقع فى الشعر ، ولا يخفى ما فى لزوم ما لا يلزم من التكلف ، وما جاء منه فى القرآن فهو غير مقصود فيه ، فلا يَرِد عليه ما يرد على من يتكلفه .

(٢) ى – ٢٠١ ، ٢٠٢ – س – ٧ .

(٣) ى — ٩ ، ١٠ — س — ٩٣ .

(٤) سبق البيتان الأولان فى الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول ، والخلة فى البيت الثالث الحاجة ، والقذى الرمد ، وقوله — تجلت — بمعنى انكشفت ، والشاهد فى التزامه اللام المشددة والفتحة قبلها فى الأبيات الثلاثة .

(٥) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، وقوله — الذى غير آسن — تقديره الذى هو غير آسن ، فحذف فيه صدر الصلة ، والآسن المتغير ، وقوله — تهوى — بمعنى تحب ، والشاهد فى التزامه السين والألف قبلها فى البيتين .

هذا والتزام ما لا يلزم قد يكون فى الحرف والحركة معاً فى الأمثلة المذكورة ، =

وقد يكون ذلك فى غير الفاصلتين أيضاً[١] كقول الحريرى : وما اشْتَارَ العسل ، من اختار الكسل .

أصل الحسن فى القسم اللفظى : وأصل الحسن فى جميع ذلك — أعنى القسم اللفظى — كما قال الشيخ عبد القاهر[٢] هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى[٣] فإن المعانى إذا أُرْسِلَتْ على سجيتها وَتُرِكَتْ وماتريد طلبت لأنفسها الألفاظ ولم تكتس إلا مايليق بها ، فإن كان خلافُ ذلك كان كما قال أبو الطيب :

إذا لم تُشَاهِدْ غير حسن شِيَاتِهَا ... وأعضائها فَالْحُسْنُ عنك مُغَيَّبُ[٤]

= وقد يكون فى الحرف وحده ، كقوله تعالى — ى ١ ، ٢ س ٥٤ — (اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وإنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ويَقولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) وقد يكون فى الحركة وحدها ، كقول ابن الرومى :

لِمَا تُؤْذِنَ الدنيا به من صُرُوفها ... يكون بكاءُ الطفل ساعة يولَدُ

وإلاّ فما يبكيه منها وإنها ... لأوْسَعُ مما كان فيه وأرْغَدُ

(١) بأن يكون فى الكلمات التى قبلهما ، كما فى — اشتار واختار — فى قول الحريرى .

(٢) ١٥ — أسرار البلاغة .

(٣) بأن يراعى فيها أولاً ما يقتضيه الحال ثم يأتى المحسن اللفظى بعد هذا فيتم به الحسن ، وإنما ذكر هذا هنا مع أنه سبق فى تعريف علم البديع لينبه على غلط بعض المتأخرين فيه ، ومثل المحسن اللفظى فى هذا ما سبق من المحسن المعنوى ، وإنما نبه عليه فى الأول فقط لأن الغلط فى التعلق به أكثر من الثانى .

(٤) الضمير فى — شياتها — للخيل يصفها فى قوله قبله :

وما الخيل إلا كالصديق قليلةٌ ... وإن كثرت فى عين من لا يجرِّبُ

والشيات جمع شية وهى العلامة الظاهرة من لون ونحوه ، يعنى أن حسنها ليس فى صورتها وحدها وأن حسنها الكامل فى خصالها ، وكذلك الألفاظ والمعانى التى ساق البيت من أجلها .

وقد يقع فى كلام بعض المتأخرين، ما حَمَلَ صاحبَهُ فَرْطُ شغفه بأمور ترجع إلى ماله اسم فى البديع على أن ينسى أنه يتكلم لِيُفهِمَ ويقول لِيُبِينَ ، وَيُخَيِّلَ إليه أنه إذا جمع عدة من أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع ما عَنَاهُ فى عمياء ، وأن يُوقعَ السامعَ طَلَبُهُ فى خَبطِ عشواء[1]

---

(١) من ذلك تكلف الجناس فى قول أبى تمام :

قَرَتْ بِقُرَّانَ عَيْنُ الدينِ وانْشَتَرَتْ بالأشترين عُيُونُ الشركِ فاصطُلِما

وقران عَلَم ، والأشتران تثنية الأشتر علم أيضاً ، وقوله ـ انشترت ـ مطاوع ـ شتر العين ـ قلب جفنها ، و ـ شتر الشيء ـ قطعه ، وقوله ـ اصطلم ـ بمعنى استؤصل ، والبيت مع غثاثة لفظه وسوء تجنيسه يؤخذ عليه أن انشتار العين لا يوجب الاصطلام .

تمرينات على المحسنات اللفظية

تمرين — ١

بين نوع المحسن اللفظي ووجه حسنه فيما يأتي :

(١) سَلْسِلْ حطوطك ما غدا مُتَسَلْسِلاً شَاطِى الحَمَامِ الزُّرْقِ بالأغْصَان

واسْجَعْ بشعرك ما غدا مُتَصَاْصِلاً شَادِي الْحَمَامِ الْوُرْقِ بالأَلْحَان

(٢) هِلالٌ فى إضاءته ، حَيَاءٌ شِهَابٌ فى سماحته ، اتِّقَادُ

(٣) لم يَقْضِ من حقكم بعضَ الذى يَجِبُ قَلْبٌ متى ما جرى ذِكْرَاكُمْ يَجِبُ

(٤) أسْكَرَنِى باللفظ والمُقْلَةِ الْـ ـكَحْلاَء والوجنة والْكَاسِ

سَاقٍ يُرِينى قلبه قسوةً وَكُلُّ ساقٍ قلبه قَاسِى

تمرين — ٢

بين نوع الجناس فى الأمثلة الآتية :

(١) تحمَّلْتُ خوف الْمَنِّ كلَّ رَزِيئةٍ وَحَمْلُ رَزَايا الدهرِ أَحْلَى من الْمَنِّ

(٢) سِتْر المحبة يوم البين مُنهَتِكُ وَثَوْبُ صبرى من الأشواق مُنْتَهِكُ

(٣) لِعَينِي كُلَّ يوم ألْفُ عَبْرَهْ تُصَيِّرُنِي لأهل الشوق عِبْرَهْ

(٤) كُنْ كيف شِئْتَ عن الهوى لا أنتهى حتى تَعُودَ لِيَ الحياة وَأنتَ هى

(٥) من بحــر جُودِكَ أغْتَرِفْ وَبفَيْضِ علــك أعْتَرِفْ

(٦) عَطَفَتْ كأمثال الْقِسِىِّ حَواجِبا فَرَمَتْ غداةَ البين قَلْباً وَاجِباً

تمرين — ٣

بين نوع المحسن اللفظى ووجه حسنه فيما يأتى :

(١) تَمَنَّتْ سُلَيمَى أن أموتَ صبابةً وَأهوَنُ شيء عندنا ما تَمَنَّتِ

(٢) إسْلَمْ وَدُمْتَ على الحوادث مَارَسَا رُكناً ثَبِيرٍ أو هِضَابُ حِرَاء

وَنِلِ المــرادَ مُمَكَّناً منه عَلَى رَغْم الدهور وَفُزْ بِطُول بقاء

(٣) ضَحِكْنَا وكان الضحك مِنَّا سَفَاهَةً وحق لِسُكَّانِ البسيطة أن يَبْكوا

تُحَطِّمُنَا الأيام حتى كأنَّنَا زجاجٌ وَلَكِن لا يُعَادُ لنا سَبْكُ

تمرين — ٤

لماذا حسن الجناس فى قول أبى الفتح :

نَاظِرَاهُ فيما جَنَتْ نَاظِرَاهُ أَوْدَعَانِى أَمُتْ بمــا أَوْدَعَانِى

ولم يحسن فى قول أبى تمام:

ذَهَبَتْ بمذهبه السماحةُ فَالْتَوَتْ فيه الظُّنُونُ أَمَذْهَبٌ أَمْ مُذْهَبُ

تمرين — ٥

بين نوع المحسن اللفظى فيما يأتى :

(١) كأن المــدامَ وصوب الغمام وريح الخــزامى ونشر القُطُرْ

يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابهــا إذا طــرب الطائر المُسْتَحِرْ

(٢) فنحن فى جذل ، والروم فى وَجَلٍ والْبَرُّ فى شغلٍ ، والبحر فى خَجَلِ

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ ، فى يوم ذى رهَجٍ كأنه أجلٌ ، يسعى إلى أمَلِ

خاتمة فى فصلين يلحقان بالبديع : هذا ما تيسر بإذن الله تعالى جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث ، وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين :

منها ما يتعين إهماله لعدم دخوله فى فن البلاغة ، نحو ما يرجع فى التحسين إلى الخط دون اللفظ ، مع أنه لا يخلو من التكلف ، ككون الكلمتين متماثلتين فى الخط ، وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة . ونحو ما لا أثر له فى التحسين ، كما يُسَمَّى الترديد (١) أو لعدم جدواه ، نحو ما يوجد فى كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه ، كما سماه — الإيضاح — فإنه فى الحقيقة راجع إلى الإطناب (٢) أو خَلْطٌ فيه ، كما سماه — حسن البيان (٣) .

ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة (٤) وهو شيئان : أحدهما القول فى السرقات الشعرية وما يتصل بها ، والثانى القول فى الابتداء والتخلص والانتهاء . فعقدنا فيها فصلين ختمنا بهما الكتاب .

---

(١) هو أن تعلق الكلمة بمعنى ثم تعلق بمعنى آخر فى مصراع أو مصراعين ، كقول الشاعر : هَوِينَنِى وهَوِيتُ الغانياتِ إلى أن شِبْتُ فانصرفتْ عنهنَّ آمالى
علق — هوينى وهويت — بالغانيات ، ومثاله فى المصراعين :

يُرِيكَ فى الرَّوْعِ بدراً لاحَ فى غَسَقٍ فى ليثِ عِرِّيسةٍ فى صورة الرَّجُلِ

(٢) فيكون من علم المعانى لا من علم البديع .

(٣) هو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة ، والخلط فيه أنه من البيان لا البديع .

(٤) هى بيان حسن الأخذ وقبحه فى السرقات الشعرية ، وبيان مواضع حسن الابتداء والتخلص والانتهاء وقبحها ، وقيل : إن هذا ليس من علوم البلاغة ، وإنما يختم الكلام فيها به لاتصاله بها وتوقفه عليها ، والحق أن براعة الاستهلال وحسن التخلص وبراعة المقطع من صميم البديع لا من لواحقه ، فالأولى قصر ما يلحق بالبديع على السرقات الشعرية .

الفصل الأول

السرقات الشعرية : اعلم أن اتفاق القَائلَين إن كان فى الغرض على العموم(١) كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء فلا يعد سرقة ولا استعانة ولا نحوهما ، فإن هذه أمور متقررة فى النفوس منصورة المعقول ، يشترك فيها الفصيح والأعجم ، والشاعر والمُفْحَمُ .

وإن كان فى وجه الدلالة على الغرض(٢) وينقسم إلى أقسام كثيرة : منها التشبيه بما توجَدُ الصفة فيه(٣) على الوجه البليغ كما سبق(٤) . ومنها ذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن له الصفة ، كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر ، كقوله :

كأنّ دنانيراً على قَسَمَاتِهِمْ ... وإنْ كانَ قد شَفَّ الْوجُوهَ لِقَاءُ(٥)

وكذا وصف الجواد بالتهلل عند ورود الْعُفَاةِ والارتياح لرؤيتهم ، ووصف البخيل بالعبوس وقلة الْبِشْر مع سعة ذات اليد ومساعدة الدهر .

---

(١) الغرض هو المعنى المقصود ، ومعنى كونه على العموم أنه يقصده كل الناس ، فلا بد من أمرين : أن يكون الاتفاق فى الغرض لا فى الدلالة عليه ، وأن يكون الغرض عاماً ، فإذا كان الاتفاق فى الدلالة فهو مما يمكن أن يدعى فيه السبق والزيادة كما سيأتى ، وإن كان الاتفاق فى غرض خاص فهو مما يمكن أن يدعى هذا فيه أيضاً .

(٢) جواب — إن — سيأتى فى قوله — فإن كان مما يشترك الخ — وما قبله اعتراض ، ووجه الدلالة على الغرض هو طريقها من تشبيه أو حقيقة أو مجاز أو كناية .

(٣) الصفة هى الغرض السابق .

(٤) أى فى الكلام على التشبيه فى الجزء الثالث .

(٥) هو محرز بن المكعبر الضبي ، والقسمات الوجوده ، وقوله — شف — بمعنى غيّر ، يعنى أن وجوههم تشرق فى الحرب على حين تتغير وجوه غيرهم فيها لهولها .

فإن كان مما يشترك الناس فى معرفته لاستقراره فى العقول والعادات ، كتشبيه الفتاة الحسنة بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ، والبليد البطىء بالحجر والحمار ، والشجاع الماضى بالسيف والنار — فالاتفاق فيه كالاتفاق فى عموم الغرض .

وإن كان مما لاينال إلا بفكر ولايصل إليه كل أحد[١] فهذا الذى يجوز أن يُدَّعى فيه الاختصاص والسبق ، وأن يُقْضَى بين القَائِلَيْنِ فيه بالتفاضل ، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر ، وأن الثانى زاد على الأول أو نقص عنه . وهو ضربان : أحدهما ما كان فى أصله خَاصِّيًّا غريباً ، والثانى ما كان فى أصله عَامِّيًّا مُبْتَذَلاً لكن تُصُرِّف فيه بما أخرجه من كونه ظاهراً ساذجاً إلى خلاف ذلك[٢] وقد سبق ذكر أمثلتهما فى التشبيه والاستعارة[٣] .

إذا عرفت هذا فنقول :

أقسام السرقة الظاهرة : النسخ والانتحال : الأخذ والسرقة نوعان : ظاهر وغير ظاهر .

أمّا الظاهر فهو أن يؤخذ المعنى كله إما مع اللفظ كله أو بعضه[٤] وإمّا وحده ، فإن كان المأخوذ اللفظ كله من غير تغيير لنظمه فهومذموم مردود ، لأنه سرقة محضة ، ويسمى نَسْخاً وانْتِحَالا ، كما حُكِىَ أن عبد الله بن الزُّبيرِ دخل على معاوية فأنشده :

إذا أنت لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدتَهُ ... على طَرَفِ الْهِجْرانِ إن كان يَعْقِلُ[٥]

---

(١) بأن كان مجازاً مخصوصاً أو كناية أو تشبيها على وجه لطيف .

(٢) فإذا لم يتصرف فيه بذلك لم يجز أن يدعى فيه السبق والزيادة كالاتفاق فى عموم الغرض .

(٣) عند الكلام عليهما فى الجزء الثالث .

(٤) مثل أخذ اللفظ أخذ مرادفه كما سيأتى .

(٥) قوله — لم تنصف — بمعنى لم تعدل معه وتوفه حقه ، وطرف الهجران جانبه والإضافة بيانية .

ويركب حَدَّ السيف من أنْ تضيمَهُ   إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السيف مَزْحَلُ(١)

فقال له معاوية : لقد شَعَرْتَ بعدى يا أبا بكر . ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل مَعْنُ بن أوْسٍ المُزَنِيُّ ، فأنشد كلمته التى أولها :

لَعَمْرُكَ ما أدرى وَإنّى لأوْجَلُ   عَلَى أيِّنَا تَغْدُو المنِيَّةُ أوّلُ(٢)

حتى أتى عليها وفيها ما أنشده عبد الله ، فأقبل معاوية على عبد الله وقال له : ألم تخبرنى أنهما لك ؟ فقال : المعنى لى واللفظ له ، وبعد فهو أخى من الرضاعة ، وأنا أحق بشعره(٣) .

وقد رُوِىَ لأوس ولزهير فى قصيدتيهما(٤) هذا البيت :

إذا أنت لم تُعْرِضْ عن الجهل والخَنَا   أَصَبْتَ حَلِيما أو أصابك جَاهِلُ(٥)

وقد رُوِىَ لِلأُبَيْرِدِ اليَرْبُوعِىِّ :

---

(١) المراد بحد السيف ما يتحمله من الشدائد على سبيل الاستعارة ، ومن فى قوله — من أن تضيمه — للبدل أو للتعليل والضيم الظلم ، وشفرة السيف حده والمراد به ما يتحمله من الشدائد أيضاً ، والمزحل المبعد .

(٢) لعمرك قسم وهو مبتدأ وخبره محذوف تقديره قسمى ، وأوجل أفعل تفضيل من الوجل وهو الخوف ، وقوله — تغدو — بمعنى تصبح ، أو بالعين المهملة من العدو ، والجار والمجرور متعلق بأدرى ، وما قبله اعتراض .

(٣) هذا اعتذار بارد وإن تظرف فيه .

(٤) يعنى قصيدة أوس بن حجر التى مطلعها :

يا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغَنْ   يزيد بن عبد الله ما أنا قائلُ

وقصيدة زهير بن أبى سُلْمَى التى مطلعها :

لسلمى بشرقى القَنَانِ منازلُ   ورسمٌ بصحراء اللُّبَيَّيْنِ حائلُ

(٥) قوله — لم تعرض — بمعنى لم تنصرف ، والخنا الفحش ، والحليم العاقل ، والمراد — أصبت حليما بجهلك وأصابك جاهل بجهله .

فَتىً يشترى حُسْنَ الثناء بمَالِهِ   إذا السَّنَةُ الشهباء أعْوَزَهَا الْقَطْرُ[١]

ولأبى نُواس :

فتى يشترى حسن الثناء بماله   ويعلم أنّ الدّائِرَاتِ تَدُورُ[٢]

وقد روى لبعض المتقدمين يمدح معبداً :

أجاد طوَيْسٌ والسُّرَيجِيُّ بَعْدَهُ   وما قَصباتُ السّبْقِ إلا لِمَعْبَدِ[٣]

ولأبى تمام :

مَحَاسِنُ أصناف المُغَنِّيَن جَمّةٌ   وما قصباب السبق إلا لمعبد[٤]

وحكى صاحب الأغانى فى أصوات معبد :

---

(١) هو للأبيرد بن للعذر بن قيس من مرثية له فى أخيه مطلعها .

تطاول ليلى لم أنمه تقلبًا   كأنّ فراشى حال من دونه الجمر

والشهباء المجدبة ، وقوله — أعوذها القطر — بمعنى احتاجت إليه والقطر المطر وهذا كناية عن انقطاعه فيها .

(٢) هو من قصيدة للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس فى مدح الخصيب ، والدائرات الدواهى ، وقوله — تدور — يعنى تتقلب ويداولها الله بين الناس . وقبل البيت :

إذا لم تَزل أرضَ الخصيب ركابنا   فأىّ فتى بعد الخصيب تزور

(٣) لا يعرف قائله وطويس لقب عيسى بن عبد الله ، وقد غنى فى عهد عثمان ابن عفان ، والسريجى لقب عبيد الله بن سريج ، وقد أخذ الغناء عن طويس ، ومعبد بن وهب غنى فى أول دولة بنى أمية ، وقصبات السبق هى التى تنصب فى حلبة السباق فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعرف أنه السابق ، ويقال هذا فى الكناية عن الفوز والغلبة .

(٤) هو من قصيدة له فى مدح خالد بن يزيد الشيبانى ، وقبله :

فهما تكن من وقعة بعدُ لا تكن   سوى حَسَن مما فعلتُ مردّدِ

لَهْفِى على فِتْيَةٍ ذَلَّ الزمانُ لَهُمْ   فما يصيبهمُ إلا بما شَاؤوا[١]

وفى شعر أبى نُواس :

دَارَتْ على فتية ذل الزمان لهم   فما تصيبهم إلا بما شَاؤُوا[٢]

وفى هذا المعنى ما كان التغيير فيه بإبدال كلمة أو أكثر بما يرادفها[٣] كقول امرىء القيس :

وَقوفاً بها صَحْبِى عَلَىَّ مطيَّهُمْ   يقولون لا تهلك : أسىً وَتَجَمَّلِ[٤]

---

(١) لايعرف قائله ، واللهف التحسر ، وقوله — ذل — بمعنى خضع ، ورواية الأغانى — فما أصابهم — وقد غناه معبد للوليد بن يزيد ، وبعده :

ما زال يعدو عليهم ريبُ دهرهمُ   حتى تفانَوْا وريبُ الدهر عدّاء .

أبكى فراقُهمُ عينى وأرقها   إن التفرق للأحباب بكّاء

(٢) هو من خمرية للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس مطلعها :

دَعْ عنك لومى فإن اللوم إغراء   وداونى بالتى كانت هى الداء

والضمير فى قوله — دارت — للخمر ، وقد كان للمعنى فى البيت الأول يراد به التحسر والتحزن ، فجعله أبو نواس فى موضع سرور ومجلس شرب خمر .

(٣) مثله ما كان التغيير فيه بالضد مع رعاية النظم والترتيب ، كقول بعضهم فى الهجاء :

سودُ الوجوهِ لئيمةٌ أحسابُهُمْ   فُطْسُ الأنوفِ من الطّراز الآخرِ

فلم يفعل سوى أن غيّر ألفاظ بيت حسان فى مدح آل جَفْنَة :

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم   شُمُّ الأنوف من الطراز الأول

وإنما يذم التغيير بالمرادف أو بالضد إذا لم يكن فيه فائدة من حسن سجع أو موازنة أو زيادة فصاحة أو سلامة للشعر .

(٤) قوله — وقوفاً — مصدر أو جمع واقف حال من فاعل — نبك على فى قوله قبله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللّوى بين الدخول فحومَل =

وقول طرفة :

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون : لا تهلك أسى وَتَجَـلَّدِ[١]

وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه :

وما الناسُ بالناسِ الذين عَهِدَتَهُمْ ولا الدارُ بالدارِ التى كنتَ تَعلمُ[٢]

وقول الفرزدق :

وما الناسُ بالناسِ الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التى كنت تعرِفُ

وكقول حاتم :

وَمَنْ يَبتَدِعْ ما ليس من خِيمِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ على النفس خِيمُها[٣]

وقول الأعور :

ومن يَقْتَرِفْ خُلقاً سوى خُلْقِ نَفْسِهِ يدعْهُ ويغلبه على النفس خِيمُها[٤]

الإغارة أو المسخ : وإن كان[٥] مع تغيير لنظمه أو كان المأخوذ بعض اللفظ سمى إغارة ومسخاً .

= ومطيهم مفعول به لوقوفاً لأنه متعد من الوقف بمعنى الحبس لا من الوقوف ، وقوله — على — بمعنى لأجلى ، والأسى شدة الحزن ، وقوله — وتحمل — بالحاء أو بالجيم من التجمل وهو الصبر الجميل .

(١) هو لطرفة بن العبد ، وقوله — وتجلد — أمر من تجلد بمعنى تكلف الجَلَد وصبر ، وقبله :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

(٢) المراد بالناس ناس معهودون له ، فأل فيه للعهد ، وقوله — عهدتهم — خطاب على الالتفات بمعنى عرفتهم ، وأل فى الدار للعهد أيضاً .

(٣) هو لحاتم الطائى ، وقيل : إنه لمالك السُّلمى ، وقوله — يبتدع — بمعنى يخترع ، والخيم السجية ، وقوله — يدعه — بمعنى يتركه .

(٤) هو لبشر بن منقذ المعروف بالأعور الشَّنّى ، وقوله — يقترف — بمعنى يكتسب ، والخُلق الجبة .

(٥) أى أخذ اللفظ كله .

فإن كان الثانى أبلغ من الأول لاختصاصه بفضيلة كحسن السبك[1] أو الاختصار أو الإيضاح أو زيادة معنى فهو ممدوح مقبول ، كقول بشار :

مَن راقب النّاسَ لم يَظْفرْ بحاجَتِهِ وفاز بالطَّيِّبات الْفَاتِكُ اللَّهِجُ[2]

وقول سَلْمٍ الخاسر :

من راقب الناس مات غَمًّا وفاز باللَّذةِ الجسورُ[3]

فبيت سلم أجود سبكا وأخصر[4] وكقول الآخر :

خَلَقْنَا لهم فى كل عَيْنٍ وحاجبٍ بِسُمْرِ القَنَا والْبِيضِ عَيْناً وحَاجِبَا[5]

وقول ابن نُبَاتَةَ بعده :

خلقنا بأطراف القنا فى ظهورهم عيونا لها وَقْعُ السيوفِ حواجبُ[6]

---

(١) بالخلو من التعقيد اللفظى والمعنوى نحوهما .

(٢) هو لبشار بن بُرْدَ ، وقوله — راقب — بمعنى حاذر وخاف . والفاتك الشجاع القتّالُ ، واللهج اللازم لمطلوبه الحريص عليه من غير مبالاة .

(٣) هو لسلم بن عمرو المعروف بسلم الخاسر ، والجسور الجرىء .

(٤) أما الاختصار فظاهر ، وأما أنه أجود سبكا فلأن الفتك فى بيت بشار زائد على المقصود لتطلبه الجراءة فقط .

(٥) نسبه الخفاجى فى — ريحانة الألبا — لأبى إسحاق إبراهيم الغزى ، وجعله متابعاً فيه لابن نباته على عكس ماسيجىء بعده فى — الإيضاح — وقوله — خلقنا — بمعنى أوجدنا ، والقنا واحد قناة وهى الرمح ، والبيض السيوف ، وقد جعل أثر الرمح عينا لاستدارته وأثر السيف فوقه حاجبا لاستطالته على سبيل الاستعارة .

(٦) هو لعبد العزيز بن عمر المعروف بابن نُباتة السعدى ، وتقدير الشطر الثانى عيوناً وقع السيوف حواجب لها ، والمراد أثر وقعها ، وبعد البيت :

لقوا نبلنا مُرْدَ العراض وانثنوا لأوجههم منها لحى وشوارب

فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى وهو الإشارة إلى انهزامهم[١] ومن الناس من جعلهما متساويين[٢] .

وإن كان الثانى دون الأول فى البلاغة فهو مذموم مردود ، كقول أبى تمام :

هَيْهَاتَ لا يأتى الزمانُ بِمِثْلِهِ إنَّ الزَّمَانَ بمثـله لَبَخِيلُ[٣]

وقول أبى الطيب :

أعدى الزمانَ سخاؤه فَسَخَا به ولقد يكون به الزمانُ بَخِيلاَ[٤]

فإن مصراع أبى تمام أحسن سبكا من مصراع أبى الطيب ، أراد أن يقول : كان الزمان به بخيلا . فعدل عن الماضى إلى المضارع للوزن ، فإن قلت : المعنى أن الزمان لا يسمح بهلاكه[٥] قلت : السخاء بالشىء هو بذله للغير ، فإذا كان الزمان قد سخا به فقد بذله فلم يبق فى تصريفه حتى يسمح بهلاكه أو يبخل به[٦] .

---

(١) لأنه جعل ذلك فى ظهورهم ، وهذا إلى إرجاعه العيون للرماح والحواجب للسيوف وإجمال هذا فى البيت الأول ، وقد يجاب عن هذا بأن الإجمال من مقاصد البلغاء .

(٢) لأن بيت ابن نباتة إذا أشار إلى انهزامهم فالبيت الأول يشير إلى أنهم شجعان يعظم الفخر بالانتصار عليهم .

(٣) هيهات اسم فعل ماض بمعنى — بَـعُـدَ — وفاعله محذوف تقديره — بعد إتيان الزمان بمثله بدليل ما بعده ، أو بعد نسيانى له بدليل قوله قبله :

أنْـسَـى أبا نصر نَـسِيتُ إذنْ يَـدِى من حيث يَـنْـتَـصِر الفتى ويُـنِيلُ

(٤) هو من قصيدة له فى مدح بدر بن عمار ؛ وقوله — أعدى — فعل ماض من الإعداء وهو تجاوز الشىء من صاحبه إلى غيره ، والسخاء الجود ، يعنى أن الزمان كان بخيلا به عليه فلما أعداه سخاؤه جاد عليه به فأسعده بصحبته .

(٥) فيكون المضارع فى موضعه .

(٦) لايخفى أن جود الزمان به لايخرجه عن تصرفه ، للفرق فى هذا بين الجود به والجود بالمال .

وإن كان مثله فالخطبُ فيه أهون ، وصاحب الثانى أبعد من المذمة ، والفضل لصاحب الأول ، كقول بشار .

يا قوم أُذْنِى لبعض الحىِّ عاشقة ... وَالأُذْنُ تعشق قبل العين أَحْيَانَا(١)

وقول ابن الشِّحْنَةِ الْمَوْصِلِىِّ :

وإنى امْرُؤٌ أحببتكم لِمكارِمٍ ... سمعتُ بها وَالأُذْنُ كالعين تَعْشَقُ(٢)

وكذا قول القاضى الأَرَّجَانِىِّ :

لم يَبكِنى إلا حَدِيثُ فراقكم ... لَمَّا أَسَرَّ به إلىَّ مُوَدِّعى

هو ذلك الدُّرُّ الذى أَوْدَعْتُم ... فى مَسْمعِى أَلْقَيتُهُ من مَدْمَعى(٣)

وقول جَارِ الله :

وقائلةٍ : ما هــذه الدُّرَرُ التى ... تَسَاقَطُهَا عيناكَ سِمْطَيْنِ سِمْطَيْن

فقلتُ : هو الدُّرُّ الذى قد حَشَا بهِ ... أبو مُضَرٍ أُذْنِى تَسَاقَطَ من عَيْنِى(٤)

---

(١) هو لبشار بن بُرْد ، وبعض الحى كناية عن محبوبته ، وإنما أسند العشق إلى أذنه لأنه كان أعمى ، والنفس قد تعشق بالسماع قبل الرؤية ، بأن يسبق وصف ما يعشق رؤيته .

(٢) هو لعمر بن محمد المعروف بابن الشحنة الموصلى ، والشاهد فى قوله — والأذن كالعين تعشق — لأنه مأخوذ من قول بشار ، ولكنه مثله فى حسن السبك ونحوه .

(٣) هما لأحمد بن محمد المعروف بالقاضى الأرجانى ، والمراد بمودعه من حدثوه بفراقهم على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، والدر اللؤلؤ استعارة لحديثهم وأخبر به عن ضميره ، ثم استعاره لدمعه .

(٤) هما لمحمود بن عمر الزمخشرى المعروف بجار الله ، والسمط هو الخيط ما دام الخرز أو اللؤلؤ منتظما فيه ، وأبو مضر هو محمود بن جرير الضبى أستاذ الزمخشرى ، والبيتان من قصيدة له فى رثائه ، وقد ذكر ابن خلكان أن اسمه منصور وهو خطأ .

وكقول أبى تمام :

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ المَـنِيَّةِ لم يَجِدْ ⁂ إلاّ الفراقَ على النفوس دَلِيلاَ[١]

وقول أبى الطيب :

لوْلاَ مُفَارَقَةُ الأحباب ما وجدتْ ⁂ لها المَنَايَا إلى أرواحنا سُـبُلا[٢]

واعلم أن من هذا الضرب[٣] ما هو قبيح جِدًّا ، وهو ما يدل على السرقة باتفاق الوزن والقافية أيضاً ، كقول أبى تمام :

مُقيمُ الظَّنِّ عنـــدكَ وَالأمَانِى ⁂ وإن قَلِقَتْ ركابى فى البِلاَدِ[٤]

ولا سـافرتُ فى الآفاقِ إلاَّ ⁂ وَمِنْ جدْواكَ راحلتى وَزَادِى[٥]

وقول أبى الطيب :

إنِّى عنك بعـــد غَدٍ لَغَادى ⁂ وقلبى عن فِنَائكَ غير غَادِى[٦]

---

(١) قوله — حار — بمعنى ضل فى التوصل إلى مراده ، والمرتاد الطالب ، والدليل الطريق منصوب على أنه مفعول أول ليجد والمفعول الثانى محذوف تقديره له ، يعنى أنه لا يجد له دليلا على النفوس إلا الفراق .

(٢) قوله — لها — جار ومجرور مفعول ثان لوجدت وسبلا مفعول أول ، ويجوز أن يكون — لها — اسم جنس جمعى واحدة لَـهَاةٌ فيكون فاعل — وجدت — والمنايا مضاف إليه ، واللهاة اللحمة المطبقة فى أقصى سقف الحلق والمراد بها الفم من إطلاق اسم الجزء على الـكل ، وقد أثبتها للمنايا على سبيل التخييل .

(٣) هو ما كان الثانى فيه مثل الأول .

(٤) الخطاب لممدوحه أحمد بن أبى دؤاد ، والأمانى جمع أمنية وهى البغية ، وقوله — قلقت — بمعنى اضطربت فى السفر ، والركاب الإبل ، يعنى أن فكره لا يتجه إلا إليه .

(٥) الآفاق النواحى جمع أفُق ، والجدوى العطية ، والراحلة القوىُّ من الإبل على الأحمال والأسفار .

(٦) الخطاب لممدوحه على بن إبراهيم التَّنُوخى ، والغادى المسافر فى الغداة وهى أول النهار ، والفناء الساحة أمام البيت .

مُحِبُّكَ حيثما اتَّجهتْ ركابِي وَضيفُكَ من كُنتُ من البِلادِ

الإلمام أو السلخ : وإن كان المأخوذ المعنى وحده سمى إلماماً وسلخاً ، وهو ثلاثة أقسام كذلك[1] .

أولها كقول البحترى :

تَصُدُّ حياء أن تراك بأوجُهٍ أتى الذَّنْبَ عاصيها فَليمَ مُطِيعُها[2]

وقول أبى الطيب :

وجُرْمٍ جرَّهُ سُفَهاء قومٍ وحَلَّ بغير جَارِمهِ العذابُ[3]

فإن بيت أبى الطيب أحسن سبكا[4] وكأنه اقتبسه من قوله (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا[5]) وقول الآخر :

ولستُ بنظارٍ إلى جانب الغنى إذا كانتِ العلياء فى جانب الفقرِ[6]

---

(١) أى كالإغارة والمسخ ، وهى أن يكون الثانى أبلغ من الأول أو دونه أو مثله .

(٢) هو من قصيدة له يمدح فيها المتوكل ويذكر صلح بنى تغلب ، وقوله — تصد — بمعنى تصرف وفاعله ضمير مستتر جوازاً يعود على تغلب ، وقوله — حياء — مفعول لأجله ، والخطاب فى — تراك — للمتوكل ، وقوله — ليم — فعل مبنى للمجهول من اللوم وهو العذل .

(٣) الجرم الذنب وهو معطوف على قوله قبله .

وكم ذنب مولِّدُهُ دلالٌ وكم بعد مولده اقترابُ

وقوله — جره — بمعنى ارتكبه ، والجارم الكاسب .

(٤) لأنه وصف مرتكب الجرم بالسفاهة ولم يصف من أوخذ به بالطاعة المنافية للمؤاخذة ، وإنما يؤاخذ غير السفهاء بفعلهم لأنه لم يمنعهم منه .

(٥) ى — ١٥٥ — س — ٧ ، وإنما لم يكن اقتباساً صرفاً للاختلاف بينهما .

(٦) سبق هو وبيت أبى تمام فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثانى .

وقول أبي تمام بعده :

يصدُّ عن الدنيـا إذا عنَّ سُودَدٌ ولو برزتْ في زيِّ عذراءَ ناهدِ

فبيت أبي تمام أَخصر وأبلغ ، لأن قوله — ولو برزت في زي عذراء ناهد — زيادة حسنة[1] وكقول أبي تمام :

هو الصُنعُ إن يَعجَلْ فَخَيْرٌ وإن يرِثْ فَلَلرَّيثُ في بعض المواضع أنفعُ[2]

وقول أبي الطيب :

ومن الخـــير بُطْءُ سَيْبِك عَنِّى أسْرَعُ السُحُبِ في المَسيرِ الجَهامُ[3]

فبيت أبي الطيب أبلغ لاشتماله على زيادة بيان[4] .

وثانيها كقول بعض الأعراب :

وَرِيحُها أطيَبُ مِنْ طِيبِها والطيبُ فيه المِسْكُ وَالْعَنْبَرُ[5]

---

(١) هذا علة لكونه أخصر وأبلغ ، لأن كون ذلك زيادة يشير إلى أن الشطر الأول من بيت أبي تمام يفيد ما أفاده البيت الأول بشطريه فيكون أخصر ، وأما كونه أبلغ فلهذه الزيادة ، ولقوله — عن الدنيا — بدل قول الأول — ولست بنظار إلى جانب الغنى — لأن الصد عن الدنيا أبلغ من عدم النظر إليها .

(٢) هو ضمير الشأن ، والصنع بمعنى الإحسان مبتدأ خبره جملة الشرط ، وجملة ذلك خبر ضمير الشأن ، ويجوز أن يكون — هو — عائداً إلى حاضر في الذهن والصنع خبره والشرط استئناف ، وقوله — يرث — بمعنى يبطىء ، والبيت من قصيدة له في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف .

(٣) هو من قصيدة له في مدح علي بن أحمد الخراساني ، والسيب العطاء ، والجهام السحاب الذي لا ماء فيه أو الذي هراق ماءه .

(٤) وجهه أنه ضرب المثل بالسحاب ، فكأنه دعوى بدليلها ، بخلاف ما قبله .

(٥) لا يعرف قائله ، ويعني بقوله — وريحها — ريح فمها أو نحوه ، والواو في قوله — والطيب — للحال .

وقول بشار :

وإذا أدْنَيْتَ منها بَصَلاً غَلَبَ المِسْكُ على ريح البَصَلْ[١]

وقول أشجع :

وعلى عَدُوِّكَ يا ابن عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ: ضَوْءُ الصبحِ وَالإظلامُ

فإذا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وإذا هَدَا سَلَّتْ عليه سُيوفَكَ الأحْلامُ[٢]

وقال أبى الطيب :

يَرَى فى النوم رُمْحَكَ فى كُلاهُ ويخشى أن يراهُ فى السُّهَادِ[٣]

فَقَصَّرَ بذكر — السهاد — لأنه أراد اليقظة ليطابق بهـا النوم فأخطأ ، إذ ليس كل يقظة سهاداً ، وإنما السهاد امتناع الـكَرَى فى الليل ، وأما المستيقظ بالنهار فلا يسمى ساهداً — وكقول البحترى :

---

(١) هو لبشار بن بُرْد ، وإنما كان هذا دون ماقبله لأنه جعل الفضل فى الغلب على ريح البصل للمسك ، لا لرائحتها ، وهذا إلى مافيه من قبح إدناء البصل منها ، وقبل البيت :

إنما عظم سليمى حِبَّتِى قصب السُّكر لاعظم الجمل

وهذا من شعره الضعيف .

(٢) هما لأشجع بن عمرو السُّلَمىِّ فى مدح هارون الرشيد ، ورصدان رقيبان ، وقوله ـ تنبه ـ بمعنى تيقظ من نومه ، وقوله — رعته — بمعنى أفزعته ، وقوله — هدا — مخفف هدأ بمعنى نام ، وقوله ـ سلت ـ بمعنى شهرت ، وفي البيت الأول توشيع ، وفى الثانى لف ونشر مرتب .

(٣) هو من قصيدة له فى مدح على بن إبراهيم التَّنُوخى ، وضمير ـ يرى — للجبان فى قوله قبله :

وكيف يبيت مضطجعا جبانٌ فرشتَ لجنبه شوك القتاد

• الكُلية أو والـكُلوة لحمة منتبرة لازقة بعظم الصُّلْبِ عند الخاصرة .

وإذا تأَلَّقَ فى النَّدِىّ كلامُهُ الْمَصـــقولُ خِلْتَ لِسَانَهُ من عَضْبِهِ (١)

وقول أبى الطيب :

كأن أَلْسُنَهُمْ فى النُّطْقِ قد جُعِلتْ على رِمَاحِهِمُ فى الطَّعْنِ خِرْصَانَا (٢)

فإن أبا الطيب فاته ما أفاده البحترى بلفظى — تألق والمصقول — من الاستعارة التخييلية (٣) وكقول الخنساء :

وما بلغ المهدُونَ للناس مِدْحَةً وإن أطنبوا إلا وما فيك أفْضَلُ (٤)

وقول أشجع :

وما ترك المُدَّاحُ فيــك مقالةً ولاقال : إلاَّ دُونَ مافيك . قَائلُ (٥)

فإن بيت الخنساء أحسن من بيت أشجع لِمَا فى مصراعه الثانى من التعقيد ، إذ تقديره ـ ولاقال قائل إلا دون مافيك (٦) .

(١) هو من قصيدة له فى مدح الحسن بن وهب ، وقوله ـ تألق ـ بمعنى لمع وإثباته لكلامه تخييل ، والندى مجلس أشراف القوم ، والمصقول المجلو وهو ترشيح لاستعارة السيف لكلامه ، والعضب السيف القاطع ، ولايخفى ما فى التصريح بالتشبيه بعد الاستعارة من القبح .

(٢) الخرصان جمع خِرْص وهو سنان الرمح أو الرمح نفسه والمراد هنا الأول يعنى أن ألسنتهم عند النطق فى المضاء تشبه أسنة رماحهم عند الطعن ، وضمير — ألسنهم — يعود إلى بنى الحسن قوم ممدوحه سعيد بن عبد الله فى قوله قبل البيت .

جزى بنى الحسن الحُسْنى فإنهمُ فى قومهم مثلهم فى الغُرِّ عدنانا

(٣) الحق أن — تألق — تخييل وأن — المصقول — ترشيح كما سبق .

(٤) هو لتماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء ، وقولها — مدحة — مفعول — المهدون — ومفعول — بلغ — هو المستثنى منه المحذوف أى حالا من الأحوال .

(٥) هو لأشجع بن عمرو السلَمّى ، ومعناه أن مداحه لم يتركوا مقالة فى مدحه ، ومع هذا لم يبلغوا ما يستحقه .

(٦) لايخفى أن هذا لايعد تعقيداً ، لأنه لايحصل بمثل تقديم المستثنى وحده ، والمستثنى منه محذوف ، والتقدير — ولا قال قائل قولا إلا قولا دون ما فيك .

وثالثها كقول الأعرابى :

ولم يَكُ أكثر الفِتْيَانِ مَالاً　　وَلَكِنْ كان أرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا[١]

وقول أشجع :

وليس بأوْسَعِهِم فى الغِنى　　ولَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أوْسَعُ

وكذا قول بكر بن النَّطَّاح :

كأنكَ عند الكَرِّ فى حَوْمَةِ الوَغَى　　تَفِرُّ من الصَّفِّ الذى من وَرَائِكَا[٣]

وقول أبى الطيب :

فكأنَّهُ والطعنُ من قُدَّامِهِ　　مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أن يُطعَنَا

وكذا قول الآخر يذكر ابناً له مات :

---

(١) هو لأبى زياد يزيد بن الحُرِّ الأعرابى فى مدح العباس بن محمد ، وقيل : إنه لموسى شهوات فى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وقوله ـ أرحبهم ذراعاً ـ بمعنى أوسعهم وهو كناية عن سخائه .

(٢) هو لأشجع بن عمرو السُّلمى ، واسم — ليس — يعود على جعفر بن يحيى فى قوله قبله :

يروم الملوكُ مَدَى جَعْفَرٍ　　ولا يصنعون كما يَصْنَعُ

وقيل : إن بيت الأعرابى أجـــود لدلالته على السخاء بطريق الكناية وهى أبلغ من الحقيقة .

(٣) الكر الحمل على العدو فى الحرب ، وحومة الشىء معظمه ، والوغى الحرب ، والمراد أنه فى سرعة حمله مثل الفارّ من ذلك الصف .

(٤) هو من قصيدة له فى مدح بدر بن عمار ، وقبله :

نيطت حمائله بعاتق مِحْرَبٍ　　ما كَرَّ قطُّ وهل يكر وما انثنى

والواو فى قوله — والطعن — للحال ، وقوله — من خلفه — متعلق بقوله — يطعن — يعنى أنه لشدة إقدامه لا يلتفت خلفه .

والصبر يُحْمَدُ فى المواطن كلِّها   إلاّ عليك فإنه مَذْمُومُ[1]

وقول أبى تمام بعده :

وقد كان يُدْعَى لابِسُ الصبر حَازماً   فأصبح يُدْعَى حازماً حين يَجْزَعُ[2]

أقسام السرقة غير الظاهرة : وأما غير الظاهر فمنه أن يتشابه معنى الأول ومعنى الثانى[3] كقول الطرِمَّاحِ بن حكيم الطَّائِيِّ :

لقد زادنى حُبًّا لنَفْسِىَ أَنَّنى   بَغِيضٌ إلى كلِّ امرىء غيرِ طَائِلِ[4]

وقول أبى الطيب :

وإذا أتتك مَذَمَّتى من نَاقِصٍ   فهىَ الشهادة لى بأنِّىَ كامِلُ[5]

فإن ذم الناقص أبا الطيب كبغض من هو غير طائل الطرماح ، وشهادة ذم الناقص أبا الطيب كزيادة حب الطرماح لنفسه — وكذلك قول أبى العلاء المعرِّى فى مرثيه :

(١) هو لمحمد بن عبيد الله المعروف بالعُتْبىّ فى رثاء ابن له ، والمواطن جمع موطن وهو الموضع ، وقوله — إلا عليك — تقديره إلا فى موطن يصبر فيه عليك .

(٢) الحازم من يضع الأمور فى مواضعها ، وقد جعل من يجزع على من يرثيه حازماً لأنه وضع جزعه فى موضعه ، وفى قوله — لابس الصبر — استعارة بالكناية .

(٣) قيده بعضهم بأن يكون من غير نقل للمعنى إلى محل آخر ، وبهذا يباين القسم الذى بعده ، ولكن الظاهر مما سيأتى أن الخطيب لا يقيده بهذا القيد ، فيكون أعم مما بعده .

(٤) البغيض المكروه ، وغير الطائل الذى لا فائدة فيه .

(٥) مذمتى من إضافة المصدر لمفعوله ، وقد أخذه قبله أبو تمام ومروان بن حفصة فى قولهما :

لقد آسفَ الأعداءَ فضلُ ابن يوسفٍ   وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولَعُ

ما ضرّنى حسد اللئام ولم يزل   ذو الفضل يحسده ذوو التقصيرِ

وما كُلفَةُ البدرِ المنيرِ قَدِيمَةٌ ولـٰكنّها فى وجهه أثَرُ اللَّطْمِ [١]

وقول القَيسرانىّ :

وأهْوَىَ الذى أهوى له البَدْرُ ساجداً أَلَسْتَ تَرَى فى وجهه أثَرَ التُّرْبِ [٢]

وأوضح من ذلك قول جرير :

فلا يَمْنَعْكَ من أرَبٍ لِحَاهُمْ سواءٌ ذو العمامة والْخِمَارِ [٣]

وقول أبى الطيب :

ومن فى كَفِّهِ منهم قَنَاةٌ كمن فى كفه منهم خِضَابُ [٤]

---

(١) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى فى رثاء أبى إبراهيم العلوى ، والكلفة حمرة يخالطها سواد ، يعنى أن كلفة البدر من لطمه على من يرثيه لحزنه عليه . ورواية الديوان — أثر اللدم — واللدم ضرب المرأة وجهها باليد كاللطم ، ويقال أيضاً — لدمت النائحة صدرها وعضديها .

(٢) هو لأبى عبد الله محمد بن نصر المعروف بابن القيسرانى نسبة إلى قيسرية ، وقوله — أهوى — مضارع بمعنى أحب ، وقد أعاده ثانياً بمعنى سقط وهو من الجناس التام ، والترب التراب والمراد بأثره فى وجه البدر كلفته ، والمراد بوجهه ما يبدو لنا منه . والشاهد فى الشطر الثانى من هذا البيت مع الشطر الثانى من البيت الأول .

(٣) قبله :

إذا ما كنت ملتمساً نكاحاً فلا تعدل بجمع بنى ضرار

والأرب الحاجة ، واللحى جمع لحية وهى شعر الخدين والذقن ، وذو العمامة الرجل ، وذات الخمار المرأة ، وفى قوله — ذو العمامة والخمار — تغليب ، وهذا من أفحش الهجاء .

(٤) هو من قصيدة له ذكر فيها ما أوقعه سيف الدولة ببنى كلاب ، والقناة الرمح ، والخضاب صبغ الحناء ، والحق أن السرقة فى هذا ظاهرة ، لأخذ أبى الطيب المعنى بنفسه من غير تصرف فيه ، وتشابه المعنيين إنما يكون مع شىء من التغاير بينهما .

ولا يغرك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيباً والآخر مديحاً أو هجاء و افتخاراً أو غير ذلك[1] فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المُختَلَس لينظمه تحيل فى إخفائه ، فغَيَّرَ لفظه وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته .

ومنه النقل ، وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محله ، كقول البحترى :

سُلِبُوا وأَشْرَقَتِ الدِّمَاء عَلَيهِمُ   مُحْمَرَّةً فكأنهم لم يُسْلَبُوا[2]

نقله أبو الطيب إلى السيف فقال :

يَبِسَ النَّجِيعُ عليه وهُوَ مُجَرَّدٌ   عن غِمْدِهِ فكأنما هو مُغْمَدُ[3]

ومنه أن يكون معنى الثانى أشمل من معنى الأول ، كقول جرير :

إذا غَضِبَتْ عليك بنو تَمِيم   وَجَدتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا[4]

وقول أبى نُواس :

ليسَ على اللهِ بمُستَنكَرٍ   أن يجمع العالَمَ فى وَاحِدِ[5]

---

(١) هذا هو الذى يظهر منه أن الخطيب لا يقيد هذا القسم بما قيده بعضهم به فيما سبق، والأولى تقييده به لبيان ما بعده .

(٢) هو من قصيده له فى مدح إسحاق بن إبراهيم يذكر فيها وقعته بالخُرَّمية ، وقوله ـ سلبوا ـ بمعنى جردوا من ثيابهم ، وقوله ـ أشرقت ـ بمعنى ظهرت أو لمت .

(٣) النجيع الدم المائل إلى سواد ، والغمد قربُ السيف ، وقبله .

وصُنِ الحسامَ ولا تذلْهُ فإنه   يشكو يمينك والجماجم تشهد

(٤) يعنى أنهم بمنزلة كل الناس ، فإذا غضبوا فكأن كل الناس قد غضبوا .

(٥) هو للحسن بن هدنىء المعروف بأبى نواس ، ويعنى بالواحد هارون الرشيدى الوارد فى قوله قبله .

قُولاَ لِهَارُونَ إمَامِ الهُدَى   عند إحتفال المجلس الحَاشِدِ

ووجه كون بيت أبى نواس أشمل أن العالم فيه يشمل الإنس والجن والملائكة ، ولكن يجوز أن يكون مراد جرير أن الناس تبع لبنى تميم فى غضبهم لا أنهم كل الناس ، وهذا معنى غير معنى بيت أبى نواس .

ومنه القلب ، وهو أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول ، سُمِّيَ بذلك لقلب المعنى إلى نقيضه ، كقول أبى الشِّيص :

أَجِدُ المَلامَةَ فى هَوَاكِ لذيذةً ‏ ‏ حُبًّا لذِكرِكِ فَلْيَلُمنى اللُّوَّمُ (١)

وقول أبى الطيب :

أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فيـه مَلامَةً ‏ ‏ إنَّ الملامةَ فيه من أعْدَائه (٢)

وكذا قول أبى الطيب أيضاً :

والجِرَاحاتُ عنـده نَغَماتٌ ‏ ‏ سُبِقَت قبل سَيْبِهِ بسُؤالِ (٣)

فإنه ناقض به قول أبى تمام :

وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاهُ أَحْلَى ‏ ‏ على أُذُنيهِ من نغمِ السَّماعِ (٤)

وقد تبعه البحترى فقال :

نَشْوانُ يَطْرَبُ لِلسُّؤالِ كأنما ‏ ‏ غَنَّاهُ مَالكُ طَيِّءٍ أو مَعْبَدُ (٥)

---

(١) هو لمحمد بن رزين الخزاعى المعروف بأبى الشيص ، واللوم جمع لائم ، وفى استحسانه ملامته فى هواها من أجل ذكرها حسن وطرافة ، وهو فى هذا أرق من بيت أبى الطيب .

(٢) قبله :

القلب أعـلمُ يا عذولُ بدائه ‏ ‏ وأحق منـك بجفنه وبمائه

فومن أحبُّ لأعصينك فى الهوى ‏ ‏ قسما به وبحسنه وبهـائه

(٣) هو من قصيدة له فى مدح عبد الرحمان بن المبارك ، والنغمات جمع نغمة ، ويقال — ناغمه — كلمه كلاماً رقيقاً أو حسنا ، والسيب العطاء ، يعنى أن نغمات السؤال تؤثر فى الممدوح وتؤذيه كالجراحات فيعطى من غير سؤال ، وهذا من التشبيه المقلوب .

(٤) هو من قصيدة له فى مدح ابن أصرم ، والمعتفى الطالب ، والجدوى العطية ، بالسماع ما يحسن سماعه كالعود ونحوه .

(٥) هو من قصيدة له فى مدح أبى أيوب ابن أخت أبى الوزير ، والنشوان السكران من شدة الطرب ، ومالك طىء هو مالك بن أبى السمح المغنى ، ومعبد هو معبد بن وهب وقيل ابن قطنى مولى العاص بن وابصة المخزومى ، وهو مغن أيضاً .

ومنه أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه زيادة تحسنه ، كقول الأفْوَه الأوْدِيّ :

وَتَرَى الطيرَ على آثارِنا رَأْىَ عيْنٍ ثِقَةً أن سَتُمَارُ[١]

وقول أبى تمام :

وقد ظُلِّلَتْ عُقْبَانُ أعلامه ضُحًى بعُقْبانِ طَيْرٍ فى الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ
أقامتْ مع الرَّاياتِ حتى كأنها من الجيش إلاَّ أنها لم تُقاتِلِ[٢]

فإن الأفوه أفاد بقوله — رأى عين — قُرْبَها ، لأنها إذا بعدت تُخُيِّلَتْ ولم تر ، وإنما يكون قربها توقعاً لِلْفَرِيسَةِ ، وهذا يؤكد المعنى المقصود ، ثم قال ـ ثقة أن ستمار ـ فجعلها واثقة بالمِيرةِ ، وأما أبو تمام فلم يُلِمَّ بشىء من ذلك[٣] لكن زاد على الأفوه بقوله ـ فى الدماء نواهل ـ ثم بإقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش ، وبذلك يتم حسن قوله ـ إلا أنها لم تقاتل ـ وهذه الزيادات حَسَّنَتْ قوله ، وإن كان قد ترك بعض ما أتى به الأفوه .

وهذه الأنواع[٤] ونحوها أكثرها مقبولة ، ومنها ما أخرجه حسن التصرف من

---

(١) هو اصلاءة بن عمرو المعروف بالأفوه الأودى ، وقوله — ثقة — حال أى واثقة أو مفعول لأجله ، وقوله — ستمار — بمعنى ستطعم ، يعنى أنها تتبعهم عند خروجهم للحرب واثقة بذلك .

(٢) هما من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ويذكر وقعة الأفشين ببابَكَ الْخُرَّمى . وعقبان الأعلام جمع عقاب وهو الراية الضخمة من إضافة العام للخاص ، وعقبان للطير جمع عقاب وهو طائر معروف ، وفى اللفظين جناس تام ، والنواهل جمع ناهلة وهو اسم فاعل من — نَهِلَ بمعنى رَوِىَ .

(٣) يَــرِدُ على هذا أن قوله — أقامت مع الرايات — يفيد أيضاً قربها منهم ، فالحق أن الذى لم يلم به هو قوله — ثقة أن ستمار .

(٤) يعنى الأنواع الخمسة لغير الظاهر ، ونحوها هو غيرها مما يندرج فيه ، والحق أنها مقبولة من جهة الأخذ ، فإن اعتراها رَدٌّ كان من جهة أخرى غيره .

سبيلِ الأخذ والاتباع ، إلى حَيِّز الاختراع والابتداع ، وكلما كان أشد خفاء كان أقرب إلى القبول .

هذا كله[١] إذا عُلِمَ أن الثانى أخذ من الأول ، وهذا لا يُعلَمُ إلا أن يُعلَمَ أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم قوله ، أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذه منه ، لجواز أن يكون الاتفاق من قَبيلِ تَوَارُدِ الخواطر ، أى مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ والسرقة ، كما يُحْكى عن ابن مَيَّادَةَ أنه أنشد لنفسه :

مُفيدٌ ومِتْلافٌ إذا ما أَتَيْتَهُ تَهَلَّل واهْتَزَّ اهتزاز المُهَنَّدِ[٢]

فقيل له : أين يُذهَب بك ؟ هذا للحُطَيْئَةِ[٣] فقال : الآن علمت أنى شاعر ، إذ وافقته على قوله ولم أسمعه .

ولهذا لا ينبغى لأحد بَتُّ الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال ، وإلاَّ[٤] فالذى ينبغى أن يقال : قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا . فيغتنم به فضيلة الصدق ، ويسلم من دعوى العلم بالغيب ونسبة النقص إلى الغير .

ما يتصل بالسرقات الشعرية ــ الاقتباس : ومما يتصل بهذا الفن القول فى الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح .

---

(١) يشير إلى ما ذكر فى الأخذ بقسميه من ادعاء السبق وأخذ الثانى من الأول وكونه مقبولا أو مردوداً .

(٢) هو الرمّاح بن أبرد المعروف بابن ميادة ، والمفيد الذى يعطى أمواله الناس ، والمتلاف الذى يتلف أمواله على نفسه ، وقوله ــ تهلل ــ بمعنى أشرق وجهه ، والمهند السيف المصنوع من حديد الهند .

(٣) هو من قصيدة له فى مدح بغيض بن عامر بن شمّاس مطلعها :

آثرتُ إدلاجى عَلَى ليل حُرَّةٍ هَضيم الحشا حُسَّانةُ المتجرِّدِ

(٤) أى وإن لم يعلم الحال .

أما الاقتباس فهو أن يضمّنَ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه[١] كقول الحريرى : فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب[٢] حتى أنشد فأغرب . وقوله : أنا أنبئكم بتأويله[٣] وأميز صحيح القول من عليله . وقول ابن نُباتَة الخطيب: فيأيُّها الغفلة المطرقون ، أمّا أنتم بهذا الحديث مصدّقون ، مالكم لا تشفقون ؟ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون[٤] وقوله أيضاً من خطبة أخرى ذكر فيها القيامة : هناك يُرْفَعُ الحجاب ، ويوضع الكتاب ، ويجمع من وجب له الثواب ، وحق عليه العقاب ، فيضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَلِهِ العذاب[٥] . وقول القاضى الفاضل وقد ذكر الإفرُنْجَ : وغضبوا زادهم الله غضباً ، وأوقدوا ناراً للحرب[٦] جعلهم الله لها حطباً . وكقول الحماسى :

إذا رُمْتُ عنها سَلْوَةً قال شافعٌ من الحب : ميعاد السُّلوّ المَقَابِرُ
سَتَبْقَى لها فى مُضْمَرِ القلب والحشا سَرِيرَةُ وُدٍّ يوم تُبلَى السَّرائرُ[٧]

---

(١) بأن يكون خالياً من الإشعار بذلك ، والإشعار به كأن يقال : قال الله تعالى كذا ونحوه .

(٢) مقتبس من — ى — ٧٧ س — ١٦ .

(٣) مقتبس من — ى — ٤٥ س — ١٢ .

(٤) مقتبس من — ى — ٢٣ — س — ٥١ .

(٥) مقتبس من — ى — ١٣ س — ٥٧ .

(٦) مقتبس من — ى — س — ٥

(٧) هما الأحوص بن محمد الأنصارى ، وقوله — رمت — بمعنى أردت ، ومضمر القلب مستوره ، والحشا ما انضمت عليه الضلوع ، وقوله — تبلى — بمعنى تختبر أو تظهر ، والسرائر الخبايا ، والشاهد فى قوله — يوم تبلى السرائر — فإنه مقتبس من — ى — ٨ — س — ٨٦ .

وقول أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى :

لآلِ فريغونَ فى المَكْرُمَاتِ يَدٌ أوَّلا واعتـــذارٌ أخِيرَا
إذا ما حَلَلتَ بمَغْنَــــاهُمُ رأيتَ نَعِيماً وَمُلْــكاً كَبِيرَا[1]

وقول الأبِيوَرْدِى :

وقصائدٍ مِثْلَ الرياض أضَعْتُها فى بَاخِلٍ ضاعتْ به الأحسابُ
فإذا تناشدها الرُّوَاةُ وأبصروا الـــــمَمْدُوحَ قالوا : سَاحِرٌ كَذَّابُ[2]

وقول الآخرَ :

لا تُعاشِرْ معشراً ضَلُّوا الهُدَى فســواءٌ أقبــلُوا أو أدْبَرُوا
بدَتِ البغضاء من أفواههم والذى يُخْفُونَ منها أكْبَرُ[3]

---

(١) هما لأبى الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذانى ، وقد سبق التعريف بآل فريغون فى الكلام على السجع القصير ، واليد مجاز عن الأثر الحسن ، والمغنى محل الإقامة ، والشاهد فى آخر البيت الثانى ، فإنه مقتبس من — ى — ٢٠ — س — ٧٦ .

(٢) هما لأبى المظفر محمد بن أحمد المعروف بالأبيوردى ، والباخل المانع المسك ، والأحساب جمع حسب وهو شرف الأصل ، والرواة حفاظ الشعر ونقاده ، وإنما يرمونه بالسحر لأنه يصور الباطل حقا كالساحر ، والشاهد فى قوله — قالوا ساحر كذاب — فانه مقتبس من — ى — ٢٤ — س — ٤٠ .

(٣) هما لمحمد الشجاعى ، وقوله — ضلوا الهدى — بمعنى لم يهتدوا إليها ، وقوله — بدت — بمعنى ظهرت ، والشاهد فى قوله — بدت البغضاء من أفواههم — فإنه مقتبس من — ى — ١١٨ — س — ٣ .

وقوله :

خَلَّةُ الغانيات خَلّةُ سُوء فاتقوا الله يا أُولِى الألبابِ
وإذا ما سألتموهُن شيئاً فاسألوهُنّ من وراء حِجَابِ[١]

وقول الآخَر :

إن كُنتِ أزْمَعتِ على هجرنا من غَيْر مَا جُرْمٍ فَصَبْرٌ جَمِيلْ
وإنْ تَبدَّلْتِ بنا غَيْرَنا فَحَسْبُنا الله ونعم الوَكيل[٢]

وكقول الحريرى : وكتمان الفقر زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر عبادة . فإن قوله — انتظار الفرج بالصبر عبادة — لفظ الحديث ، وقوله : قلنا : شاهت الوجوه ، وَقُبِحَ اللُّكَعُ ومن يرجوه . فإن قوله — شاهت الوجوه — لفظ الحديث ، فإنه روى أنه لَمَّا اشتدت الحرب يوم حُنَيْنٍ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كَفًّا من الحصباء فرمى بها فى وجوه المشركين وقال « شاهت الوجوه » أى قبحت ، واللكع قيل : هو اللئيم ، وقال أبو عبيد : هو العبد — وكقول ابن عَبّادٍ :

قالَ لى : إنّ رَقِيبِي سَيِّءُ الخلقِ فَدَارِهُ
قلتُ : دَعْنِي وَجْهُكَ الجَنَّةُ حُفَّتْ بالمَكَارِهْ[٣]

---

(١) هما لأبى منصور عبد الرحمن بن سعيد ، والخلة الخصلة ، والغانيات النساء الحسان ، والألباب العقول الذكية ، والشاهد فى قوله — فاتقوا الله يا أولى الألباب ، فاسألوهن من من وراء حجاب — والأول مقتبس من — ى ١٠٠ س ٥ ، والثانى مقتبس من — ى ٥٣ س ٣٣ .

(٢) هما لأبى القاسم بن الحسن الكاتبى ، وقوله — أزمعت — بمعنى عزمت ، والجرم الذنب ، وقوله — حسبنا — بمعنى كافينا ، والوكيل المفوض إليه فى الشدائد وغيرها ، والشاهد فى قوله — فصبر جميل ، فحسبنا الله ونعم الوكيل — والأول مقتبس من — ى — ١٨ — س — ١٣ ، والثانى مقتبس من — ى — ١٧٣ — س — ٣ .

(٣) هما للصاحب إسماعيل بن عباد ، والضمير فى — قال — للمحبوب ، والرقيب الحارس ، وقوله — داره — بمعنى لاطفه ، وقوله — حفت — بمعنى أحيطت .

اقتبس من لفظ الحديث « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات »

والاقتباس منه ما لا ينقَلُ فيه اللفظ المقتَبَسُ عن معناه الأصلي إلى معنى آخر كما تقدم ، ومنه ما هو بخلاف ذلك[1] كقول ابن الرومى :

لَئِن أخطأتُ فى مَدْحِيـــكَ ما أخطأتَ فى مَنْعِى
لقـــد أنْزَلْتُ حَاجَاتِى بِوَادٍ غير ذِى زَرْعِ[2]

ولا بأس بتغيير يسير لأجل الوزن أو غيره[3] كقول بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه :

قد كان ما خِفْتُ أن يكُونَا إنَّا إلى اللهِ رَاجِعُونَا[4]

---

(١) أي ما ينقل فيه اللفظ المقتبس من معناه الأصلي إلى معنى اخر ، وبهذا يكون مجازاً بطريق من طرقه المعروفة .

(٢) هما لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى ، وقيل : إنهما لإسماعيل القراطيسى ، وإنما خطأ نفسه فى مدحه لأنه لا يستحق المدح ، ولم يخطئه فى منعه لأن مادح من لا يستحق المدح لا يستحق العطاء ، والشاهد فى أن المراد بالوادى هنا الجناب الذى لا خير فيه على سبيل الاستعارة ، وهو غير المراد منه فى — ى — ٣٧ — س — ١١

(٣) يعني أن هذا لا يضر فى تسميته اقتباساً ، فإذا كثر التغيير كان من العقد الآتى :

(٤) هو للوزير أبي العلاء بن أزرق فى رثاء الرئيس أبى عبد الرحمن محمد بن طاهر ، وظاهر كلام الخطيب أن البيت له ، والحق أنه لأبى تمام فى رثاء ابنه ، ولعل هذا الوزير استشهد به فى ذلك ، وقوله — كان — بمعني وجد فهى تامة ، والشاهد فى أن ذلك مقتبس مع تغير يسير من — ى — ١٥٦ — س — ٢

وقول عمر الخيّام :

سَبقْتُ العَالَمِينَ إلى المَعالِي   بصائب فِـكرة وَعُلوّ هِمّهْ[١]

وَلاَحَ بحكمتى نُورُ الهُدىَ فى   لَيَال لِلضَلالة مُدْلهمَّهْ[٢]

يريد الجاهلون ليُطفِئوهُ   وَيأبيَ اللهُ إلا أن يُتِمه[٣]

وكقول القاضى منصور الهَروىّ الأزْدِىّ :

فلو كانت الأخلاقُ تُحْوىَ وِراثَةً   ولو كانت الآرَاءُ لا تَتَشَعّبُ[٤]

لأصبح كل الناس قد ضَمّهُمْ هَوًى   كما أن كلّ الناس قد ضمهم أبُ[٥]

وَلـٰكِنّهَا الأقدارُ كل مُيَسَّرٌ   لِمَا هو مخلوقٌ له ومُقَرّبُ

اقتبس من لفظ الحديث « اعملوا كل ميسَّر لما خُلِق له » .

التضمين : وأما التضمين فهو أن يُضَمّنَ الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء[٦] كقول بعض المتأخرين — قيل : هو ابن التلميذ الطبيب النصرانى .

---

(١) العالمون جمع عالم وهو اسم لذوى العلم أو لـكل ما علم الله به ، وقد جمع جمعاً صحيحاً لما فيه من معنى الصفة وهى العلم .

(٢) المدلهمة الشديدة السواد وهو ترشيح لاستعارة ظلمة الليالى لخفاء الضلالة ، وذكر الضلالة معها غير حسن لأنه ينبىء عن التشبيه المنافى لدعوى الاستعارة .

(٣) الشاهد فى أن هذا مقتبس مع تغيير يسير من — ى — ٣٢ — س — ٩ .

(٤) قوله — تحوى — بمعنى تحرز وتملك ، وقوله — تتشعب — بمعنى تتفرع وتختلف

(٥) قوله — ضمهم — بمعنى جمعهم ، والهوى الميل .

(٦) بهذا التنبيه يتميز التضمين عن الأخذ والسرقة .

كانت بِلَهْنِيَةِ الشَّبيبَةِ سَكْرَةٌ فصحوتُ واستبدلتُ سِيرَةَ مُجْمِلِ
وقعدتُ أنتظر الْفَنَاء كراكبٍ عَرفَ المَحَلَّ فبات دون المْنزلِ (١)

البيت الثانى لمسلم بن الوليد الأنصارى — وقول عبد القاهر بن طاهر التميمى :

إذا ضاق صدرى وَخِفْتُ الِعدَى تمَثَّلْتُ بيتـا بحـالى يَليقْ
فَبِـالله .أَبْلُغُ ما أرتجى وبالله أدفع مَالاَ أُطِيقْ (٢)

وقول ابن العميد :

وَصاحِبٍ كنت مغبوطا بِصُحبَتِهِ دَهْراً فغادرنى فَرْداً بلا سَكَنِ
هَبَّتْ له ريح إقبَالٍ فطار بها نحو السرور وَأَلْجَانِى إلى الْحَزَنِ
كأنهُ كان مَطْوِيًا على إحَنٍ ولم يكن فى ضروب الشعر أنشَدنِى (٣).
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشنِ

---

(١) هما لأبي الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ ، والبلهنية رخاء العيش ، والمجمل المحسن فى عمله والترفق ، والفناء الموت ودون بمعنى قريب .

(٢) البيت الأول لعبد القاهر بن طاهر المعروف بأبى منصور البغدادى ، وهو من كبار الشافعية ،والبيت الثانى المضمن لايعرف قائله .

(٣) الأبيات الثلاثة لمحمد بن الحسين المعروف بابن العميد ، والرواية الصحيحة — وصاحبا — لأنه معطوف على — زمانا — فى قوله قبله :

أشكو إليك زمانا ظل يعركنى عَرْكَ الأديم ومن يعدو على الزمن

والمغبوط المسرور ، والسكن ما يسكن إليه ويستأنس به ، والإقبال قدوم الدنيا بالخير ، وقوله — ألجانى — مخفف ألجأنى ، والإحن جمع إحْنَةٍ وهى العداوة ، وقد روى صاحب — معاهد التنصيص — هذه الأبيات للصاحب بن عباد .

البيت لأبى تمام[1] وكقول الحريرى :

على أنى سأنشد عند بيعى   أضاعونى وأىَّ فتىً أضاعوا[2]

المصراع الأخير قيل: هو للعَرْجِيِّ . وقيل : لأمَيَّة بن أبى الصَّلتِ ، وتمام البيت:

لِيَوْم كَرِيهةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ[3]

ولا حاجة إلى تقديره لتمام المعنى بدونه — ومثله قول الآخر :

قد قلتُ لمَّا أطلعتْ وَجَنَاتُهُ   حَوْلَ الشقِيقِ الغَضِّ رَوْضَةَ آسِ

: أعِذَارُهُ السَّارى العَجُولَ تَرَفَّقًا   مافى وقوفك ساعةً من بَاسِ[4]

المصراع الأخير لأبى تمام[5] وكقول الآخر :

كُنَّا معاً أمس فى بؤس نكابدُهُ   والعين والقلب مِنا فى قَذًى وأذَى

---

(١) يعنى البيت الأخير ، وقد نسبه ابن خَلِّكان لإبراهيم بن العباس الصولى ، ولعله أخذه من أبى تمام .

(٢) هو للقاسم بن على المعروف بالحريرى على لسان غلامه أبى زيد حين عرضه للبيع ، وأى اسم استفهام أريد به التعظيم مفعول مقدم لأضاعوا ، يعنى - أىَّ فتى أضاعوا ، أى كاملا من الفتيان .

(٣) اللام فى قوله - ليوم - بمعنى - فى - متعلقة بأضاعوا ، والكريهة الحرب ، وسداد الثغر سَدُّه على الأعداء بالخيل والرجال والثغر موضع المخافة من فروج البلدان .

(٤) هما لأبى العباس أحمد بن إبراهيم المعروف بابن خَلِّكان ، والوجنات جمع وجنة وهى ما ارتفع من الخدين ، والشقيق ورد أحمر أريد به الخد على سبيل الاستعارة ، والغض الطرى ، والآس الريحان والمراد به العذار على سبيل الاستعارة ، والعذار الشعر الذى يحاذى الأذن ، والسارى السائر بالليل وصفه بذلك لاشتماله على مثل سواده ، والباس الحرج مخفف بأس ، وهو مبتدأ مؤخر مجرور بمن الزائدة .

(٥) هو من قوله فى مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم :

ما فى وقوفك ساعة من باسِ   نقضى حقوق الأرْبُعِ الأدراس

والآنَ أَقبلَتِ الدنيا عليك بما ‏ تَهْوَى فلا تَنْسَنِي إن الْكِرامَ إذا[١]

أشار إلى بيت أبي تمام[٢] ولا بد من تقدير الباقي منه لأن المعنى لا يتم بدونه .

وقد عُلِمَ بهذا أن تضمين ما دون البيت ضربان[٣] .

وأحسن وجوه التضمين أن يزيد المُضَمَّنُ في الفرع عليه في الأصل بنكتة ، كالتورية والتشبيه في قول صاحب التحبير .

إذا الوهم أبْدَى لِي لَمَاهَا وَثغرَهَا ‏ تذكرتَ ما بين العُذَيبِ وبارقِ
وَيُذكِرُنِي من قَدِّهَا وَمَدامِعِي ‏ مَجَرَّ عَوالِيناَ ومَجْرَى السَّوَابِقِ[٤]

---

(١) هما من قول بعض التجار للأمير بدر الدين بيلبك الخازندار ، وكان قد أحضره إلى القاهرة فباعه فيها ، فارتفع أمره حتى صار أميراً ، وقوله — نكابده — بمعنى تقاسيه ، والقذى يرجع إلى العين والأذى إلى القلب على اللف والنشر المرتب .

(٢) هو قوله :

إن الكِرامَ إذا ما أسهلوا ذكروا ‏ مَنْ كان يألفهم في المنزل الخشنِ

(٣) ضرب لا يحتاج إلى تقدير باقي البيت لأن المعنى لا يتم من غيره ، كما في قول الحريري ، وضرب يحتاج إلى تقديره لأن المعنى لا يتم إلا به ، كما في قول ذلك التاجر .

(٤) هما لابن أبي الإصبع عبد العظيم بن عبد الواحد المصري صاحب — تحرير التحبير — في البديع ، والوهم الخيال ، اللمى سمرة الشفتين ، والثغر مقدم الأسنان ، والعذيب وبارق موضعان ، ولكنه أراد بالعذيب الشفة تصغير عَذْب ، وبالبارق الثغر لأنه يشبه البرق ، وبما بينهما الريق ، على سبيل التورية ، وفي ذلك لف ونشر مرتب ، وفاعل — يذكرني — يعود إلى الوهم ، والقد القامة ، والتقدير ويذكرني من تبختر قدها وجريان مدامعي ، لأن هذا هو الذي يشبه مجر العوالي أي جرها ومجرى السوابق أي جريها ، وهو تشبيه ضمني ، وفي هذا لف ونشر مرتب أيضاً ، والعوالي الرماح ، والسوابق الخيل .

المصراعان الآخيران لأبى الطيب (١) .

ولا يضر التغيير اليسير ليدخل فى معنى الكلام ، كقول بعض المتأخرين فى يهودى به داء الثعلب :

أقـــول لمعشر غَلطوا وغَضُّوا عنْ الشيخ الرشيد وأَنكرُوه
: هو ابن جَلاَ وطَلاَّعُ الثَّنَايَا مَتَى يَضَعِ العِمامةَ تَعرِفُوهْ (٢)

البيت لسحيم بن وثيل وأصله :

أنا ابن جــلا وطلاع الثــــنايا متى أضـــع العمامة تعرفونى (٣)

تقسيم التضمين إلى استعانة وإيداع أو رفو : وربَّمَا سُمِّى تضمين البيت فما زاد استعانة ، وتضمين المصراع فما دونه تارة إيداعاً وتارة رَفْواً (٤) .

العقد : وأما العقد فهو أن يُنْظَمَ نثر لا على طريق الاقتباس (٥) .

---

(١) يعنى قوله :

تذكرت ما بين العذيب وبارقٍ مجر عوالينا ومجرى السوابقِ

والشاهد فى أن أبا الطيب يريد بالعذيب وبارق موضعين فأراد بهما ابن أبى الإصبع ماسبق على سبيل التورية ، ثم زاد عليه أيضاً تشبيه قدها ومدامعه بمجر العوالى ومجرى السوابق .

(٢) هما لضياء الدين موسى من مُلْهَم فى الرشيد عمر الفُوِّىِّ ، وقوله — غضوا — يعنى أعرضوا ، وقوله — جلا — صفة لمحذوف تقديره شَعَر جلا وانكشف ، لأن داء الثعلب — وهو القراع — يسقط شعر الرأس ، والمراد بالثنايا مقدم أسنانه لأنها كانت بارزة ، والمراد بالعمامة عمامته التى يضعها على رأسه ، وهذا خلاف المراد ، منهما فى بيت سحيم .

(٣) سبق هذا البيت فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثانى .

(٤) سبقت أمثلة لكل منهما فى شواهد التضمين السابقة .

(٥) بأن يغير فيه تغيير كثير إذا كان قرآناً أو حديثاً أو يشار إلى أنه منهما ، ليخالف بهذا طريق الاقتباس فيهما ، أما نظم غيرهما فهو عقد مطلقاً

أما عقد القرآن فكقول الشاعر :

أَنِلْنِي بالذى استقرضتَ خَطّاً ... وَأَشْهِدْ معشراً قد شَاهَدُوهُ

فإنَّ الله خَلاَّقَ البَرَايا ... عَنَتْ لِجَلالِ هيبته الوُجوهُ

يقول : إذا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ ... إلى أجلٍ مُسَمًّى فاكْتُبُوهُ

وأما عقد الحديث فكما رُوِىَ للشافعى رضى الله عنه :

عُمْدَةُ الخير عندنا كَلِماتٌ ... أربَعٌ قَالَهُنَّ خيرُ البَرِيَّهْ

إتَّقِ الشُّبُهاتِ ، وَازْهَدْ ، وَدَعْ مَا ... ليس يَعْنِيكَ ، وَاعْمَلَنَّ بِنِيَّهْ (٢)

عقد قوله عليه السلام « الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ وبينهما أمور مُشْتَبِهاتٌ » وقوله عليه السلام « ازهد فى الدنيا يحبك الله » وقوله عليه السلام « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » وقوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات » .

وأما عقد غيرهما فكقول أبى العَتاهِيَة :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ ... وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ (٣)

عقد قول على رضى الله عنه : وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله نطفة ، وآخره جيفة .

---

(١) هى للحسين بن الحسن الواسانى الدمشقى ، وقوله — أنلنى — بمعنى أعطنى ، وقوله — استقرضت بمعنى استدنت ، والبرايا الخلائق جمع بريّة ، وقوله — عنت — بمعنى خضعت ، والشاهد فى عقده ذلك من — ى — ٢٨٢ — س — ٢ .

(٢) هما لأبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ، وقيل : إنهما لأبى الحسن طاهر ابن معوذ الأشبيلى ، والعمدة ما يعتمد الشىء ويقوم عليه ، والشبهات الموقعة فى الاشتباه مما ليس بحرام بيّن ولا حلال بين ؛ وقوله — يعنيك — بمعنى يهمك .

(٣) هما لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبى العتاهية ، والبال الحال ، والنطفة ماء الرجل أو المرأة ، وقوله — يفخر — بمعنى يباهى بنفسه حال من الموصول المضاف إليه .

وقوله أيضاً :

كَفَى حُزناً بِدفنِك ثم أنِّى نفضتُ تراب قبرك عن يَدَيَّا
وكانت فى حياتك لى عِظَاتٌ وأنت اليوم أوْعَظُ منك حَيَّا[١]

قيل : عقد قول بعض الحكماء فى الإسكندر لمّا مات : كان الْمِلكُ أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس . وقيل : هو قول الْمُوبَذ لما مات قُبَاذُ الملك .

وقول الآخر :

يا صاحب الْبَغْى إنّ البَغْىَ مَصْرعَةٌ فَارْبَعْ فَخَيْرُ فَعالِ المرء أعْدَلُهُ
فلو بغَى جَبلٌ يوماً على جَبَلٍ لاندَكَّ منه أعَالِيهِ وَأسْفَلُه[٢]

عقد قول ابن عباس رضى الله عنهما : لو بغى جبل على جبل لَدُكَّ الباغى .

وقول الآخر :

إلْبَسْ جَدِيدكَ إنِّى لابِسٌ خَلَقِى ولا جَدِيدَ لمَنْ لا يَلْبَسُ الخَلَقا[٣]

عقد المَثَل — لا جديد لمن لا خَلَقَ له — قالته عائشة رضى الله عنها وقد وهبت مالا كثيراً ، ثم أمرت بثوب لها أن يُرَقّع ، يُضْرَبُ فى الحث على استصلاح المال .

---

(١) هما لأبى العتاهية أيضاً فى رثاء على بن ثابت ، والباء فى قوله — بدفنك — زائدة لأنه فاعل كفى ، وما بعد — ثم — فى تأويل مصدر معطوف عليه .

(٢) لا يعرف قائلهما ، والبغى الظلم ، والمصرعة اسم مكان من — صَرَعَهُ — بمعنى طرحه على الأرض ، وقوله — أربع — بمعنى توقف وانتظر ، والفعال الفعل الحسن ، وقوله — اندك — بمعنى انهدم .

(٣) هو لعدى بن زيد العِبَادى ، والخلق الثوب البالى يستوى فيه للفرد وغيره

الحـــل : وأما الحل فهو أن يُنثر نظم ، وشرط كونه مقبولا شيئان : أحدهما أن يكون سبكه مختاراً لا يتقاصر عن سبك أصله ، والثانى أن يـكون حسن الموقع مستقراً فى محله غير قَلِق[1] وذلك كقول بعض المغاربة : فإنه لمّا قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته ، لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدق توهُّمه الذى يعتاده .

حل قول أبى الطيب :

إذا سَاءَ فعلُ المرء ساءت ظُنُونُهُ   وَصَدَّقَ ما يعتاده من تَوَهُّمِ[2]

وكـقول صاحب ـ الوشى المرقوم فى حل المنظوم[3] يصف قلم كاتب : فلا تحظى به دولة إلا نخرت على الدول ، وغَنِيَتْ به عن الخيل والخَوَل ، وقالت : أعلى الممالك ما يبنى على الأقلام لا على الأَسَل . حل قول أبى الطيب أيضاً :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل[4]

وكقول بعض كتاب العصر فى وصف السيف : أورثه عشق الرقاب نحولا ، فبكى والدمع مطر تزيد به الخدود محولا . حل قول أبى الطيب أيضاً :

---

(١) الفرق بينهما أن الأول يرجع إلى اللفظ بأن يكون سجعاً ذا فقرات مستحسنة ، والثاني يرجع إلى المعنى بأن يكون مطابقاً لما تجب مراعاته فى البلاغة .

(٢) قاله فى الشكوى من سيف الدولة وسماعه لقول أعدائه، وبعده :

وعادى محبِّيه لقول عداتِهِ   وأصبح فى ليل من الشك مظلم

(٣) هو ابن الأثير صاحب كتاب ـــ المثل السائر .

(٤) هو من قوله :

أعـلى الممالك ما يُبْنَـى على الأَسَـلِ   وَالطعنُ عند مُحِبيهنَّ كالقُبَـلِ

والأسل الرماح ، والقبل جمع قُبْـلة وهي اللَّثمةُ .

فى الخدّ إن عَزَمَ الخليطُ رَحيلاَ مَطَرٌ تزيد به الخُدُودُ مُحُولا [١]

التلميح : وأما التلميح فهو يُشَار إلى قصة أو شعر من غير ذكره [٢] .

فالأول كقول ابن المعتز :

أَتَرَى الجِيرَةَ الذين تَدَاعَوْا عند سَيْرِ الحبيب وَقْتَ الزَّوَالِ
عَلِمُوا أَنَّنِى مقيم وقَلْبِى رَاحِلٌ فيهم أمامَ الجِمَالِ

---

(١) الخليط المخالط من الأحبة ، والمراد من المطر الدمع على سبيل الاستعارة ، والمحول بالحاء الجدب استعارة لشحوب الخد ، وبالجيم مصدر — مَجَلَ — إذا أصاب جلده نار فتَنَفَّطَ وهذا من حرارة الدمع .

هذا وليس فى القرآن شىء من الحل خلافاً لابن أبى الإصبع فى زعمه أن قوله تعالى — ى — ١٣ — س — ٣٤ — (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) حل لقول امرىء القيس :

وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ

والحق أن هذا لا تصح نسبته إلى امرىء القيس ، وإنما هو مما نحل بعد الإسلام له .

(٢) أى ذكر واحد من القصة والشعر ، ومثلهما الإشارة إلى حديث أو آية أو مَثَل أو مسألة علمية ، ومن ذلك قول الشاعر :

خُذُوا بدَمِى هذا الغزال فإنهُ رَمَانِى بسَهْمَى مُقْلَتَيْهِ على عمدِ
ولا تقتلوه إننى أنا عَبْدُهُ ولم أر حُرًّا قطُّ يُقتَلُ بالعبدِ

وقول الآخر فى الإشارة إلى المثل :

من غاب عنكم نَسيتُمُوهُ وقلبُهُ عندكم رَهِينَهْ
أظنكم فى الوفاء ممَّنْ صُحْبَتُهُ صحبةُ السَّفِينَهْ

مِثلُ صَاعِ العزيز فى أرْحُلِ القَوْ ... مِ ولا يعلمون ما فى الرِّحالِ[(١)]

وقول أبى تمام :

لحقْنَا بأخْرَاهمْ وقد حَوَّمَ الهَوى ... قلوباً عهدنا طَيْرَها وهْىَ وُقَّعُ[(٢)]

فرُدَّتْ علينا الشَّمْسُ والليل رَاغمٌ ... بشَمْسٍ لهم من جانب الخِدْرِ تَطْلعُ[(٣)]

نَضَا ضَوْءها صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وَانطَوَى ... لبهْجتهاَ ثَوْبُ السماء المُجَزَّعُ[(٤)]

فوَاللهِ ما أدرى أأحْــلامُ نائمٍ ... ألمَّت بنَا أم كان فى الرَّكْبِ يُوشَعُ[(٥)]

أشار إلى قصة يوشع بن نُونٍ فتى موسى عليهما السـلام واستيقافه الشمس ، فإنه رُوِىَ أنه قاتل الجَبَّارِينَ يوم الجمعةْ ، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب

---

(١) هى لعبد الله بن المعتز ، وقوله — تداعوا — بمعنى دعا بعضهم بعضا للسير معه ، وصاع العزيز صُوَاعُهُ وهى مشربة كان يسقى بها ثم جعلت صاعا ، والعزيز عزيز مصر فى عهد يوسف ، والأرحل والرحال جمع رحل وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج أو ما يستصحبه المسافر من الأثاث ، والقوم إخوة يوسف فأل فيه للعهد ، والشاهد فى إشارته بصاع العزيز إلى قصته المعروفة فى — ى — ٧٠ — س — ١٢ .

(٢) ضمير أخراهم للأحبة الراحلين ، وقوله — حوم — بمعنى أدار ، والمراد بطيرها ما يتخالج فيها من الخواطر ، ووقع جمع واقع يعنى أنها ساكنة غير متحركة ، ومبنى ذلك كله على تشبيه القلوب بالطير على سبيل الاستعارة بالكناية ، وإثبات التحويم لها تخييل وما عداه ترشيح .

(٣) الراغم الذليل استعير لليل ، والباء فى قوله — بشمس — للتجريد ، والخدر الهودج ، جرد بذلك من الشمس شمسا أخرى ظهرت من الخدر وهذا يتضمن تشبيه محبوبته بالشمس .

(٤) قوله — نضا — بمعنى أذهب ، والدجنة الظلمة ، وثوب السماء ظلمتها على الاستعارة ، وفى رواية — ثوب الظلام — والمجزع كل ما فيه سواد وبياض .

(٥) قوله — ألمت — بمعنى نزلت ، والركب المسافرون

قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم ، فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم .

والثانى كقول الحريرى : وإنى والله لطالما تلقيت الشتاء بكافَاتِهِ ، وأعددت له الأُهَبَ قبل موافاته . أشار إلى قول ابن سُكَّرَةَ :

جاء الشِّتَاءُ وعندى من حوائجه سَبْعٌ إذا القَطْرُ عن حاجاتنا حُبِسا
كِنٌّ، وَكِيس، وَكانُونٌ، وَكاسُ طِلاً بعد الكَبَابِ ، وَكُسٌّ نَاعِمٌ ، وَكِسَا(١)

وقوله أيضاً : بتُّ بليلة نابغيَّة . أومأ به إلى قول النابغة :

فَبِتُّ كأَنِّى سَاوَرَتْنِى ضَئِيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فى أنيابها السُّمُّ ناقِعُ(٢)

وقول غيره :

لَعَمْرٌو مع الرَّمْضاءِ والنَّارُ تَلْتظى أرَقُّ وأحْفَى منك فى ساعة الكَرْبِ(٣)

أشار(٤) إلى البيت المشهور .

---

(١) هما لمحمد بن عبد الله المعروف بابن سكرة ، والقطر المطر ، وقوله ـ حبس ـ بمعنى منع ، والسكن البيت ، والكيس صُرّة الدراهم ، وطلا مقصور طلاء وهى الخمر ، وكسا مقصور كساء وهو الثوب . والشاهد فى ابتداء كل من السبع بالكاف وإشارة الحريرى إليها بذلك .

(٢) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبيانى ، وقبله :

وعيدُ أبى قابوس فى غير كُنْهِهِ أتانى ودونى راكس والضواجع

وقوله ـ ساورتنى ـ بمعنى أصابتنى ، والضئيلة الحية الدقيقة والأفعى كلما كبرت صغر جسمها ، والرقش جمع رقشاء وهى الحية المُنَقَّطةُ بسواد وبياض ، والناقع الشديد خبر عن السم ، وقيل : الصواب نصبه .

(٣) هو لأبى تمام من نسيب له فى بعض قصائده ، والرمضاء الأرض الحارة ، وقوله ـ تلتظى ـ بمعنى تتوقد ، والأحفى الأشفق .

(٤) فيه تلميح أيضاً إلى قصته الآتية .

المُسْتَجِيرُ بعمرو عنـد كُرْبتِهِ   كالمستجير من الرَّمْضَاءِ بالنَّارِ (١)

ومن التلميح ضرب يشبه اللُّغزَ ، كما رُوى أن تميمياً قال لشريك النُّمَيْرى : ما فى الجوارح أحب إلىّ من البازِى . فقال : إذا كان يصيد القطَا . أشار التميمى إلى قول جرير :

أنا البازى المطلُّ على نُمَيْرٍ   أُتيحَ من السماء لها انْصبابا (٢)

وأشار شريك إلى قول الطِّرِمّاح :

تميمٌ بطُرقِ اللُّؤمِ أهدى من َالقطا   ولو سلـكتْ طُرُقَ المـكارمِ ضَلّتِ (٣)

---

(١) ذكر السعد أن عمرا هو جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ والحق أنه عمرو بن الحارث ، وكان جساس قد أردفه خلفه لما ركب ليلحق كُـلَـيْباً ، فلما طعنه وبه رمق قال له :

أغثنىَ ياجَسَّاسُ منك بشربَةٍ   تعوَّدُهَـا فضلا علىَّ وأنـعَمُ

فقال له جساس : تجاوزت الأحصَّ وشُبَيْثاً ، ثم نزل عمرو فطعنه بسيفه ، فلما علم أنه يريد الإجهاز عليه وقال (المستجير بعمرو ـــ البيت) وظاهر هذا أن البيت لـكليب ، وفى بعض روايات القصة ما يفيد أنه لغيره ، وأنه يلمح به إلى قصته كبيت أبى تمام .

(٢) البازى طير من الصقور يتصيد ، والمطل المشرف ، وقوله ـــ أتيح ـــ بمعنى هُيِّئَ وَقُدِّرَ ، وضمير ـ لها ـ لنمير .

(٣) هو للطرماح بن حكيم ، والطرق جمع طريق ، والقطا واحده قطاة وهى طائر فى حجم الحمام ، وقيل : إنه نوع من الحمام ، وقوله ـ ضلت ـ من ضل الطريق وضل عنه إذا لم يهتد إليه ، يعنى أنها لو أرادت سلوكها لم تهتد إليها .

تمرينات على السرقات الشعرية وما يتصل بها

تمرين — ١

بين موضع الأخذ ونوعه وحكمه فى قول عمرو بن معد يكرب :

والضَّارِبين بكل أبيض مُرْهفٍ والطاعنين مجامع الأضْغَانِ
قَوْمٌ ترى أرماحهم يوم الْوَغَى مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكِتْمَانِ

وقول مسلم بن الوليد وأبى تمام بعده :

لا يستطيع يَزِيدُ من طَبِيعَتِهِ عن المُرُوءةِ والمعروفِ إحْجَامَا
تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكفِّ حتى لو أنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لم تُجِبْهُ أَنامِلُهْ

تمرين — ٢

من أى أقسام الأخذ غير الظاهر ما يأتى :

(١) قول أبى العتاهية :

إنَّمَا النَّاسُ كالبَهائم فى الرِّزْ قِ سَوَاءٌ جَهُولُهُمْ والحَكِيمُ

مع قول أبى تمام بعده :

فلو كانت الأرزاقُ تجرى على الحِجَى هَلَكْنَ إذَنْ من جَهلِهِنَّ البهائمُ

(٢) قول مسلم بن الوليد :

يَغدُو عَدُوُّكَ خائفاً فإذا رأى أن قدْ قَدَرْتَ على العقاب رَجَا كَا

مع قول أبى تمام بعده :

إذا سيفه أضحى على الْهَامِ حَاكِماً غَدَا العَفوُ منه وَهْوَ فى السيف حَاكِمُ

تمرين — ٣

ميز بين الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح فى الأمثلة الآتية :

١) قوله تعالى ـ ى ٤١ س ٢٩ : (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

٢) أشكو الأقاربَ لا يغيب جَفَاهُمُ يبغى أذَاىَ صغيرهم وكبيرهُمْ
همْ يعلنون لَدَى اللِّقَاء مَوَدَّتِى واللهُ يعلم ما تُكِنُّ صدورهُمْ

٣) لمْ أنسَ مَوْقِفَنَا بكاظِمَةٍ والعَيْشُ مِثْلُ الدار مُسْوَدُّ
والدَّمْع ينشد فى مسايله هَلْ بالطُّلول لِسَائلٍ رَدُّ

٤) قول إبراهيم بن العباس الصولى : فأبدلوه آجالا من آمال . مع قول مسلم ابن الوليد قبله :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهَجٍ كأنهُ أجَلٌ يسعى إلى أَمَلِ

٥) قول أبى الطيب :

ولم أرَ فى عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التَّمامِ

مع قول أرسطو قبله : أعْجَزُ العَجَزَةِ من قدر أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل .

٦) قول أبى العلاء :

أفقْ إنما البدر المقنَّع رأسُهُ ضلال وغَىٌّ مثل بدر المقنَّعِ

٧) قول أبى نُوَاس :

بروحى غزالٌ كان للناس قِبلةً وقد زرتُ فى بعض الليالى مُصَلَّاهُ
ويقرأ فى المحراب والناسُ خلفه ولا تقتلوا النفس التى حرّم اللهُ
فقلتُ : تأملْ ما تقول فإنها فعالك يا من تقتل الناس عيناه

الفصل الثانى

مواضع التأنق فى الكلام : ينبغى للمتكلم أن يتأنق فى ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أعذب لفظا ، وأحسن سبكا ، وأصح معنى(١) .

حسن الابتداء : الأول الابتداء ، لأنه أول ما يقرع السمع ، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه ، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه ، وإن كان فى غاية الحسن .

فمن الابتداءات المختارة قول امرىء القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل(٢)

وقول النابغة :

كِلِينِى لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ ۞ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بطىءِ الكَوَاكِبِ(٣)

---

(١) عذوبة اللفظ بسلامته من التنافر ونحوه ، وحسن سبكه بسلامته من التعقيد ، وزيادة صحة المعنى بمطابقته لمقتضى الحال .

(٢) هو من قوله فى مطلع معلقته :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حبيب ومنزلِ ۞ بِسَقْطِ اللّوى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

والسقط منطع الرمل حيث يدق ، واللوى الرمل المعوج الملتوى ، والدخول وحومل موضعان ، وقد روى الأصمعى العطف بينهما بالواو لأن ـ بين ـ لا يقع إلا على اثنين فصاعدا، وعلى رواية الفاء يقدر ـ أي بين أماكن الدخول فحومل . وإنما حسن هذا المطلع لأنه وقف فيه واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل ، بلفظ مسبوك لا تعقيد فيه ولا تنافر .

(٣) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبيانى ، وقوله ـ كلينى ـ أمر من وَكَلَ إليه كذا بمعنى سَلَّمَهُ إياه ، والناصب المتعب ، وقد فضل هذا المطلع على السابق وإن كان أقل منه معانى بأن شطريه متناسبان وألفاظه متلائمة .

وقول أبى الطيب :

أَتَظُنُّنِى مِنْ زَلَّةٍ أَتعتَّبُ ... قلبى أرقُّ عليك مما تَحْسَبُ [١]

وقوله :

أُرِيقُكِ أَمْ ماءُ الغمامة أم خَمْرُ ... بِفِيَّ بَرُودٌ وَهْوَ فى كبدى جَمْرُ [٢]

وقوله :

فِراقٌ ومن فارقتُ غيرُ مُذَمَّمِ ... وأَمٌّ ومن يَمَّمْتُ خَيرُ مُيَمَّمِ [٣]

وقوله :

أَتُرَاهَا لكثرة العُشَّاقِ ... تَحْسَبُ الدمعَ خِلْقَةً فى المآقِى [٤]

وقول الآخَر :

زَمُّوا الجمالَ فقُلْ للعاذل الجانى ... : لا عَاصِمَ اليومَ مِنْ مِدْرَارِ أجفانى [٥]

قبح الابتداء : وينبغى أن يجتنب فى المديح ما يُتَطَيَّرُ به ، فإنه قد يتفاءل به

---

(١) الزلة الذنب ، وقوله — أتعتب — بمعنى ألوم ، وقوله — تحسب — بمعنى تظن ، ينكر أن يلومه على ذنبه إليه بهجره ونحوه لرقة قلبه عليه .

(٢) هو لأبى الطيب أيضاً ، والغمامة السحاب ، وبرود صيغةُ مبالغة أى شديد البرد ، والاستفهام فى البيت من باب تجاهل العارف للتدله فى الحب ، وريقك وما عطف عليه خبر مبتدإ محذوف تقديره — هو أى ما ذقته ، وقوله — بفى برود — مبتدأ وخبر .

(٣) هو لأبى الطيب أيضاً وفراق خبر مبتدإ تقديره — حالى فراق ، والأم القصد ، يعنى بذلك فراقه لسيف الدولة الحمدانى حين غضب عليه وقصده لكافور بمصر .

(٤) هو لأبى الطيب أيضاً ، وقوله — أتراها — بمعنى أتظنها والاستفهام للتقدير ، والخلقة الفطرة ، والمآقى جمع مُوْقٍ أو مُؤْقٍ وهو مجرى الدمع من العين أى من طرفها مما يلى الأنف .

(٥) لايعرف قائله ، وقوله — زموا الجمال — بمعنى شدوا الرحال عليها للسفر ، والعاذل اللائم فى حبهم ، ومدرار الأجفان دمعها الغزير السيلان .

الممدوح أو بعض الحاضرين ، كما رُوِىَ أن ذا الرّمةِ أنشد هشام بن عبد الملك قصيدته البائية :

ما بال عينك منها الماء ينسكب[(١)]

فقال هشام : بل عينك .

ويقال : إن ابن مُقَاتِلٍ الضرير أنشد الدَّاعِىَ العَلَوِىّ قصيدته التى أولها :

مَوْعِدُ أَحْبَابِكَ بِالْفُرْقَةِ غَدْ[(٢)]

فقال له الداعى : موعد أحبابك ولك المثل السوء . وروى أيضاً أنه دخل عليه فى يوم مهرجان وأنشد :

لاتَقُلْ بُشْرَى ولَـكِنْ بُشْرَيَان غُرَّةُ الدَّاعِى ويومُ المَهْرجَانِ[(٣)]

فتطير به وقال : أعمى يبتدىء بهذا يوم المهرجان ! وقيل : بطحه وضربه خمسين عَصاً وقال : إصلاح أدبه أبلغ فى ثوابه .

وقيل : لما بنى المعتصم بالله قصره بالميدان وجلس فيه أنشده إسحاق الموصلى

---

(١) هو من قول غيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة فى مطلع له :

مَا بَالُ عَيْنِكَ منها الماءُ يَنْسَكِبُ كَأَنهُ من كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ

والـكلى جمع كلية أو كلوة وهما كليتان فى الجسم لإفراز البول ، والمفرية للقطعة ، والسرب السائل ، وقيل : إن إنشاده كان لعبد الملك بن مروان .

(٢) هو مطلع أرجوزة لنصر بن نصر الحلوانى ، وكنيته ابن مقاتل كما هنا ، لـكن الذى فى — مروج الذهب والصناعتين — أنها أبو المقاتل ، وهو يمدح بها محمد بن زيد الحسنى الداعى صاحب طبرستان ، والفرقة ، والفرقة اسم من الفراق ، وقيل : إنه مم موضع ولـكنه يوم ذلك فتطير منه .

(٣) الغرة بياض الجبهه ، ويوم المهرجان أول يوم من فصل الخريف ، وهو من : أعياد الفُرْس .

يَا دَارُ غَيَّرَكِ البِـــلَى وَمَحَاكِ   يَالَيت شِعْرِى مَا الذى أَبْلاكِ (١)

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر .

ومن أراد ذكر الديار والأطلال فى مديح فايقل مثل قول القُطَامى :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل (٢)

أو مثل قول أشجع السُّلَمِىِّ :

قَصرٌ عليــه تَحِيَّــةٌ وَسَلامُ   خَلَعَتْ عليه جَمالَهَا الأَيَّامُ (٣)

براعة الاستهلال : وأحسن الابتـداءآت ماناسب المقصود ، ويسمى براعة الاستهلال (٤) كقول أبى تمام يهنىء المعتصم بالله بفتح عَمُّورِيَّة ، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح فى ذلك الوقت :

السَّيفُ أَصْدَقُ إنباءً من الـكُتُبِ   فى حَدِّهِ الحَدُّ بين الجِدِّ وَاللَّعِبِ (٥)

---

(١) هو لإسحاق بن إبراهيم الموصلى ، والبلى مصدر — بَلِىَ الثوب — بمعنى رَثَّ ، وقوله — ليت شعرى — بمعنى ليت علمى جوابه ماجده من الاستفهام .

(٢) هو لعُمَير بن شُيَيْم المعروف بالقطامى فى مطلع له :

إنا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أيها الطللُ   وإن بليتَ وإنْ طالت بك الطِّيَلُ

والطلل الشاخص من الآثار ، والطيل مَدَى الدهر .

(٣) هو مطلع قصيدة لأشجع بن عمرو والسلمى فى مدح الرشيد ، وقوله — خلعت — بمعنى طرحت . وفى رواية — ألقت .

(٤) هى أن يكون مطلع الـكلام دالا على غرض المتكلم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة ، والحق أنها من المحسنات البديعية ، ولهذا يذكرها فيها كثير من العلماء .

(٥) الإنباء مصدر — أنبأ — بمعنى أخبر ، وحد السيف مقطعه .

بِيضُ الصفائح لاسُودُ الصحائف فى مُتُونِهِنَّ جَلاء الشَّكِّ وَالرِّيَبِ [١]

وقول أبى محمد الخازن يهنىء ابن عَبَّادٍ بمولود لابنته :

بُشْرى فقد أنجز الإِقْبَالُ ما وَعَدا وَكَوْكَبُ المجد فى أُفْقِ الْعُلا صَعَدا [٢]

وقول الآخر :

أَبْشِرْ فقد جاء ما تُرِيدُ أباد أعــداءك المُبِيدُ [٣]

وكقول أبى الفرج السَّاوىّ يرثى بعض الملوك من آل بُوَيْهِ — أظنه [٤] فخر الدولة :

هىَ الدنيا تقول بملء فيها : حَذَارِ حذار مِنْ بطشى وَفَتْكى [٥]

وكذا قول أبى الطيب يرثى أم سيف الدولة :

نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وتقتلنا المَنُونُ بلا قتالِ [٦]

---

(١) بيض الصفائح السيوف والصفائح جمع صفيحة وهى وجه كل شىء ممدد عريض ، وسود الصحائف الكتب ، والمتون الظهور ، وإنما نسب ذلك إليها لاعتماد حد السيف فى القطع عليها .

(٢) هو لعبد الله بن محمد المعروف بأبى محمد الخازن ، والإقبال قدوم الدنيا بالخير ، والأفق الناحية استعير للعلا ، والمراد بكوكب المجد ذلك المولود على سبيل الاستعارة ، وبصعوده ظهوره ، وإضافته للمجد على معنى اللام .

(٣) لا يعرف قائله ، وقوله — أباد — بمعنى أهلك ، والمبيد المهلك وهو الله تعالى ، والجملة دعائية .

(٤) جاء فى ـ يتيمة الدهر ـ أنه فخر الدولة على القطع .

(٥) هى ضمير القصة ، والدنيا مبتدأ خبره الجملة بعده والجملة خبر ضمير القصة ، وملء الشىء ما يملؤه ، وهذا كناية عن قولها ذلك جهرة بلا خفاء ، والبطش الأخذ بصولة وشدة ، والفتك مرادف له .

(٦) المشرفية السيوف المصنوعة فى مشارف الشام ، والعوالى الرماح ، والمنون المنية

وَتَرْتَبِطُ السوابق مُقرَباتٍ وما يُنْجِينَ من خَبَبَ اللّيَالى[١]

حسن التخلص : الثانى التخلص ، ونعنى به الانتقال مما شُبِّبَ[٢] الكلام به من تشبيب أو غيره[٣] إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما[٤] . لأن السامع يكون مترقباً للانتقال من التشبيب إلى المقصود كيف يكون ، فإذا كان حسناً متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع وأعان على إصغائه إلى ما بعده ، وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس .

فمن التخلصات المختارة قول أبى تمام .

يقول فى قُومسٍ قومى وقد أخذتْ منا السُّرى وخُطَا المهريَّة القُودِ[٥]

أمَطْلعَ الشمس تبغى أن تَؤُمَّ بِنَا فقلت : كَلاَّ ولكن مطلع الجود[٦]

---

(١) السوابق الخيل ، والمقربات المدناة من البيوت لفرط الحاجة إليها أو للضن بها فلا ترسل إلى المرعى ، والخبب ضرب من العَدْ ولا يستفرغ الجهد استعير لليالى .

(٢) أى ابتدىء ، وأصل التشبيب ابتداء القصيد بذكر أمور الشباب ، فاستعمل فى مطلق الابتداء على سبيل المجاز المرسل .

(٣) التشبيب النسيب ، وغيره كوصف الخمر ونحوه مما كانت القصيدة تبدأ به .

(٤) الحق أن حسن التخلص بهذه الملاءمة يكون من المحسنات البديعية كبراعة الاستهلال .

(٥) قومس موضع متسع بين خُرَاسَان وبلاد الجبل ، وقوله — أخذت — بمعنى أثرت ، والسرى السير بالليل ، والمهرية الإبل المنسوبة إلى مهرة ، والقود الطويلة الظهور والأعناق جمع أقود .

(٦) قوله — تؤم — بمعنى تقصد ، والشاهد فى أنه أحسن التخلص بأن انتقل من مطلع الشمس إلى الممدوح بعد أن جعله مطلع الجود ، فكان فى الانتقال من الأول إلى الثانى مناسبة من جهة أن كلا منهما مطلع لأمر محمود ، والمراد بمطلع الجود عبد الله بن طاهر الذى مدحه بهذه القصيدة .

وقول مسلم بن الوليد :

أَجِدَّكِ ما تَدْرِينَ أَنْ رُبَّ لَيلَةٍ   كأن دُجَاهَا مِنْ قُرونِكَ تَنْشَرُ(١)

سَهِرتُ بِهــا حتى تَجَلَّتْ بِغرَّةٍ   كَغُرَّةِ يحيي حين يُذكَرُ جعفرُ(٢)

وقول أبى الطيب يمدح المغيث العِجْلِىّ :

مَرَّتْ بنَا بين تِرْبَيها فقلت لهــا   : من أين جَانَسَ هذا الشَّادِنُ العرَبا(٣)

فاستضحكتْ ثم قالتْ : كالمُغِيثِ يُرَى   لَيْثَ الشّرَى وهْومن عِجل إذا انْتَسَبَا(٤)

---

(١) قوله — أجدك — بكسر الجيم وفتحها ولا يقال إلا مضافاً ، وهو منصوب على نزع الخافض أى أبجدك ، فإذا كسرت جيمه فهو استحلاف بالحقيقة ، وإذا فتحت فهو استحلاف بالبخت ، والدجى الظلمة ، والقرون خُصَل الشعر ، وقوله — تنشر — بمعنى تبسط وتمد ، وهذا من التشبيه المقلوب .

(٢) قوله — تجلت — بمعنى ظهرت وانكشفت ، والغرة بياض الجبهة ، والشاهد فى تخلصه من النسيب بالانتقال من غرة الصبح إلى الممدوح بعد أن جعل غرة الصبح كغرته ، فكان فى الانتقال من الأول إلى الثانى مناسبة من جهة أن لكل غرة تشبه الأخرى ، والبيتان من قصيدة له فى مدح جعفر بن يحيى البرمكى .

(٣) قوله — تربيها — تثنية ترب وهو الصديق أو من وُلد معها ، والشادن ولد الظبية استعاره لمحبوبته .

(٤) قوله — كالمغيث — خبر مبتدإ محذوف وتقديره أنا ، والشرى طريق فى جبل سلمى كثيرة الأسد ، وعجل قبيلة المغيث وفيه تورية لأن معناه القريب ولد البقرة ، ولا يخفى أنها تورية باردة لا تليق بمقام المدح ، والشاهد فى تخلصه من النسيب إلى المدح بذلك الاستفهام وجوابه .

وقوله أيضاً :

خَليليَّ مالِي لا أرى غير شَاعِرٍ فكمْ منهمُ الدَّعْوَى ومنى القصائدُ[١]
فلا تَعْجَبا إن السيوف كثيرةٌ ولكنَّ سيف الدولة اليومَ واحِدُ[٢]

الاقتضاب : وقد يَنتقلُ من الفن الذى شُبِّبَ الكلام به إلي مالا يلائمه ، ويُسَمَّى ذلكَ — الاقتضابَ — وهو مذهب العرب الأولى ومن يليهم من المُخَضْرَمينَ[٣] كقول أبى تمام[٤]

---

(١) المراد بالدعوى ادعاء الشعر وهو فى الأصل مصدر — ادعى الشىء — إذا زعم أنه له حقاً أو باطلا .

(٢) المراد بسيف الدولة ممدوحه ملك حلب ، وفى ذلك تورية لأن معناه القريب السيف الذى يناضل عن الدولة به ، والشاهد فى تخلصه إلى المدح بجعله انفراده بالشعر كانفراد الممدوح بكونه سيف الدولة .

(٣) المخضرمون الذين قالوا الشعر فى الجاهلية والإسلام ، ومن الاقتضاب قولهم فى التخلص — دع ذا أوعد عن ذا — على أن منهم من كان يسلك مذهب التخلص كالمحدَّثين ، ومن ذلك قول زهير :

إنّ البخيل مَلُومٌ حيث كان ولـ ـكنَّ الجواد على عِلاَّتِهِ هَرِمُ

كما أن من المحدثين من يذهب فى الاقتضاب مذهبهم ، كأبى تمام فى قوله الآتى — لو رأى الله . . . البيتين .

وقد اختلف فى وقوع التخلص فى القرآن ، فقيل : لا يقع فيه لأنه يقع فى الغالب متكلفا والقرآن لا تكلف فيه ، وقيل : إنه قد وقع فيه ، كقوله تعالى فى أول سورة يوسف (ألر ، تلكَ آيَاتُ الكِتابِ المُبِينِ ، إنَّا أنزَلْنَاه قُرْآناً عَربياً لعلَّكُم تَعْقلونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أحْسَنَ القَصصَ بما أوْحَينا إلَيْكَ هٰذا القُرآن وَإنْ كُنتَ مِن قَبْلِه لَمِنَ الغَافِلين ، إذ قَالَ يُوسُفُ لأبِيهِ يا أبَتِ إنِّى رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمْسَ وَالقَمَرَ رأيتُهُم لِي سَاجِدِينَ) فالسورة موضوعة لقصة يوسف ، وقد افتتحها =

لو رأى اللهُ أنَّ فى الشَّيب خيراً جاوَرَتْهُ الأبْرَارُ فى الْخُلد شِيباً[1]
كلَّ يومٍ تُبْدى صُرُوفُ اللَّيَالِى خُلقاً من أبى سعيد غريبا[2]

الاقتضاب القريب من التخلص : ومن الاقتضاب مايقرب من التخلص[3] كقول القائل بعد حمد الله — أما بَعْدُ[4] قيل : وهو[5] فصل الخطاب ، وكقوله[6] تعالى (هٰذا وَإنَّ لِلطَّاغِينَ لشرَّ مَآبٍ) أى الأمر هذا أو هذا كما ذُكر[7]

= بذكر القرآن ، ثم تخلص إليها هذا التخلص . وقيل : إن الاقتضاب وقع فى القرآن أيضاً كما سيأتى ، لأن التخلص ليس إلا محسنا بديعيا ، فلا يلزم من حسنه فى الانتقال عدم صحة الاقتضاب ، والقرآن لم يترك واديا من أودية البلاغة إلا أخذ منه بنصيب .

(١) الأبرار المطيعون ، والخلد الجنة ، والشيب جمع أشيب بمعنى شائب .

(٢) صروف الليالى حوادثها ، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغرى ، والشاهد فى انتقاله إلى المدح اقتضابا من غير تخلص .

(٣) فى أنه لا يخلو من شىء من المناسبة والملاءمة .

(٤) إنما كانت اقتضابا لأن الانتقال فيها من الحمد أو نحوه إلى غيره من غير ملاءمة ، وقد أشبهت التخلص بسبب أنه لم يؤت بما بعدها فجأة من غير قصد إلى ربطه بما قبله على نوع من الربط ، لأنها بمعنى — مهما يكن من شىء بعد الحمد أو نحوه فإنه كان كذا وكذا ، وهذا يفيد أن ما بعدها مرتبط بالحمد أو نحوه على وجه اللزوم .

(٥) أى — أما بعد — لأنه يفصل بها بين ما قبلها من حمد الله ونحوه وما بعدها من المقصود ، ويعنى فصل الخطاب الوارد فى — ى — ٢٠ — س — ٣٨ — فقد حمله عليه بعض المفسرين .

(٦) ى — ٥٥ — س — ٣٨ .

(٧) يعنى أن هذا خبر مبتدإ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر ، ووجه الربط فى ذلك أن الواو للحال ، فتفيد مصاحبة ما بعدها لما قبلها برعاية اسم الإشارة المتضمن لمعنى عامل الحال وهو أشير ، فالارتباط حاصل فى ذلك باسم الإشارة والواو معاً .

وقوله[1] تعالى (هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلمتقِينَ لَحسنَ مَآبٍ) ونحوه قول الكاتب : هذا باب ، هذا فصل .

حسن الانتهاء : الثالث الانتهاء ، لأنه آخر ما يعيه السمع ويرتسم فى النفس ، فإن كان مختاراً كما وصفنا[2] جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير ، وإن كان غير مختار كان بخلاف ذاك ، وربما أنسى محاسن ما قبله

فمن الانتهاآت المرضية قول أبى نُوَاس :

فَبقيتَ لِلعِلْمِ الذى تَهْدِى لَهُ ... وَتَقَاعَسَتْ عن يومك الأيَّامُ [3]

وقوله :

وَإنِّى جَدِيرٌ إذْ بَلَغتُكَ بالمُنى ... وَأنتَ بِما أَمَّلْتُ مِنكَ جَدِيرُ

---

(١) ى — ٤٩ — س — ٣٨ ، وقيل : إن الاقتضاب المحض وقع فى القرآن كقوله تعالى ـ ى ٣ ـ ١٧ س ٧٥ (أيَحْسَبُ الإنْسَانُ أنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أنْ نُسَوِّىَ بَنَانَهُ) الآيات إلى قوله (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) فلا ارتباط بين قوله (لا تحرك به لسانك . . .) وما قبله ، ولكن هذا لا ينافى دخوله في الغرض المقصود من السورة ، كما أن الاقتضاب في القصيدة لا ينافى دخول ما بعده فى الغرض المقصود منها .

(٢) فى أول هذا الفصل .

(٣) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس من قصيدة له فى مدح المامون ، وقوله — تهدى — بمعنى تدل ، وقوله — تقاعست — بمعنى تأخرت ، والمراد يومه يوم وفاته ، والشاهد فى حسن الانتهاء في البيت باشتماله على ذلك الدعاء المؤذن بالانتهاء .

فإن تُولنى منك الجميلَ فأهلُه ... وإلا فإنى عاذرٌ وشكورُ[(١)]

وقول أبى تمام فى خاتمة قصيدة فتح عمّورية :

إن كان بين صُرُوفِ الدهر من رَحِمٍ ... موصولةٍ أو ذِمَامٍ غير مُقْتَضَبِ[(٢)]

فبين أيامك اللاتى نُصِرْتَ بها ... وبين أيام بَدْرٍ أقربُ النَّسَبِ[(٣)]

أَبْقَتْ بنى الأصفر المِمْرَاضِ كاسْمِهِمُ ... صُفْرَ الوجوه وجَلَّتْ أوجُهَ العَرَبِ[(٤)]

براعة المقطع : وأحسن الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام[(٥)] كقول الآخر

بَقيتَ بقاء الدهر يا كَهْفَ أهْلِهِ ... وَهذا دُعاء لِلبَرِيَّةِ شَامِلُ[(٦)]

---

(١) هما لأبى نواس أيضاً فى مدح الخصيب بن عبد الحميد المرادى ، والجدير المستحق ، والمنى مايتمنى ويطلب ، وقوله ـ تولنى بمعنى تعطنى ، وقوله ـ فأهله ـ على تقدير فأنت أهله ، وحسن الختام فى قوله ـ وإلا فإنى عاذر وشكور ـ لأن قبول العذر يقتضى انقطاع الكلام ، والمراد شكور لعطاياه الماضية أو لإصغائه إلى مديحه .

(٢) صروف الدهر حوادثه ، والرحم القرابة ، والذمام الحق ، والمقتضب المقطوع .

(٣) يعنى بأيام بدر يوم غزوة بدر وما كان قبله وبعده من الأيام المتممة له .

(٤) بنو الأصفر الروم ، والممراض صيغة مبالغة يعنى أن صفرته كانت لمرض لا خلقة فيه ، والعرب تسمى الروم بنى الأصفر لبياضهم لما كان بين الشعوب من محاولة تنقيص بعضهم لبعض ، وحسن الختام فى هذا البيت لأنه يفيد نهاية الفتح فيؤذن بانتهاء الكلام .

(٥) بأن يكون لفظاً موضوعا للدلالة على الانتهاء ولو فى مجرى العرف والعادة ، كالدعاء والسلام ، ويسمى الانتهاء الذى يؤذن بذلك براعة المقطع .

(٦) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى أو لأبى الطيب ، وقد ذكر صاحب ـ معاهد التنصيص ـ أنه لم يجده فى ديوانهما ، والكهف فى الأصل الغار فى الجبل والمراد به الملجأ على سبيل الاستعارة ، والبرية الخلق ، وإنما كان هذا دعاء شاملا لهم لأن بقاءه سبب لصلاح حالهم .

وقوله :

فلا حَطّت لك الهيجاءُ سَرْجاً ولاذاقت لك الدنيا فِرَاقاً[1]

وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها ، يظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر لما تقدم من الأصول[2] .

والله الموفق للخيرات .

---

(١) هو لأبى الطيب ، والخطاب لسيف الدولة ، والهيجاء الحرب ، والسرج الرحل وقد غلب استعماله للخيل .

(٢) لأن فواتحها تدور بين تحميدات ونداءات يقصد منها إيقاظ السامع لما يلقى إليه ونحو ذلك ، وخواتمها تدور بين أدعية ووصايا ونحوها مما يحسن الانتهاء به ، كقوله تعالى فى ختام س ـ ٢٣ (وَقُلْ رَبِّ اغفرْ وارْحمْ وأنْتَ خيْرُ الرَّاحمين)

تمرينات على مواضع التأنق في الكلام

تمرين – ١

بين المقصود من القصائد المجعول لها ما يأتي براعة استهلال :

١) المَجدُ عُوفِي إذْ عُوفيتَ وَالكَرَمُ   وَزَالَ منك إلى أعدائك السَّقَمُ
٢) أمَا وَهوَاهَا عِذْرَةً وَتَنَصُّلاَ   لقد نقل الوَاشي إليها وأمحلاَ
٣) حُكمُ المَنيّةِ في البَريّةِ جَارِي   ما هـذهِ الدنيا بدار قرَارِ

تمرين – ٢

ميز بين الاقتضاب والتخلص فيما يأتي :

١) وَبَدَا الصباح كأنَّ غُرتَهُ   وَجْهُ الخليفة حين يُمتَدحُ
٢) كأنما قَوْلُنَا لِلبابِليِّ أَدِرْ   سُلافةً قوْلُنا لِلمَزْيَدِيِّ هَبِ
٣) هـذا وَكم لي بالجُنَينَةِ سَكرَةٌ   أنا مِنْ بقَايا شُرْبِهَا مَخْمُورُ
٤) فَدَعْ ذَا وَسَلِّ الهمَّ عنك بجَسْرَةٍ   ذَمُولٍ إذا صام النَّهارُ وَهَجَّرَا
٥) لولا الرجاءُ لَمُتُّ من أَلمِ النوى   لـكِنَّ قلبي بالرجاء مُوَكَّلُ
إنَّ الرَّعِيَّةَ لم تَزَلْ فِي سيرة   عُمَرِيّةٍ مُذْ سَاسَها المُتَوَكِّلُ

تمرين – ٣

بين لم كانت الانتهاءات الآتية براعة مقطع :

١) فما من نَدًى إلا إليك مَحَلُّهُ   ولا رِفْعَةٍ إلا إليك تسيرُ
٢) بَقِيت ولا أبقى لك الدَّهرُ كاشحاً   فإنك في هذا الزمانِ فَرِيدُ
٣) عليكَ سَلَامٌ نَشْرُهُ كلما بَدَا   به يَتَغَالَى الطيبُ والمِسْكُ يُخْتَمُ

مباحث الجزء الرابع

الصفحة　　　　الموضوع

فهرس شواهد الايضاح

ترتيب قوافيها على ترتيب الشعراء

(النون)

(الهاء)

المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابورى بالحلمية الجديدة